العدد ٤ من السنة الثانية — ربيع الأول سنة ١٣٦٠ — أبريل سنة ١٩٤١

مجلة الشؤون الاجتماعية

تصدر لها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

كل ما يتعلق بالنشر والاشتراك يرسل باسم مدير التحرير مباشرة

قيمة الاشتراك فى اثنى عشر عددا ... ... ١٥ قرشا

ترسل إذن بريد ، أما طوابع البريد فلا تقبل

ليس للمجلة وكلاء ولا محصلون

مدير التحرير : حسن الشريف

إدارة المجلة : بديوان وزارة الشؤون الاجتماعية ، تليفون ٨٥٣١٢

فهرس مواد العدد

		صفحة
رسالة الجامعة المصرية	محمد حسين هيكل باشا	٣
محطة الإذاعة اللاسلكية	توفيق دوس باشا	١٦
الصداقة العائلية	علي جمال الدين باشا	٢٠
رحم الصناعات الريفية	محمد حافظ رمضان باشا	٢٤
مصريون بجوارف المؤثرات الاجتماعية	الدكتور منصور فهمي بك	٢٨
الشباب المثقف في القرية	الأستاذ ابراهيم دسوقي أباظه بك	٣٦
العمل الاجتماعي	الأستاذ عبد المجيد نافع	٤٠
واجبنا نحو العمال	الأستاذ حامد العبد	٤٥
عام الجامع	الأستاذ سيد قطب	٥١
المرأة والمدينة	الأستاذ سلامه موسى	٥٩
مكاتب اوزير		٦٢
علاج بمرق الدجاج	الأستاذ حسين شفيق المصري	٦٤
أسباب فشل الزواج		٦٨
المرشد في وظيفته	الأستاذ عبد الشافي لبيان	٧٠
التأديب عند الأطفال	السيدة زاهية مرزوق	٧٤
روح المقاومة في الجمهور المصري		٧٨
روح التربية العصرية	الأستاذ صلاح الدين الشريف	٨٣
صحة الفعل	الأستاذ س ، ق ،	٨٨
العقل في السجون	الأستاذ فتح الله المرصفي	٩٤
تربية الأطفال	الأستاذ س ، م	٩٨
دعائم الزواج		١٠١
بكاشة البقاء بحث الوسائل والعقبات		١٠٣
وصايا وإرشادات صحية	وزارة الصحة	١٠٦
الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية		١١١
متفرقات اجتماعية		١١٤

رسالة الجامعة المصرية

لحضرة صاحب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا

وزير المعارف العمومية

"فى السادس من شهر مارس سنة ١٩٤٠ ألقى حضرة صاحب المعالى وزير المعارف العمومية بقاعة الاحتفالات بالجامعة المصرية هذه المحاضرة الجليلة التى تبين رسالة الجامعة فى الأمة المصرية وتوضح الأهداف الحقيقية التى ترمى اليها. ولما كان يجب أن ترمى اليها وتعمل على تحقيقها، ولما كان ليس لمجلة الشئون الاجتماعية أن تنشر النص الكامل لهذا البحث القيم تعميما لفائدته"

المحرر

سيدى مدير الجامعة

أشكر لكم ولزملائكم العلماء من رجال هذه الجامعة دعوتكم إياى للتحدث عن رسالة الجامعة. ويسرنى أن يكون هذا الحديث فاتحة لسلسلة مطردة من الأحاديث والمحاضرات المتصلة بالشؤون والمباحث الجامعية، تلقى ها هنا فى هذا العام والأعوام التى تليه، ثم يكون نواة لمعهد شبيه بالكليج دفرانس فى باريس وبنظائره من المعاهد فى غير باريس من مدن العالم الكبرى.

أيها السادة

ألقى سعادة مدير الجامعة محاضرة عن رسالة الجامعة بمدرج الطبيعة فى كلية العلوم يوم ٢٩ ديسمبر الماضى. وفى هذه المحاضرة القيمة تناول الأستاذ الكبير أغراض الجامعة من نواح مختلفة، فذكر أن الجامعة هى جماعة من العلماء أخلصوا للعلم فوقفوا عليه ملكاتهم ووقتهم. يخدمونه كما يقف الرهبان أنفسهم على عبادة الله. وإلى جانب أولئك العلماء شأن أذكياء يخدمون العلم كما يخدمه أساتذتهم على السواء عن طريق التعاون من جانب الطلبة والارشاد من جانب الاساتذة، وأن الجامعة لذلك وحدة اجتماعية متضامنة الأفراد لذين يؤلفونها من الأستذة والطلبة والمتخرجين، وأن من الخطأ الظن أن أغراض الجامعة تحصر فى شىء واحد هو تحضير موظفين لإدارة الحكومة. وأن الجامعة القديمة التى أنشئت منذ ثلاثين سنة انما أنشئت لتؤلف بيئة مستقلة فيها يبحث كل عضو من أعضائها عن الوسائل المؤدية لكمال وجوده الخاص، على أساس من حرية التفكير والنقد على وجه الاستقلال لا الحفظ والتصديق لكل ما يقال.

وقد ختم الأستاذ الكبير محاضرته القيمة بالاشارة الى أن من رسالة الجامعة أن تقوم بالأبحاث العلمية فى العلوم والآداب التى تنتج عندنا كما أنتجت عند غيرنا الزيادة فى النظريات العلمية ، فتؤدى بذلك عن مصر واجبها من المشاركة فى رقى العلوم والمعارف ، كما أن من رسالتها تربية شبيبة الأجيال المتعاقبة لتهيئ للبلاد قادتها فى جميع مرافقها ، ومن رسالتها كذلك نشر الثقافة العلمية والأدبية فى جميع طبقات الامة ومساعدة التطور الاجتماعى بكل ما فى وسعها من ضروب التجديد . والجامعة بذلك كله مصدر إشعاع يشع منه التضامن القومى . ففيها يشب التضامن ويؤتى كل ثمراته بعد أن يكون قد ولد فى العائلة ونشأ فى المدرسة .

هذا الغرض السريع لما احتوته محاضرة مدير الجامعة يدلكم أيها السادة على تشعب الاغراض التى تعمل الجامعة لها ، وعلى جسامة الرسالة التى تنهض بأعبائها . والواقع أن هذه الرسالة فسيحة لمدى متعددة النواحى ، فمن المتعذر الاحاطة بها فى محاضرة أو محاضرات . أليست هى رسالة العلم ؟ بل أليست هى رسالة المعرفة ؟ وضع رينان فى صدر شبابه رسالة فى "مستقبل العلم" استغرقت أربعين وخمسمائة صفحة ، لم تتناول مع ذلك إلا ناحية بذاتها مما يطلب الى العلم أن يقوم به لخير الانسانية . وما وضع من أمثال هذه الرسالة ، والرسائل التى وضعت عن طرائق التفكير ، وعن الادراك الانسانى للحياة ، وعن ترتيب العلوم ، وعن المنطق ، تعالج كلها احدى نواحى التفكير العلمى ، تلك ناحية تنظيم الادراك الانسانى لحياة العالم كوحدة متماسكة تتخطى حدود الزمان والمكان — وهذه الرسائل قد استغرقت ألوف الصفحات وعشرات الوفها . وهى مع ذلك لا تعالج الا جانبا من جوانب رسالة الجامعة . أمر ذلك شأنه لا يمكن أن تحيط به محاضرة أو محاضرات . وطبيعى ألا يطمع أحدنا اذ يتحدث عن رسالة الجامعة فى أكثر من أن يلقى قبسا من الضياء على نطاق ضيق جدا منها ، وكل رجائنا أن تلقى هذه الاضواء وأن تشق طريقها خلال جماهيرنا المتعلمة وغير المتعلمة ليقدروا هذه المؤسسة الكبرى حق قدرها وليؤمنوا برسالتها وليؤيدوها باعتناق ما تدعو اليه وبإذاعته فى الناس .

ويجمل بى قبل أن أعرض عليكم وجهة نظرى فى رسالة الجامعة أن أشير الى الفكرة التى قامت بنفوس آبائنا حين فكروا فى انشاء هذه الجامعة منذ أكثر من ثلاثين سنة خلت . وضع المرحوم قاسم بك أمين ، وكان أمين سر اللجنة التى تألفت فى سنة ١٩٠٦ لإنشاء الجامعة ، بيانا عن أغراض اللجنة من سعيها أشار فيه الى نقص التعليم العالى بمصر فى ذلك العهد ، والى ضرورة ايجاد مؤسسة جامعية تنهض فى البلاد بأمر الدراسات العليا . وهذا التصوير الاولى للغرض من انشاء الجامعة قد رسمه لطفى السيد باشا فى محاضرته التى عرضت عليكم خلاصتها بالعبارة الآتية :

"إن صورة الجامعة على ما وصفت هى الصورة التى كانت بها الجامعة تتمثل فى خواطر الذين أنشأوا الجامعة المصرية منذ أكثر من ثلاثين سنة . كنا ننتظر أن جامعتنا ستؤلف بيئة

مستقلة فيما يبحث كل عضو من أعضائها عن الوسائل المؤدية لكمال وجوده الخاص ، وأن تحمل عن مصر واجبها فى المسئولية العالمية عن تقدم العلوم والفنون فى مدنيتنا الحاضرة. بل أنشأنا الجامعة القديمة لنعارض بها التعليم العالى فى الحكومة الذى كان كل مايراد به هو ايجاد موظفين للإدارة الحكومية لا أكثر ولا أقل" .

لعلكم تريدون أن تستبينوا صورة أكثر وضوحا مما كان قائما بنفوس منشئى الجامعة الأولين من رسالتها . اذن فاسمحوا لى أن أتلو عليكم فقرات من خطابين أساسيين فى نشأة الجامعة . أولهما ألقاه المغفور له قاسم أمين بك بمنزل المرحوم حسن زايد باشا بسراوه فى ١٥ أبريل سنة ١٩٠٨ . وألقى المغفور له عبد الخالق ثروت باشا الخطاب الثانى فى حفلة افتتاح الجامعة المصرية بمنتدى مجلس شورى القوانين يوم ٢١ ديسمبر سنة ١٩٠٨ ، وهذه الفقرات كفيلة بالكشف عن هذه الصورة بوضوح وجلاء . ومن هذه الفقرات تتبينون مدى ما حققت الجامعة من هذه الرسالة وما لا تزال مطالبة بتحقيقه منها .

وقف المرحوم حسن زايد باشا خمسين فدانا بالمنوفية خالصة للجامعة فانتقلت اللجنة المؤلفة لإنشائها إلى داره بسراوه تقديرا لعمله . وفى الاجتماع الذى عقد هناك ألقى المغفور له قاسم أمين خطابا جديرا بأن يحفظه طلاب الجامعة فى مصر على تعاقب الأجيال جاء فيه :

" نحن لا يمكننا أن نكتفى الآن بأن يكون طلب العلم فى مصر وسيلة لمزاولة صناعة أو للالتحاق بوظيفة ، بل نطمع فى أن نرى بين أبناء وطننا طائفة تطلب العلم حبا للحقيقة وشوقا إلى اكتشاف المجهول . فئة يكون مبدؤها التعلم للتعلم . نود أن نرى من أبناء مصر كما نرى فى البلاد الأخرى عالما يحيط بكل العلم الانسانى ، واختصاصيا أتقن فرعا مخصوصا من العلم ووقف نفسه على الالمام بجميع ما يتعلق به ، وفيلسوفا اكتسب شهرة عامة ، وكاتبا ذاع صيته فى العالم ، وعالما يرجع اليه فى حل المشكلات ويحتج برأيه . أمثال هؤلاء هم قادة الرأى العام عند الأمم الاخرى والمرشدون إلى طرق نجاحها والمديرون لحركة تقدمها ، فاذا عدمتهم أمة حل محلهم الناصحون الجاهلون والمرشدون الدجالون " .

وبعد أن تحدث قاسم عن المتخرجين فى المدارس العالية بمصر وأنهم يعملون على مبدأ (اكسب كثيرا واتعب قليلا) وعن رأيه فى الكمال ومن هم أكثر الناس استعدادا له وعن التربية المنزلية وأثرها فى التعليم ، وعن حب المصريين العلم من قديم الزمن قال :

" إن لى لأملا عظيما أن يكون إنشاء الجامعة المصرية سببا فى ظهور شبيبة هذا الجيل وما يليه على أحسن مثال . وما حالة القلق والاضطراب التى نلاحظها فيما الآن إلا إيذان مطمئن يدلنا على أنها مملوءة بقوة عظيمة تطلب ميدانا تتصرف فيه لتتمتع بالتوازن اللازم لصحتها " .

ذلك الخصاب القيم الذى ألقاه قلم منذ ثلاث وثلاثين سنة يمثل رسالة الجامعة كما تصورها هؤلاء الآباء الذين نفخر اليوم بأبوتهم ولم يكن غرضهم من إنشاء الجامعة تهيئة الشبان لكسب الرزق وكفى بل تهيئتهم وتهيئة الأمة معهم لحياة إنسانية راقية تصبو إلى الحقيقة وتتوق إلى معرفتها بالشوق والشغف بدنيانها منها وتتصور العالم ونظامه وسننه تصورا علميا يزيدها سلطانا على قوى الظاهرة والخفية فيها ويزيدها لذلك صلة به واستمتاعا بما يحويه وبذلك تصبح لسعادة قريبة منها ويصبح فى مقدورها النهل من وردها .

ولم يكن التصوير المغفور له عبد الخالق ثروت باشا لغرض الجامعة دون تصوير قاسم وافاض وسمو ، فقد ورد فى خطابه بحفلة افتتاح الجامعة ما يأتى :

« نظرت الأمة إلى التربية العلمية فى مصر لا تزال ترمى إلى إعداد ناشئة تقوم بحاجات البلاد العلمية وتخرج شبيبة يشتغل كل فى فنه وصناعته ، وأن البلاد خالية من منهل علمى يستقى منه طلاب المزيد من هذا العدد .

« رأت أن العلماء فى البلاد الأخرى يكادون يأتون فى كل فرع من فروع العلم بالمعجزات فكم من مبتكرات الخيال خلقا سمويا جديدا حقا . خبرها من أوربا وغيرها ونحن نكتفى من ذلك البحر الزاخر بقصعة الوشل . وكم من مخترعات مبدعات وآيات بينات فتح الله بها على أولئك العلماء وحظنا فيها حظ المتفرج .

« رأت أنه من المنقصة أن تبقى مصر عالة على الأمم بعد أن كانت تغذيها بالعلم والعرفان وأن تطل فى مثل هذا العصر خلوا من جامعة تضوع لها طائفة تمجد ذكرها كما كان ذكرها يمجد فى ماضى الأيام والعصور الخالية .

« رأت كل ذلك وحق لها أن تراه وتتدبره . فلا جرم أن قامت قومة واحدة تدعو إلى إنشاء تلك الجامعة » .

هذا التصوير الذى رسمه لنا المنشئون الأولون لفكرة الجامعة فى مصر يبين لنا أن الأمة شعرت فى ذلك الوقت بأن التعليم فيها قاصر عن أن يمدها بأسباب الارتقاء الانسانى إلى الدرجات التى بلغتها الأمم المتمدينة ، وأن جهد الشعور دفعها لالتماس الوسيلة إلى هذا الارتقاء فوجدتها فى التعليم الجامعى على ما هو معروف فى تلك الأمم ، لذلك عملت على إنشاء الجامعة تمهيدا بعنايتها الى تزعمها ، وحرصها على أن ينوض بأمرها علماء يحبون علمهم ، ويهبون أنفسهم له ، فيكون منهج فيها يخطط العلم الانسانى ، ويصور لنا سنن الحياة وأغراضها تصويرا منطقيا كاملا ، وأن لها الاختصاص فى علم بذاته ، أو فى فرع من فروع هذا العلم ، يجلو لنا نظرياته ويكشف عن جديد فيه ، والمخترع الذى يتخذ العلم وسيلة لتوجيه قوى الحياة وجهات جديدة والشاعر والأديب والفنان ممن يلهمهم العلم من صور الشعر والأدب والفن آيات من جمال

العالم وجلاله. نشأت فكرة الجامعة تمهيدا لهذه الغاية وأملا فى أن تنتشر الروح العلمية فى التفكير المصرى وأن تمتد إلى الشرق كما انتشرت فى تفكير الغربى وامتدت إلى سائر أنحاء العالم، وأن يعمل انتشار هذا الروح عمله فينهض بمصر والشرق إلى المكانة الإنسانية السامية التى تطلع اليها هؤلاء الآباء، فدفعتهم وطنيتهم الصادقة الصامتة إلى الجد لبلوغها.

وقد بلغت هذه الفكرة من الداعين اليها مبلغ الإيمان. لما فتحت الجامعة أبوابها وبدأ الناس يؤمونها قام فى وجهها من يناوئها ويحارب جهودها، ثم كانت قوة الفكرة التى أنشأتها وكان إيمان القائمين بأمرها خير كفيل بالتغلب على كل عقبة نجمت أو مناوأة ظهرت. فى سنة ١٩١١ أذاع المغفور له الملك فؤاد الأول - وكان يومئذ صاحب الدولة الامير أحمد فؤاد باشا رئيس الجامعة المصرية - نداء وجهه إلى أبناء وطنه جاء فيه :

"رغم ما صادف مشروعاتنا من التأويل الباطل والنعت الذى أريد به وضع حجر العثرة فى نهضة جامعتنا ! لم يلبث عملنا الجليل المحبوب أن ثبتت دعائمه. ولا عرابة فى ذلك. فإن العامل القوى الذى يأخذ بناصرنا إنما هو سعينا فى خير بلادنا. ولا شك أن نفع شبابنا الاعزاء هو فوق كل المقاومات والانتقادات المقصودة ! وأن رغبتنا الشديدة فى تحقيق هذا النفع واخلاصنا فى إحياء العلم بمصر يكسبنا القوة للثبات والدأب فى هذا العمل. وقد أعرت قلبى فى سبيل هذه الغاية حتى يتسنى لأبناء وطنى أن يأخذوا حظهم من العلم والعرفان وينصرفوا الى إحياء نضارة لغتهم وآدابهم وفنونهم العظيمة. ويسهل عليهم تحقيق هذه الأمنية الجليلة حينما يستقون عزيمتهم وعلمهم من مجد أجدادهم وعلومهم التى كادت تكون فى عالم النسيان حينا من الدهر. ولا وسيلة لهم للوقوف على حسبهم وتاريخهم وفهم حقوقهم وقيامهم بواجبهم إلا بالرجوع الى هذه المصادر العزيزة ! وبذلك يعيدون كنوز العلوم العربية القديمة التى نأخذها الآن عن الغرب. وكما أن ضوء النهار بعد الليلة الحالكة الظلام يتجدد بنور الفجر كذلك روح النهضة العلمية فى مصر بعد ان كانت مستغرقة فى سبات عميق حينا فى الدهر سيكون لها شأن عظيم فى إحياء ذكرى ماضينا الذى كان ولا يزال مقرونا على الدوام بالمجد والعظمة.

وبعد أن أشار رحمه الله الى ما قامت به الجامعة فى السنوات الثلاث التى انقضت منذ افتتاحها ختم هذا النداء بعبارات أذكر منها قوله :

"إن جل أمانيى والغاية التى نبغى الوصول اليها محصورة فى أن نعيد الى الشبان المصريين استقلالهم العقلى ونمهد لهم الوسائل المعنوية لرقى مواهبهم .. فاكتساب العلوم ونمو الذكاء وانتشار الأفكار ليس امتيازا خاصا بأمة دون أمة بل هو حق مشروع على اختلاف أجناسها ومن واجبها أن تتعاون على تأييد السلم وتعمل لإيجاد الألفة بينها وتوحيد المصالح المتبادلة.

ويجب أن نغرس فى نفوس طلابنا هذه المبادئ وأن نبرهن على ثبات عزيمتنا وإخلاصنا فى تربية أبنائنا وأمتنا وتعليمهم كيف يؤدون الواجب وكيف يتخلقون بالأخلاق التى لا ينتفع بدونها علم ولا ذكاء . وبهذه الطريقة يمكننا مراقبة آدابنا " .

حسبى هذه الفقرات التى تلوت عليكم من كلام رئيس الجامعة ومنشيئها الأولين ! ففيها من فيض الشعور بالحاجة إلى الجامعة شوق للحقيقة وحرصا على استعادة المجد التليد لهذه البلاد ما يعبر عن احساسهم القوى لصادق بحاجة بلادهم الى نهضة قومها هذه المؤسسة التى أنهضت الأمم حيثما نهضت ! والتى كانت وستبقى أبدا مصدر الاشعاع القوى لضياء العقل الإنسانى ! ولروح الانسانى .

ان الحاجة التى أدت الى إنشاء الجامعة المصرية ، والتى عبر عنها المغفور له الملك فؤاد بالحاجة الى إعادة الاستقلال العقلى للفكر الإنسانى ، هى بعينها الحاجة التى أدت فى مختلف العصور الى إنشاء الجامعات فى أوربا وفى غير أوربا ، وهى بعينها الحاجة التى أدت فى الأزمان السالفة الى قيام المصلحين والفلاسفة لتحطيم الجمود العقلى ، وفك الفكر الانسانى من القيود التى فرضها عليه التعلق بالعاجلة ، والخضوع لأحكام الحياة المادية ، والاذعان فى سبيل هذه الحياة لسلطان البطش ، والاستسلام لما يفرضه الأقوياء من هذه القيود ، واعتبارها حقائق ثابتة يؤمن الناس بها كأنها بعض سنن الكون التى لا سبيل الى تحويرها .

ونحن اذ نرجع إلى دعوة الانبياء ورسالة الرسل نجدها قائمة على استقلال العقل الإنسانى وتحرير الفكر من إسار هذه القيود وأكتفى فى هذا المقام بالإشارة الى الدعوة الاسلامية ، فقد دعا محمد قومه ليفيقوا ما وجدوا عليه آباءهم ، ولينظروا الى الكون فيستبينوا سننه حتى يؤمنوا بالله . وهذا الايمان لا يكون إيمانا حقا ما لم يهدنا اليه العقل المستقل والفكر الحر . يقول المغفور له الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، " إن التقليد بغير عقل ولا هداية هو شأن الكافرين . وإن المرء لا يكون مؤمنا الا اذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به . فمن ربى على التسليم بغير عقل والعمل ولو صالحا بغير فقه فهو غير مؤمن . فليس القصد من الإيمان أن يذل الانسان لغير كما يذل الحيوان ، بل القصد منه أن يرتقى عقله وترتقى نفسه بالعلم فيعمل الخير لأنه يفقه أنه الخير النافع المرضى لله . ويترك الشر لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته " .

والحاجة الى استقلال العقل وتحرير الفكر تثور فى أمم بدافع طبيعى مصدره سنة الاحتفاظ بالحياة الانسانية . ذلك بأن الحياة والحركة مقترنتان ، كما ان الموت والسكون متلازمان ، ليس فى الحياة حى لا يتحرك ، يستوى فى ذلك الجماد والنبات والحيوان . ذرات الجماد فى حركة متصلة ، وحركة الحياة فى النبات وفى الحيوان تشهدها أعيننا ، وعن حركة الافلاك نشأ العوالم نشأ الليل والنهار والظلمة والنور ، وبنشأ توازن الكون كله ، فلو أن هذه الحركة وقفت

هنيهة لتداعى الكون وانهد كيانه . وحركة العقل هى المطهر الأساسى للحياة الإنسانية . فاذا قيد العقل عن الحركة وحيل بينه وبين التفكير احرشلت الحياة الانسانية فتأخرت الجماعات التى تصاب بهذا الشلل وجمدت حركتها الذاتية ، فتولى شؤونها غيرها وفرض عليها ألوان حياتها واستأثر هو من هـذه الحياة بخير الثمرات . عند ذلك تثور انسانية الامم فتشعر بالحاجة الى استقلال العقل وحرية التفكير ينهض بهما الانبياء والمرشدون ، والفلاسفة والمصلحون ، وتنهض بهما الجامعات التى تتولى حماية هؤلاء الفلاسفة وغيرهم من اضطهاد البطش وفلك الطغيان .

والحاجة الى استقلال العقل وحرية التفكير ليست شهوة تنطفئ متى تحققت ثم تتجدد بتجدد الدافع لها ، وانما هى ضرورة جوهرية لحياة الأمم قائمة على وجه الدوام ابتغاء غرض لا يلبث الناس إذ يظنون أنهم اقتربوا منه أن يروه فترمس أبديهم و بعد عنهم ، ثم ظل مع ذلك يتراءى لهم فى بهاء جلاله وساطع ضيائه . هذا الغرض هو الحق ، وهو الكمال . والتماس الحق والكمال هو مثل الانسانية الأعلى فى الحياة . اليهما تتوق كل نفس مهذبة ، وكل أمة بلغت من مدارج الرقى الانسانى مقاما محمودا . لكن الجهود التى بذلت منذ ألوف السنين لمعرفة الحق وللبلوغ الكمال لما تتوج بالنجاح ، وان أدركت الانسانية من سعيها اليهما حظا غير قليل . كشفت من أسرار الوجود وسننه عن كثير كان يظن غيبا لا سبيل إلى رفع حجبه ، وأدركت أن الغيب لا يزال يطوى أضعاف أضعاف ما كشفت عنه ، فهى شديدة التوق إلى معرفته ، دائمة الدأب للكشف عن أسراره ومعرفة سننه . والعقل المستقل والفكر الحر هما الاداة لا أداة غيرها لبلوغ ما يستطاع بلوغه من هذا الغرض .

وقد اتصل سعى الانسانية منذ أقدم العصور لتصوير الطريقة التى تكفل استقلال العقل وحرية الفكر ابتغاء الوصول إلى الحقيقة و إلى الكمال ، كما اتصل سعيها لتصوير هذه الحقيقة التى تتوق كلنا لمعرفتها ويبذل لعلماء والمؤهوبون حياتهم لنشر نورها . أفيستطيع العقل ، بوسائل المعرفة الميسورة للإنسان ، أن يصل إلى معرفة أسباب الوجود الأولى وغايته الأخرى . أم أن مالدينا من أسباب المعرفة يقصر دون الأسباب والغايات ، و إن استطاع أن يستكشف من طريق معرفة الواقع سنن الكون ونظامه . وقد احتدمت معركة الجدل حول الطريقة المثلى لمعرفة الحقيقة عصورا طويلة ، ثم ظن الناس فى القرن الماضى أن المعركة انتهت إلى غاية حين تغلب التفكير الواقعى على ما سواه ، وحين أقر العلماء والفلاسفة فى بلاد أوربا المختلفة بتفوق نظريات أوجست كمت ، و بصدق قانونه عن حالات العقل الانسانى الثلاث : الحال الثيولوجية ، والحال المتافيزيقية ، و الحال الواقعية . لكن نظريات جديدة قامت فى هذا القرن العشرين كان برجسون وانشتين بعض دعاتها ، وكان مرماها أن الطريقة العلمية المحدودة بحدود الواقع تقصر دون الحقيقة التى يتطلع الكل إلى ضيائها ، وأنا يجب أن نستوى لإلهام الانسانى لإدراك هذه الحقيقة ، كما يجب أن نقدر النسبية

فى معارفنا وأن نحسب لها حسابها فى كل علومنا ومباحثنا . وبذلك عادت معركة الجدل على الطريقة إلى احتدامها من جديد .

وطالما اشتبك فى معركة الجدل هذه من كان قصدهم إلى تعطيل العقل واستقلاله ، وتحكم حريته ، ليتسنى لهم أن يتحكموا فى أقدار الناس ومصائرهم . وما أعظم الجهود التى بذلها دعاة الحرية الانسانية للقضاء على تلك المآرب . وليس يسع كل محب للحقيقة الا أن يغتبط حين يعلم أن كل جهد بذل للحد من استقلال العقل ومن حرية الفكر كانت نهايته الفشل ، وأن النصر الذى أحرزه دعاة الحرية هو الذى أتاح للإنسانية أن تتقدم نحو الحق والكمال خطوات سريعة واسعة .

كان هذا النصر كذلك أن تظل معركة الجدل حول الطريقة متجهة إلى الغرض منها . ولم تجه هذا الغرض يوما إلى الحد من استقلال العقل ، بل إلى تنظيم هذا الاستقلال تنظيما يكفل للفكر حرية بلوغ أسمى الغايات فى الحياة الانسانية ، وذلك بتصوير الحقيقة التصوير العلمى الصحيح . وكانت الطريقة الواقعية هى التى كتب لها الفوز فى القرن الماضى كما سبق القول . ولا ينكر أحد أن هذه الطريقة الواقعية قد هدتنا إلى كثير من سنن الكون ونظمه ، وأتاحت للعلماء والفلاسفة من أسباب الكشف عن كثير مما كان محجوبا بحجب الغيب ، وأنها بذلك قد جعلت الانسان أعظم سلطانا على قوى العالم الظاهرة والخفية . ثم إنها ، إذ وجهت الباحثين إلى التنقيب فى ماضى الانسانية وحاضرها ، وفى ماضى العالم وحاضره لإثبات السنن الكونية اثباتا علميا يعنى عنها كل ريبة ، ولإقامة الصلة بين الناس أفرادا وجماعات وبين الانسانية وعوالم الكون المختلفة على أساس من هذه السنن المقطوع بثبوتها — قد أتاحت للفلاسفة أن يقيموا المذاهب الفلسفية الواقعية المعتمدة على ما كشفت عنه العلوم كلها . وغاية هذه المذاهب أن تقربنا فى معروف الحياة من الحقيقة وأن تدنينا من الكمال .

كان للجامعات فى قيامها بوسالتها خلال العصور الأخيرة أكبر الفضل فى إحراز ذلك النصر . فقد نشأت الجامعات أول ما نشأت معاهد تمنح المتقدمين اليها بأمر الحاكم حيا ، وخلال ماضيها حينا آخر ، درجات تجيز لهم القيام على تعليم الناس . ثم صارت هذه المعاهد ملاجئ للعلماء تحمى مصالحهم وحريتهم وتحميهم من بطش ذوى البطش بهم ، وتيسر لهم أسباب البحث بتغاء الحقيقة وحرصا على بلوغ الكمال ، وكان دأبها فى جميع العصور أن تضع النظريات التى ينادى بها العلماء من رجالها ومن غير رجالها ، موضع التمحيص والنقد ، تقر منها ما تراه متفقا مع طرائق البحث المقررة لديها ، وتنكر ما لا يتفق مع هذه الطرائق . ثم لا ترى بأسا أن تجعل طرائق البحث نفسها موضع النقد والتمحيص من جديد .

وانما استطاعت الجامعات أن تكشف عن الحقائق وأن تحميها بانقطاع رجالها للبحث انقطاع الرهبان للعبادة — على حد تعبير الاستاذ الكبير مدير هذه الجامعة . وعلماء الجامعات أقدر من غيرهم على التمحيص و « تلك البيئة الجامعية تجعل وسائل البحث كلها فى متناول أيديهم . فالمكتبات ، والمعامل ، وما اليها ، تجعل آخر الابحاث فى جميع العلوم حاضرا فى كل وقت لدى من شاء منهم أن يقوم بتمحيصه ونقده ، وهذه البيئة ، وهذا الانقطاع للعلم والتخصص فيه ، يتيحان لرجل الجامعة تصوير الحقيقة فى عصرهم تصويرا يدنيها من أفهام المثقفين ، ويكفل لها أن تنتشر فى الناس وأن توجه مصير الجماعات .

ونشر الحقيقة فى الناس بتوجيه سلوكهم فى الحياة أفرادا وجماعات يتصل برسالة الجامعة بل هو جوهر هذه الرسالة . فالعلماء لا يبحثون عن الحقيقة لمتاعهم الخاص ، وإن كان هذا المتاع عظيما بذاته حتى لا يقاس به متاع سواه ، وانما يريدون الحقيقة لخير الانسانية إيمانا منهم بأن الحقيقة وحدها هى التى تدنى الانسانية من السعادة ، ومن الخير ، ومن الكمال .

وكل حقيقة اهتدى العلم اليها قد كان لها فى تقدم الانسانية من الآثار ما سبقت الاشارة اليه . لكن هذه الحقيقة مجردة قائمة بذاتها كالحقائق الرياضية ، أو متعلقة بعالم غير هذا العالم الذى نعيش فيه كالحقائق الفلكية ، أو بغير الانسان مما فى هذا العالم كالجماد والنبات والحيوان — فكل ما كشف عنه البحث العلمى فى هذه الشئون وفى شأن الانسان قد نقل الانسانية خطوات ارتقت بها ثم كان المشاهد فى الناس مدعاة شعورهم بقيمتهم الانسانية شعورا يزداد سموا كلما ازدادت الحقائق التى نقف عليها وضوحا وثبوتا .

وانما استطاعت الجامعات نشر الحقائق التى اطمأنت اليها فى الناس بعد أن ذاع فيهم الإيمان باستقلال العقل وحرية الفكر ، وبعد أن أدركوا أن التعصب والعلم لا سبيل إلى اتفاقهما ، وأن العقل الجامد الذى يأبى النظر فيما وجد عليه آباءه عدو للعلم بطبعه يزور من صور الحقيقة عن كل ما لم يألفه ، وينظر بعين الغضاء والحقد إلى كل من يخالفه .

وقد يرجع الفضل الأول فى إذاعة الاستقلال العقلى بين الناس الى تفكير الرياضيين والاطباء وغيرهم من المشتغلين بعلوم الحياة فى طرائق البحث أيما أمثل لادراك الحقائق التى تتناولها هذه العلوم ، وبخاصة حينما طوعت هذه الطرائق للعلم أن يبسط سلطانه على كثير مما فى الكون بعد أن وقف على سننه وعرف القوى المختلفة فيه . هنالك أصبح المجال أمام العلماء فى الجامعات ، وأمام تلاميذهم الذين يعلمون الناس فى مختلف المعاهد لإذاعة الحقائق ولإقامة المذاهب وللدعوة والسعى لتنظيم الحياة على أساسها .

وهنا تشعبت المذاهب وتباينت المناهج فى البلاد المختلفة باختلاف طبائعها ، فاذا الطريقة الواحدة تؤدى فى انجلترا الى مذاهب غير التى أدت اليها فى فرنسا أو فى المانيا أو فى أمريكا

و إذا الثقافة الجامعية أو القومية يطبعها طابع يستمد كيانه من وجودها الخاص ، و إذا الجامعات تعتز بهذا الطابع وتعمل على نشره ، مع دأبها على أن تجعل من الثقافات الاخرى موضع عنايتها وبحثها ، رجاء التوفيق بينها للمصلحة العالمية العامة .

هـذه ، أيها السادة هي الرسالة العظمى التي قامت بها الجامعات في البلاد المختلفة ، وهي بعينها ما أراده المنشئون الأولون للجامعة المصرية من انشائها ، فاذا حققت هـذه الجامعة من رسالة العلم ، ومن إعادة الاستقلال العقلي والتفكير الحر لشبابنا . وماذا قامت به من واجب مصر العالمي للمشاركة في رقي المعارف الانسانية . ثم ماذا طبعت به ثقافتنا من طابع خاص يميزها عما سواه ؟ .

ختم الاستاذ مدير الجامعة محاضرته التي لخصتها لحضراتكم في صدر كلامي بعبارة قيمة جاء في صـدرها ، "جامعتنا حديثة العهد الى حد أنها لم يتم بعد بناؤها ، ولم ينشأ بعد حي لطلبتها ، ولم تستوف بعد أساتذتها من المصريين ، وان كانت لا تستغني أبدا عن الاساتذة الزائرين ، ولما تطمئن الى استقرار التقاليد الجامعية — فمطالبتها بتحقيق رسالتها ينبغي أن تكون متناسبة مع حداثة عهدها ومع حالها ووسائلها" .

وهـذا تصوير للواقع صوره خير من يعرفه . على أننا يجب مع ذلك أن نشهد بجسامة المجهود الذي تم خلال السنوات التي انقضت منذ انشاء الجامعة في سنة ١٩٠٨ ومنذ أن حمت للحكومة في سنة ١٩٢٥ وما قامت الحكومة به من انشاء مباني الجامعة ومستشفى فؤاد الاول بعض هـذا المجهود الضخم الذي استنفد مئات الالوف من الجنيهات . والذي أقام هـذا المعهد العلمي الجليل وهيأه بكل الاسباب التي تيسر للجامعة تحقيق غرضها . وهـذه المنشآت قد تمت كلها خلال السنوات الخمس عشرة الاخيرة . وفي هـذه الأثناء كانت الدراسات العلمية في معاهد هـذا المعهد تتقدم تقدما مطردا . ولست أريد أن أدلل على ذلك بنتائج عملها في المرحلة الجامعية الأولى ، مرحلة الليسانس أو البكالوريوس أو الدبلوم . فالمدارس العليا تمنح مثل هـذه الاجازات . وانما أذكر نتائج الدراسات العليا في الكليات الاربع التي تألفت منها الجامعة أول عهدها : كليات الطب ، والعلوم ، والآداب ، والحقوق . فقد أجازت هـذه الكليات اثنين وسبعين دكتورا ، ومائة واثنين أستاذا (ماجستير) حلا دبلومات المعاهد الخاصة وتبلغ ٥١٩ دبلوما .

قد لا يكون هذا العدد كبيرا بالقياس الى عدد السنين التي انقضت منذ انشاء الجامعة ، أو منذ ضمها الى الحكومة . وقد يبدو كذلك بنوع خاص عند مقارنته بمثله مما حصل عليه ابناؤنا في جامعات اوربا المختلفة . فأعضاء بعثات الحكومة وحدهم قد حصل مائة وستة وأربعون منهم على إجازة الدكتوراه ، وسبعة وأربعون على إجازة الاستاذية وثمانية عشر على الزمالة .

ولعل من حصلوا على مثل هذه الدرجات العلمية العليا ممن تعلموا على نفقتهم فى أوربا لا يقلون عددا عن أعضاء البعثات . لكن مع ذلك يجب أن نذكر أن جامعتنا لم تمنح الاجازات العلمية العليا فى السنوات الاولى لنشأتها ولا لصمها للحكومة . لان هذه الاقسام العليا انما أنشئت شيئا فشيئا بعد استكمال الجامعة وجودها العام فى سنة ١٩٢٥ . ولم تمنح وحدة من الكليات الاربع أية إجازة للدكتوراه الى سنة ١٩٣٠ وفى تلك السنة منحت كلية الطب وحدها هذه الإجازة لأربعة من أبنائها ، وفى سنة ١٩٣١ منحت هذه الاجازة لاثنين فى كلية الطب ولواحد فى كلية الحقوق . وفى سنة ١٩٣٣ منحت كلية العلوم أول إجازة للدكتوراه فيها . وأما أول إجازة للدكتوراه فى كلية الآداب فلم تمنح إلا سنة ١٩٣٧ ولا يزال عدد هذه الإجازات العليا قليلا ، قلما زاد فى العام على ثلاث أو أربع . اللهم إلا استثناء إذ منحت كلية الحقوق ست إجازات للدكتوراه فى سنة ١٩٣٨ ومنحت كلية العلوم عشر إجازات للدكتوراه فى العام الماضى .

ولم يقف الأثر المترتب على حداثة الجامعة عند هذا الحد فى أمر الدراسات العليا . فقد استعرضت عناوين الرسائل التى قدمت لإجازة الدكتوراه فى الكليات المختلفة لمصر وقارنتها بعناوين الرسائل التى وضعها المصريون الذين حصلوا على الدكتوراه من جامعة أوربا . فاسترقنى من هذا الاستعراض اقتحام طائفة من الرسائل التى قدمت للجامعات الأوربية للمذاهب العامة فى العلوم المختلفة واقتصار أكثر الرسائل التى قدمت إلى جامعتنا على بحوث تفصيلية ، دقيقة لا ريب ، فى مسألة بذاتها . ومرجع ذلك إلى أن البيئة الجامعية الأوربية قد بلغت من الاستقلال بذاتها أن أقامت صرحا من النظريات والمذاهب المختلفة فى شتى الفنون والعلوم ، أما بيئتنا الجامعية فلا تزال بحكم حداثة عهدها وبحكم المستوى العقلى العام المتأثر بمناهجنا المدرسى ، بحاجة إلى أن تقيم بناءها الذاتى . وأن تقيم على أساسه مثل هذا الصرح العظيم من النظريات والمذاهب ، ليستطيع أبناؤنا اقتحام هذه المذاهب والنظريات ، ينقدونها أو يعدلونها أو يؤيدونها بما يتفق مع تصورهم للحق وما يدنى الحق من الكمال .

لسنا نطمع ، وهذه حالنا ، فى مطالبة أبنائنا أو مطالبة علمائنا ، أن يبدعوا جديدا فى طرائق البحث العلمى . فهذه الطرائق ، بطبيعتها ، هى ثمرة التطور العلمى ، وامتثال العقل لمجموع هذا التطور فى مختلف العلوم ، وعدم اطمئنانه إلى كفاية الطريقة المقررة لبلوغ الغاية من الحقيقة ، أو وقوف هذه الطريقة فى سبيل تلك الغاية . ولا شك فى أنا نريد أن تبلغ جامعتنا هذا المبلغ . لكننا لا نزال بحاجة إلى تطبيق الطرائق التى سبقتنا الجامعات الأخرى إليها حتى نستنفد هذه الطرائق فى ميادين العلم والعمل المختلفة . و يومئذ يتفسح المجال أمام العالم الممتاز ، والمفكر الممتاز ، ليبدع فى طريقة البحث العلمى جديدا .

أيها السادة

أشرت إلى أن من جوهر رسالة الجامعة نشر التفكير الجامعى و إذاعته فى الناس . والبيئة الجامعية المشتغلة بالدراسات العليا لا يمكن أن تكون بذاتها أداة هذا النشر ، فلا بد لها من وسائل تتصل بها وبين التفكير العام . ومن هذه الوسائل طرق النشر العام بالكتب والمجلات والصحف و الإذاعة . لكن الوسيلة الناجعة التى تمهد لنجاح هذه الوسائل جميعها هى التعليم . لذلك كان من أهم ما اقترحه الخبيران العالميان اللذان استقدمتهما الحكومة المصرية عام ١٩٣٨ لبحث وسائل التربية والتعليم فى مصر — وهما المستر مان والمسيو كلاباريد — إنشاء معهد التربية العالى وتغذيته بخريجى الجامعة ، وجعل إجازاته وحدها المؤهل الضرورى لتولى شؤون التعليم فى المدارس . وتلك هى الوسيلة المتبعة فى جميع الأمم لإتمامها الدورة العلمية الجامعية فى مختلف أجيال الأمة من الطفولة إلى الصبا إلى الشباب ثم إلى الكهولة و الشيخوخة فى البيئة الجامعية نفسها . وقد أنشئ هذا المعهد بالفعل منذ سنة ١٩٣٢ ، على أننى آسف إذ أقول إن المتخرجين فيه قصر عددهم ولا يزال قاصرا عن أن يمد المدارس فى وزارة المعارف وحدها بحاجاتها الملحة للمدرسين ، وأنها كثيرا ما تضطر إلى تعيين مدرسين فى مواد كثيرة لم يتخرجوا فى المعهد ، وأن دورة التفكير الجامعى لا تزال لذلك منقطعة . من ثم لا تزال المدارس المصرية تجمع ألوانا متباينة من عقليات شتى يشعر القائمون على التعليم بما تتباينها من أثر فى تكوين ناشئتنا من ناحية تربيتهم ومن ناحية ثقافتهم العامة ، ومن ناحية ميولهم .

أيها السادة :

هذه وجوه من النقص نشعر كلنا فى تلافيها . ويجمل بالحق إن أقول إن حداثة عهدنا بالجامعة ليست وحدها السبب فى هذه الوجوه . فقد انفسحت ميادين حياتنا القومية فى ربع القرن الأخير ، فلم يكن بد من أن ينهض شبابنا المتعلمون فى أوربا وفى مصر بالتبعات الجسام التى ترتبت على هذا التطور السريع ، ومن هؤلاء الشبان من أوفدتهم الجامعة منذ عهدها الأول ليكونوا أساتذتها والقائمين برسالتها . ومنهم من تخرجوا فى هذه الجامعة وكانت تخرجوهم للغرض نفسه .

ولم تزل هذه النهضة ، وتوثب البلاد جميعا إلى مكان المجد الواجب لها بين الأمم ، وتطلع الأمم العربية والأمم الشرقية إلى مصر ، واعتبارهم إياها الشقيقة الكبرى والرأس المفكر فيما يجب هذا الجانب الفسيح من العالم فى العصر الحاضر — هذا كله قد جعلنا أكثر احتياجا إلى الشبان المتعلمين ، وأكثر من ثم احتياجا إلى فتح أبواب الدراسات العليا فى التعليم الجامعى لعدد أكبر من الجدد الذى يشتغل بها فى الوقت الحاضر .

أما وذلك حالنا ، وتلك حاجاتنا ، فما أحرانا بأن نضاعف الجهد فى معاونة الجامعة على النهوض برسالتها كاملة فى إعادة الاستقلال العقلى لشبابنا . وفى الكشف عن الحقائق العلمية وفى إذاعة هذه الحقائق بين الناس .

وصور المعاونة الواجبة للتعليم الجامعى كثيرة جديرة بالتفكير فى أيها أحرى بالتقديم . وأول ما يجب علينا أن نعدد جامعاتنا ليكفل تنافسها فى شتى ميادين العلم دقة إدراكا للحقائق ، وليكون هذا التنافس لذته سببا فى ذيوع الحقائق العلمية وانتشارها وعناية الناس بها . وإذا ذكرنا أن فى اليابان اليوم عشرين جامعة يدفع تنافسها نهضة اليابان إلى الأمام دفعا قويا سريعا أيقنا أن إنشاء جامعات عدة فى بلادنا فيه من الخير للعلم وللحقيقة ولهذا الوطن ما لا يجوز الإغضاء أو التغافل عنه .

ومن وجوه المعاونة تقرير مبدأ يقضى استقلال الجامعة بتقريره . ذلك مبدأ عدم قابلية أساتذتها للعزل أو للنقل على النحو المقرر عندنا لرجال القضاء الأعلى ، فتقرير هذا المبدأ يكفل استقلال الأساتذة من الناحية العلمية . ويجب أن يكفل بقاءهم بالسلك الجامعى للنهوض بالعلم وبرسالة الجامعة .

وثمة ألوان شتى من المعاونة على نهوض الجامعة برسالتها جديرة بأن تكون موضع درس خاص . ولعل رجال الجامعة لا يضنون علينا بمحاضرات فيها . فإذا تحققت أزالت عنا ما لا يزال قائما بنفوسنا من التردد العقلى ، وجعل الجرأة العلمية فى طبيعة شبابنا ، وفتحت أمامنا من أبواب التقدم ما طمع منشئو الجامعة فيه ، وما لا نزل نطمح نحن فى إدراكه .

أيها السادة :

أطلت فى القول . وإنما دعانى إلى هذه الإطالة إيمانى بجلال رسالة الجامعة ، وبأن اضطلاعنا بعبء هذه الرسالة ، حرصا على معرفة الحق وإذاعته فى وطننا ، هو الذى يدنينا من المكانة الواجبة لنا . فلمصر ماض مجيد طويل أضاءت العالم خلاله بنور العلم . والعالم أشد ما يكون اليوم احتياجا إلى هذا النور ينقذه مما تورط فيه . والجامعات هى التى تذكى هذا النور وتضىء به جوانب العالم المظلمة . فأطمع فى أن تنهض بجامعتنا لتحقق هذا الحلم العظيم إننى لعظيم الرجاء ، وعلماؤنا ، وشبابنا الأذكياء ، قادرون بذكائهم ، وبصبرهم ، وباخلاصهم للحقيقة ، على أن يحملوا هذه الأمانة ، وأن ينهضوا بهذه الرسالة ، وأن يعيدوا لوطننا العزيز ، وللشرق كله ، مجدا طالما توج سناه هام أجدادنا ، وما أجدره أن يتوج هام أبنائنا وحفدتنا .

محطة الاذاعة وتعليم الجمهور

كيف تستطيع المحطة أن تساهم فى التثقيف ؟

لحضرة صاحب السعادة توفيق دوس باشا

المذياع ابتكار جديد لم يمض على استعماله أكثر من عشرين سنة . ولكنه مع هذه السن الصغيرة قد نما وعظم حتى صارت له المكانة الأولى فى الدعاية ؛ وحتى صارت الحكومات تستغله وتسرف فى استغلاله لهذه الغاية . وهو يعد الآن سلاحا ماضيا فى أيدى الديمقراطيين والاستداديين يستخدمونه لاقناع الجماهير فى أقطارهم وفى غير أقطارهم بنزاهة خططهم وعدالة مذاهبهم . ولا يكاد يخلو منزل من منازل المتمدنين فى أوربا أو أمريكا من جهاز الاستقبال . حتى المنزل التى لا تشترى الجريدة أو المجلة ولا تقتنى الكتب قد صارت لا تستغنى عن الراديو لأنه يمتاز بأنه أداة للتسلية كما هو أداة للتنوير . وهو يسمعنا ويمتعنا من حيث لا نتعب ولا نخصه بوقت معين . فإن ربة البيت المشغولة بطفلها أو بمطبخها تستطيع أن تؤدى أعمالها ، وفى الوقت نفسه تستمع الى الأغانى أو الأحاديث أو الأخبار . أما حين تشترى الجريدة فإنها لا تستطيع أن تقرأ إلا اذا تركت سائر أعمالها وأرصدت كل وقتها للقراءة .

والمقارنة بين الجريدة والراديو ، جديرة بالالتفات . و بخاصة حين تجرى الأمة على نظام حرية المنافسة بين الأفراد دون النظر الاحتكارى أو الاشتراكى لمحطات الإذاعة . ففى الولايات المتحدة مثلا أكثر من ٧٦٠ محطة للإذاعة تعمل ليل نهار . بل تعمل أكثر من ٢٤ ساعة فى اليوم . لأن " اليوم " فى الولايات المتحدة يزيد على ٢٤ ساعة وذلك لامتداد القارة الأمريكية على خط عرض طويل يجعل بين بزوغ الشمس فى نيويورك و بين أفولها فى هوليوود أكثر من ٣٠ ساعة . ومن هنا تعدد محطات الإذاعة فى تلك البلاد ووفرة برامجها . ولكل فرد أو شركة فى الولايات المتحدة الأمريكية أن يؤسس محطة للإذاعة ، وهى تربح من الاعلان عن البضائع التجارية أو من الدعاية . والولايات المتحدة الأمريكية هى فى الوقت الحاضر معقل المذاهب القائل بالمنافسة الحرة وكراهة النظرية الاشتراكية . ولذلك أصبحت المحطات الإذاعية هناك كأنها الجرائد يقتنيها الفرد أو الشركة ويديرها للكسب كما يفعل بالجريدة سواء بسواء . وقد تخصصت المحطات لهذا السبب كما تتخصص الجرائد . فكما أنك تجد بعض الجرائد تتفت الى التجارة دون الأدب أو الى الأخبار دون الصور والسياسة ، كذلك تجد مثل

هذا الاختلاف بين المحطات الاذاعية الأمريكية . فالأب أو الزوجة أو الأولاد يمكنهم أن يجدوا في كل وقت مايشتهون من الاذاعة كما يجدون ذلك في الجريدة. وإذا عرفنا أن الجرائد الأمريكية تصدر بعض نسخها في مئة صفحة وتعالج شتى الشؤون المنزلية والسياسية والثقافية والمالية والتجارية والفنية، بحيث يجد فيها كل عضو من أعضاء البيت ما يشتهي، جاز لنا أن نقول إن اختلاف المحطات الإذاعية وتعددها يتيح مثل هذا الاختيار أيضا .

وقد يتساءل القارئ أي النظامين أفضل : أن تكون لمحطات الاذاعية تجارة حرة كالجرائد يقتنيها أو يديرها أفراد أو شركات يتزاحمون ويتبارون ، أم تكون احتكارا حكوميا أي نوعا من الاشتراكية الحكومية ؟

الواقع أن لكل من النظامين ميزاته وعيوبه . فان نظام المنافسة الذي يجري عليه الأمريكيون قد جعل هذه الصناعة ترتقي وتثمر ثمارا مختلفة لا شك في أن بعضها من المذاق، ولكن معظمها مرىء ينير العقول ويهذب النفوس ويمتع الناس امتاعا ربما لم يكونوا ليجدوا بديلا منه سوى الخمر أو غيرها من الشرور . وتعدد المحطات قد أحدث التخصص كما جعل للشؤون المحلية قيمة لا يمكن للمحطة الرئيسية في نظام الاحتكار أن تجعلها لها . فهناك المحطات التي تختص بالاذاعات المنزلية، كما أن هناك محطات أخرى لها مراسلون في انحاء العالم، بل في الأقاليم النائية في الصين والمانيا والهند وروسيا وأفريقيا الجنوبية، وهم يرسلون التلغرافات إلى محطاتهم فتذاع عند وصولها . بل ان بعض المحطات تذيع الأخبار مرة كل ساعة، بحيث لا تزيد مدة اذاعتها على ثلاث دقائق. والمزاحمة الحرة تحمل المحطات على التجويد في البرامج وغرس الثقة في المستمعين بإيجاد أفضل المحدثين ممن شهد لهم بالاستقلال الفكري والخبرة. وقلما تريد الإذاعة على عشر دقائق حتى يسأم الجمهور . ولهذه الأسباب جميعها يمكن الأمريكي في أي وقت تقريبا من الليل والنهار أن يستمع لأسمى الأغاني والألحان أو لأحاديث أساتذة الجامعات في العلوم والآداب أو للاخبار الواردة من أنحاء العالم وليس بين ورودها وإذاعتها مايزيد على دقيقة أو دقيقتين، أو هو يستمع إلى ألوان من إذاعات التسلية يقوم بها متخصصون مشهورون .

ولكن إزاء هذه الميزات نجد أن هذه الحرية في إنشاء المحطات قد أوجدت — كما أوجدت في الجرائد — فرصة للمذاهب المختلفة التي تحتشاها الأمم الديموقراطية . فهناك في الولايات المتحدة مثلا محطة قد اختصها القسيس كوجلان بإذاعات تدعو إلى الفاشيستية . كما أن الاعتماد على أموال الاعلانات قد جعل هذه المحطات خاضعة لكبار رجال التجارة والصناعة ، لا تنتقد المصانع أو المتاجر الكبرى ، مهما أحدثت هذه من الأضرار بالجمهور .

وهناك أمم أخرى قد جعلت المحطات الإذاعية احتكارا للحكومة . والعادة المألوفة — كما نرى في بريطانيا ومصر — أن إدارة المحطة تكون ملكا لإحدى الشركات ولكن الحكومة

تعاهم لقاء لاحتكار - في الربح العائد من الضرائب المفروضه على من يقتنون أجهزة الاستقبال وتشترك في تعظيم الارباح. وميزات هذا النظام أنه لا يجعل المحطة خاضعة للاعلانات التجارية وهي عندئذ تحس باستعمال حريتها في النقد. وان يكن من البعيد جدا أن تعمد محطة حكومية أو تحت إشراف الحكومة إلى انتقاد إحدى الشركات التجارية. والاختبار يدل على أن هذا لم يحدث قط. بل العكس هو الذي حدث. أي أن المحطات الحرة التي تديرها شركات حرة في الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها هي التي تتجرأ أحيانا على هذا الانتقاد. ولكن الحكومة بإشرافها على المحطات الاذاعية تستطيع أن توجهها للخير وترصدها لخدمة العامة دون أن تبالي الربح العائد عليها. ولكن في هذه الحال يجب أن تكون المحطة ملكا خاصا للحكومة. والواقع أن الحال ليست كذلك، لأن وراء لاحتكار شركة تطلب الربح أولا وقبل كل شيء.

بعد هذه الملاحظات، نرى أنه يمكننا أن ننتفع بمحطة الإذاعة أكثر جد مما ننتفع بها في الوقت الحاضر. فقد يحسن أن تكون عندنا محطات إقليمية صغيرة لكل مديرية حتى يستطيع المستمعون في مديرية ما أن يجدوا الأخبار المتعلقة بمديريتهم. والمحطة الاقليمية في هذه الحالة تشبه الجريدة الأقليمية التي تعنى بالأخبار المحلية. ومن رأيي أن الأخبار يجب أن تتكرر طول النهار مرة كل ساعتين أو ثلاث ساعات مثلا ويضاف إلى كل خبر بعض المعارف التي تتصل به جغرافية كانت أم تاريخية أم سياسية. وليس من الحسن أن تجمع هذه المعارف في حديث معين في ساعة معينة، بل يجب توزيعها على الأخبار حتى لا يسأم الجمهور. كذلك أرى أن البيت يحتاج إلى عناية المحطة أكثر من أي شيء آخر. ونعني هنا بلفظة "البيت" كل ما يتصل به من شؤون المرأة والأولاد والزواج والسعادة العائلية والاقتصاد المنزلي ونحو ذلك.

ومما أخذه على محطة الإذاعة عندنا، أنها لا تعرض على المستمعين الإصلاحات الاجتماعية في أوربا وأمريكا ولا المكتشفات العلمية، فان الحضارة الأوربية في تطورها يجب أن تعرض علينا من محطة الاذاعة، حتى نعرف ماذا يتم في باريس أو نيويورك أو لندن من إصلاحات اجتماعية وأي المكتشفات أو المخترعات الحديثة قد أخذ به المتمدنون واستغلوه لتقدمهم. لقد استمعنا إلى أحاديث عن إصلاحات المستر روزفيلت وعن الاصلاحات الاجتماعية لمكافحة الفقر في انجلترا كما استمعنا إلى أحاديث أخرى عن التقدم الأخير في الكيمياء الصناعية. ولكن كان يجب أن نسمع أكثر وأكثر. ويجب أن تختار المحطة أولئك الكتاب القادرين على تيسير النظريات العلمية ووضع المكتشفات والمخترعات في قالب مشوق وصحي حتى يتجه جمهورنا في تفكيره إتجاها علميا وحتى يستطيع أن يحكم على الأشياء بقيمتها العلمية. دون العلم يسيطر على الحضارة العصرية ولا مفر لأمة متمدنة من درسه والانتفاع به وكثيرا ما يستمع الانسان لحديث كأنه مقال إنشائي لإحدى المجلات الأدبية. بل يمكن أن يقال

بن الأدب يستغرق أكثر من حقه فى محطة الإذاعة المصرية . و جمهورنا ليس من الثقافة فى المقام الذى يسمح له بتذوق هذا الأدب . ولابد من أن تتخذ خطة عملية لتنوير هذا الجمهور. ومهما نقل عن علاقة الجمهور بالمحطة فإنه ليس من المتيسر ولا من المعقول أن نرفع الجمهور إلى مستوى عال تستقر عليه محطة الاذاعة سواء من ناحية الأسلوب أو المعارف . وإنما المتيسر والمعقول أن تنزل المحطة إلى مستوى الجمهور أو على الأقل لا تفارقه ولا ترتفع عليه إلا بمقدار صغير لا يقطع بينهما الصلة . وقد استمعت لأحاديث فى مصر ألقاها كبراء خبراء فى فنونهم كانت تعلو على المستوى الثقافى عند الجمهور ، واعتقادنا أن السواد الأعظم لم ينتفع بها . وشأن الأحاديث هو شأن الأغانى . فإن المحطة لا يمكنها أن تفارق الجمهور وتتخذ ألحانا تزعم سموها مع نبوها عن الذوق المصرى . ولكنها يمكنها أن تخالف قليلا بالارتفاع على مستوى لعامى مع الحرص على ألا يكون هذا الارتفاع بمثابة القطيعة بين المغنين والمستمعين .

والواقع أن محطة الاذاعة عندنا تهبط كثيرا إلى مستوى الجمهور بل عامة الجمهور فى الأغانى والألحان ولكنها ترتفع عنه ارتفاعا عظيما فى الأحاديث ، حتى صار الجمهور يقفل الراديو كلما أحس أن حديثا قد ابتدأ ، فى حين هو يقبل الاقبال كله على السخيف المبتذل من الأغانى . وهذه حال تحتاج إلى العلاج . والعلاج هو ترقية الأغانى وتقريب الأحاديث إلى لغة الجمهور ومستواه الذهنى . وأملى فى مدير محطة الاذاعة المصرية كبير فى أنه سيصل بها إلى هذا المستوى الذى ننشده .

توفيق دوس

من وصايا الإمام على بن أبى طالب

للأشتر النخعى واليه على مصر

إياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الإطراء . فإن ذلك فى أوثق فرص الشيطان ليمحق مايكون من إحسان المحسنين . و إياك والمن بإحسانك أو التزيد فيما كان من فعلك ، أو أن تعدهم ثم تخلف . فإن المن يبطل الاحسان ، والتزيد يذهب بنور الحق ، والخلف يوجب المقت عند الله والناس . وإياك والعجلة فى الأمور قبل أوانها ، أو التهاون فيها عند إمكانها ، أو اللجاجة فيما إذا تنكرت ولم تتبين وجوه صوابها ، أو الوهن عنها إذا استوضحت هذه الوجوه . فضع كل أمر موضعه وأوقع كل أمر موقعه . والواجب عليك أن تتذكر مامضى لمن تقدمك من حكومة عادلة أو سنة فاضلة أو أثر عن رسول الله أو فريضة فى كتاب الله .

الصداقة العائلية

هى الواحة الخضراء فى صحراء الحياة

بقلم حضرة صاحب السعادة على جمال الدين باشا

حينما تنقضى شهور العسل وأعوامه الأولى من حياة العروسين ، وتخبو شعلة الحب المتوهج فى قلبى الشابين ، وتسكن فورة العاطفة الجارفة بسكون الغريزة ، وتصحو الأعين الحالمة على صوت التبعات والمشاغل .

وحينما تتراخى خطوات الزوجين فى صحراء الحياة والسنون تدلف بهما الى عالم من الوحشة والسكون ، وتفتر حماستهما المتأججة والحياة تبدو لهما بوجهها الشاحب الهزيل ، وتتساقط من حولهما أوراق العمر كما تتساقط أوراق الشجر فى نهاية الخريف .

حينئذ يتجه قلباهما فى هذه الصحراء إلى واحة ظليلة تعصمهما من الفاجرة ، وإلى نبع روى يحييهما من الظمأ . تلك الواحة التى يتجهان إليها هى الصداقة العائلية ، وهذا النبع الذى يرويهما هو ذكرى الأيام الأولى ، فإذا هما ضلا ظلال الواحة ، أو فقدا عذوبة النبع انقلبت حياتهما جحيما ، وعاشا للموت لا للحياة .

والصداقة العائلية لا ترتجل ارتجالا ، ولا تنشأ إنشاء ، ولا يقال لها كونى فتكون . ولكنها وليدة الأيام والسنين ، وثمرة الحب والمودة ، ونتاج التفاهم والتجاريب . وهى نبتة يتعهدها كلا الزوجين بالرعاية ، ويمدها بالماء والغذاء ، ويحفظها من عوادى الهجير ، ويدفئها من قر الزمهرير . وبغير هذا كله لا تنمو ولا تترعرع ، ولا تظلهما فى الصحراء يوم يتوقان للظلال .

بيد أن فتاة اليوم وفتاه ، لا يحذقان رعاية هذه النبتة الطيبة ، ولا يعرفان أصول الغرس والسقاية ، مالم يكونا بالأمس وهما طفلان ناشئان ، قد احتضنهما والدان خبيران بالغرس والسقى ، ودرجا فى كنف أسرة تظلها دوحة الصداقة ، ويرويها نبع المودة ، ويرفرف عليها طائر السعادة ، ويغمرها فيض الحنان .

وهذه هى الحلقة المفرغة ! فنحن فى حاجة إلى أسرة عرفت السعادة بالأمس، لنشئ أسرة سعيدة فى الغد . وهذا هو تضامن الأجيال الذى يقيد خطواتنا فى هذه المرحلة من تطورنا القومى، ويثقل من جهودنا للإصلاح الطلبق ، ويحتم علينا أداء الضريبة المتخلفة على الأجداد والآباء .

والتركة التى خلفها لنا آباؤنا تركة مثقلة ، والتى سنخلفها نحن لأبنائنا أشد ثقلا ، ولكن يجب ألا يحملنا هذا القول على اليأس ، بل يجب أن يحملنا على مضاعفة الجهد ، فما يحفز العزائم كفادح النتبعات .

لقد انقضى عهد كانت فيه الهوة عميقة بين الزوج والزوجة ، وبين الآباء والأبناء، حين كان الرجل هو سيد البيت المفرد ، وحاكمه الأعلى ، على طريقة السيادة الغاشمة ، ومنهج الحكم الاستبدادى ، فلم يكن إذ ذاك مفر من القطيعة الدائمة بين أفراد الأسرة إلا فى توافه الأمور وضرورات الحياة اليومية ، ولم يكن التفاهم مستطاعا بين الحاكم والمحكوم ، ثم زاد الجهل وفساد التقاليد هذه الحالة سوءا على سوء .

فلما انقضى ذلك العهد لم يصر المنزل إلى حكومة عادلة ونظام شورى ، ولكنه صار إلى تفكك وتشعث وإلى فوضى جامحة لا يعرف فى غمارها الرئيس ولا المرءوس ، ولا تفيء إلى وحدة جامعة ، أو دعامة قائمة : فالرجل فى النادى والمقهى بعد الديوان ، والمرأة فى الزيارات والحفلات إن كانت عصرية ، أو فى المطبخ ومرافق الدار إن كانت تعترف بوظيفة المرأة .

وقلما تجمع الوالدين والأبناء سهرة لطيفة ، أو نزهة خفيفة ، أو حديث للسمر ، أو رحلة للترويح ، وقلما يتبادلون التفكير ولو فى شؤونهم اليومية وحياتهم الواقعة . لا بل إن كثيرا من الآباء لا يرون أبناءهم إلا يوم الجمعة من كل الأسبوع !

وهذه وتلك بيئة لا تنمو فيها صداقة ، ولا تترعرع فيها مودة ، ولا ينبت فى تربتها تفاهم ، ولا يعيش فى جوها ائتلاف . وفيها تبذر كل البذور السيئة التى تسمم جو العائلة وجو المجتمع ، وتجعلنا نعيش كل حياتنا أفرادا مبعثرين متناكرين ، لا شعبا مؤتلفا متفاهما .

أجل هنا فى هذه البيئة المنزلية تنمو سيئات المجتمع كلها ، فالأطفال المهملون فى رعاية الخدم أو صحبة أترابهم فى الطريق ، هم أولئك الشبان المستهترون ، والموظفون المقصرون ، والأفراد الأثرون ، الذين لا يعرفون للواجب حرمة ، ولا للمجتمع حقا ، ولا للوطن مصلحة .

والأطفال الذين يشهدون كل ليلة معركة الآباء والأمهات ، هم أولئك الشبان وارجال المتنازعون فى الأحزاب ، المتنابزون بالألقاب ، الذين يحسبون النضال السياسى خصومات وشتائم ، والتنافس العملى مكايد ودسائس ، ولا يثوبون يوما ما إلى عفو متسامح ، أو عطف كريم .

جيلا واعيا بحاضرهم آباء المستقبل وأمهاته ، وبنات الأسر الجديدة التى تريدها غير الأسر القديمة . ولنطمئن لنشئ لنا جيلا راقيا ، نفاخر به الأمم فى الحياة الدنيا .

بعد الجهاد حن صانعون ؟

الرجاء الطموح هو الذى يعصمنا من اليأس المقيم ، والمثل الصحيح هو الذى ينير لنا الطريق القويم . ويجب أن نعتصم بالرجاء ، وأن نتعلق بالمثل ، وأن نستنهض فى نفوسنا كل عزم على الحياة السعيدة ، وكل رغبة فى المستقبل الكريم ، وكل حب لذواتنا و بلادنا ، ونستعين بهذه كله على خلق الصداقة المدنية فى جو الأسرة المصرية .

فينا من عاشوا فى البلاد الأوربية بضع سنين ، ولمسوا السعادة المنزلية التى ترفرف على البيوت فى تلك البلاد ، وعرفوا الوسائل التى يتخذونها هناك لتحقيق هذه السعادة . وفينا من الحكومة فى مصر بالأسر الافرنجية ، وغبطوها على الحياة الهنيئة التى تحياها ، وخبروا على مهل أسباب هذه الهناءة . وفينا من سعدوا فى بيوتهم بالفعل قصدا أو مصادفة . وعنوا بأن يتحاوا عن سببها . نالوا من هذا الخير . وفينا من قرءوا عن بيوت ناعمة وعلموا كيف تحققت لتنعمها هذا النعيم .

فعلى هؤلاء جميعا واجب فى أعناقهم ، لايحلهم منه إلا أن يكشفوا ماعلموا ، وينصحوا بما عرفوا ، ويدعوا ثم يدعوا دون ملل ولاسآمة ، عسى أن تؤثر دعوتهم ، وتنفع أمثالهم ، وتجدى مواعظهم ، وتنير الطريق للهائمين فى طلب السعادة العائلية وهى منهم فى متناول اليد ولكنهم لايعلمون !

وفينا آباء وأمهات وأزواج وزوجات يقرءون هذه الكلمة ، ولمن حق أنفسهم عليهم وحق أعليهم وأولادهم أن يبذلوا جهودهم فى تحقيق ماندعو إليه ، ومزاولة أسباب الصداقة العائلية فى الابتسامة الجذابة والكلمة العذبة والمودة الخالصة والتسامح الكريم ، وفى محاولة التقارب والتفاهم لاجتماع و لحديث والتودد ولو تطبعا حتى يصير طبيعة ، وتصنعا حتى يمسى سجية . وهم رابحون أولا وآخر .

وفصة الموقد فى البيت الأوروبى (Foyer) ، ينبغى أن تعاد وتكرر فى منازلنا ، وليس من الضرورى أن يكون موقدا للنار ، ولكن ليكن كما يناسب جونا وبيئتنا ، ويتسق مع عاداتنا وتقاليدنا ، وينبع من طبعنا وأخلاقنا .

وفصل الشتاء وقطار الحرب تمدنا بفرصة سانحة للاجتماع فى المنازل ، هربا من الظلام فى الشوارع والمقاهى ، فلنتهز فرصة إيوائنا إلى منازلنا مبكرين ، لنخلق حلقات السمر من زوجاتنا وأبنائنا وبناتنا ، ولنوسع مداركهم بمعلوماتنا ، ونمودهم المناقشة الحرة والأحاديث الاجتماعية ، ولنسرب بيننا و بينهم ، ونمزج نفوسنا بنفوسهم ، ونقطع هذا الجو الموحش الذى كان يسودنا و يسودهم .

وكثيرون أولئك الذين يعتذرون عن هذا بأن الفوارق الثقافية والعقلية فى المنزل تحول دون هذه الحلقات وتمنع من هذه المجاورات ، وهؤلاء أجد من تجربتى الخاصة ما أرد به عليهم ، وأستبيح لنفسى أن أتحدث عن شخصى ودارى :

فأنا أعيش فى شبه عزلة من الناس لا أحفل إلا بالأصدقاء الأوفياء الذين أحبونى لشخصى لا لمناصبى ، وهم قليلون . ولكن أولادى وزوجاتهم ، وبناتى وأزواجهن يزورنى كل ليلة ويقضون السهرة معى . ولقد كانت الفوارق كبيرة بين ثقافاتنا المختلفة المتباينة ، وبين أعمارنا وتجاربنا فى الحياة . ولكن حلقات السمر الليلية ، واستدكار نعمة الله علينا ، والاستماع إلى المذياع والتعليق على الحوادث والأخبار وتصحيح المطالعات والأفكار ذهبت بهذه الفوارق جميعا ، ورفعت المجموعة كلها الى المستوى الذى أكتب به هذا المقال ، وأضفت على الأسرة لونا من ألوان الصداقة والتجاوب يمزج وجوده بين الأصدقاء ، وجعلت الساعات التى أقضيها بالمنزل نوعا من المتاع يغنينى عن مخالطة أناس لم يريدوا أن يعرفوا فى إلا الوزير السابق ، ولا يريدون أن يعرفوا إلا الوزير الذى ترجى عودته ، وعن غشيان مجالس لا يتكلم فيها الانسان إلا بحذر ، ولا يسمع إلا أحاديث ومجادلات لاخير فيها له ولا لأحد .

ولن يعسر على أى إنسان أن يسلك هذا الطريق حين تصح عزيمته ، وحين يبغى لنفسه سعادة عاجلة وهناءة آجلة ، وإلا كان ظالما لنفسه وأهله ، عاقا لوطنه وشعبه ، وإن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون .

على جمال الدين

كان المسيو بانليفيه من رؤساء حكومة فرنسا السابقين يجتاز البحر الأبيض المتوسط على متن طائرة . وفيما هو يتأمل ما بين السماء والماء ، نظر إلى قائد الطائرة وسأله : " ترى ماذا يحدث لو توقف المحرك وسقطت بنا الطائرة فى البحر ؟ " فالتفت اليه الطيار وهو يبتسم ابتسامة خفيفة وقال : " تحدث أزمة وزارية فى فرنسا يا سيدى الرئيس "

احياء الصناعات الريفية

وأثره فى رفاهية القرية

لحضرة صاحب السعادة محمد حافظ رمضان باشا

كلما تعمق الباحث فى الأصول والأسس التى تعود اليها مشكلاتنا الصحية والاجتماعية والتعليمية ألفاها جميعها اقتصادية أو تمت الى الحالة الاقتصادية بأكثر من سبب . فان الانحطاط بين كثير من السكان يعود الى قلة الغذاء الوافى السخى . وكثير من فساد الأخلاق والميل الى الاجرام كذلك يعود الى الفاقة الملحة التى تدفع الى الشر . وعجز الآباء عن تعليم أبنائهم وعجز الحكومة عن ايجاد مدارس راقية عامة لجميع السكان يعودان أيضا الى فقر الناس وقلة موارد الدولة . وهذه الحقائق تزداد وضوحا كلما تعمق الباحث فى البحث وتغلغل فى الأوساط الفقيرة ، حيث يجد المسكن السيئ الذى تحيط به وتغشاه وخامة عامة فى الهواء والماء والطعام واللباس . فالغرف مظلمة والفراش موبوء بالحشرات ملوث بقذارة السنين بالى الأطراف مرقع الوسط . والذباب يعكف على بقايا الطعام وهو طعام خام لا تكاد تهضمه المعدة الانسانية . والملابس رثة قذرة كأنها لم تعرف الصابون .

هذه هى بيئة الفقر ، بيئة الوفيات التى لا تنقطع فى الأطفال ، بيئة الحميات المتوالية ، بيئة التعطل والمشاجرات بين الأزواج ثم بعد ذلك الاتجاه نحو الإجرام والتشرد .

ولهذا السبب ينتهى الباحث الى أن مشكلتنا الأساسية هى المشكلة الاقتصادية وأن الاصلاح الصحى أو الاجتماعى يقتضى قبل كل شىء الاصلاح الاقتصادى بزيادة الكسب للعامل — عامل المدينة وعامل الريف — حتى اذا زاد كسبه تحسن طعامه ولباسه ومسكنه واستطاع أن يشترى وسائل النظافة والدفء والهواء النقى . بل استطاع أن يقى طفله من التشرد وعندئذ تزول المشاجرات الزوجية — مشاجرات الفقر — ويشمل البيت جو من السكون ويحل الوفاق محل الخلاف والحب محل التنافر والتشاحن .

ولذلك يحس المصلح الاجتماعى فى مصر أن الواجب الأول لمكافحة الجريمة والجهل والمرض والشقاء العائلى وكثرة الطلاق ، إنما هو العمل لزيادة الثروة العامة والترفيه عن الطبقات الفقيرة بزيادة مكاسبها ، وأنه يجب أن تتوافر جميع التسهيلات لإيجاد نهضة صناعية حتى تنتشر المصانع العصرية التى تستوعب أكبر عدد من العمال فتخفف بذلك من ازدحام الريف وتغنى البلاد بمصنوعات وطنية يكون فيها المنتج والمستهلك مصريين . ولكن أهم من ذلك أن تقوم إلى جنب المصانع العصرية الكبيرة مصانع صغيرة لإنعاش أو إحياء لصناعات القروية .

وهنا نحتاج إلى بعض الإيضاح. فإن القرية المصرية كانت إلى ماقبل سنة ١٨٧٠ أو ١٨٨٠ تعيش بما يمكن أن نسميه الاستكفاء الاقتصادى . فكانت تصنع لسكانها كل ما يحتاجون إليه تقريبا من لباس أو فراش أو غيرهما مما يحتاج إليه البيت الريفى الفقير أو المتوسط . ولم يكن الفلاح يحتاج إلى الأقمشة الأجنبية ، بل حتى الأطباق والملاعق كانت تصنع فى القرى من الخشب . ولكن المصنوعات الأوربية الرخيصة التى تصنعها الآلات الكبيرة غمرت أسواقنا ولم تقم فى وجهها سدا من المكوس الجمركية . فماتت صناعاتنا القروية جميعها ولم يعد الفلاح يغزل و ينسج . ثم جاءت وسائل النقل الحديث الذى يتغذى بالبترول فأخلت بالاقتصاديات الزراعية وجعلت الفلاح المصرى حوالى سنة ١٩٣٠ لا يحصل (من حيث أثمان حاجاته) على نصف ما كان يحصل عليه سنة ١٨٨٠ . لأن القرية كانت قبل ستين أو سبعين سنة تزرع القمح والذرة والبرسيم فى ضعفى أو ثلاثة أضعاف المساحة التى تزرع بالقطن . فكان الغذاء كثيرا للفلاحين والعلف متوافرا للماشية واللبن كذلك متوافرا بكثرة الماشية . ثم كانت الصناعات القروية مزدهرة — وأهمها الغزل والنسج — فكانت الرفاهية عامة . وهناك من يزعم أن الفلاح كان مرهقا بالضرائب و يضربون مثلا على ذلك دمغ الدفئيات والزعابيط . وقد يكون فى هذا الزعم شىء من الحق . ولكن كان هناك على الأقل دفئيات وزعابيط يصنعها الفلاح وتفرض عليها الضرائب ... وهو لو كان يجد خسارا فى صنعها لتقل الضرائب لما غزل ولما نسج ! ثم كان النقل فى القرية والمدينة بالحصان أو الجمل أو الحمار . وكل هذه الماشية كانت تحتاج إلى خدمة الفلاح التى يحصل منها على أجور .

ولكن فتح أبواب الجمارك وإجازة دخول المصنوعات الأوربية بلا قيد ولاشرط ، قتل الصناعات الريفية قتلا تاما ، فعمت الفاقة الريف وأصبح ثلثا الأرض يزرع قطنا وقلت الماشية ، لأن الأتومبيل جعلها غير ضرورية أو كثيرة التكاليف . ويجب ألا ننسى هنا أن الرغبة فى زراعة القطن والتوسع الأعمى فيه هى السبب لمعظم كوارثنا :

هى السبب لاختلال الدورة الزراعية وقلة الطعام للفلاح والعلف للماشية .

وهى السبب للخطة الجنونية التى اتبعناها فى رى الأرض دون تفكير فى صحة الفلاح ولا نقول صحة الأرض وصحة الماشية وصحة النبات .

وهى السبب للاتجاه نحو التوسع الزراعى مع إغفال التعمق الزراعى فلم تعد لنا صناعات زراعية .

وكأن الاقتصاد الزراعى قد اقتصر على أن يجعل مصر عزبة كبيرة لزراعة القطن لا أكثر أما صحة الفلاح أو تشبع الأرض بالماء أو وفرة الآفات التى تنشأ من ذلك ، فلم يكن لها جميعها أية قيمة عند المتولين أمر الرى أو الزراعة فى مدى الستين من السنين الماضية .

والعربة مع هذا الافقار للريف قد وجدنا صعوبات أخرى فى إيجاد حركة صناعية فى المدن . فلا تستطيع المئات من المصانع الكبيرة التى تدور بالآلات العصرية . ولو سمح لنا بإيجاد هذه المصانع لجففت الازدحام عن الريف ولوجدت صناعات جديدة فى المدن بدلا من صناعات القديمة التى وئدت فى الريف .

ولكن بعد سنة ١٩٣٠ رأينا المكوس الجمركية تسمح لحماية الصناعات الناشئة . ووجدنا صناعات حديدة تنهض على أصول عصرية بآلات عصرية . ونحن نحسن أثر هذه المصانع فى هذه الحرب حيث نجد الكوب الزجاجى الذى نشرب به أو الأقمشة التى نحتاج اليها . ولم نكن نجد مثل هذا ولا قريبا منه فى الحرب الماضية . وأكثر من ذلك أطبخنا نسمع حركة المغزل فى يد الفلاح والعامل فى القرية والمدينة بعد نحو ستين سنة من ذلك الموت .

وكل هذا حسن . ولكن أحسن منه أن نتوسع فى هذه الصناعات من جهة وأن نحافظ عليها حتى لا تموت بعد الحرب بأى اتفاق تجارى جديد يفتح علينا أبواب الجمرك لمصنوعات رخيصة تتدفق من الأقطار الاجنبية وتخطف اللقمة من يد العامل المصرى .

وميدان التوسع فى هذه الصناعات كبير جدا . فان النول يجب أن يعود إلى كل قرية مصرية لنسج السجاجيد والأكمة والأقمشة والبشاكير والفوط والمفارش . ويجب أن تتوفر المصانع الآلية الكبيرة على إيجاد الغزل الذى تحتاجه هذه الأنوال . والنسج بالنول من الصناعات السهلة التى يمكن أن يحذقها الفلاح فى وقت قصير . ثم هو يجد فى بعض فصول السنة أياما كلها فراغ أو هى قليلة الأعمال الزراعية فيستطيع أن ينسج لعائلته ان لم يكن لقريته فيزيد كسبه بعض الشىء ويرفه عن أولاده ويشترى القليل مما يساعده هو وأولاده على النظافة أو الغذاء .

والصناعات الريفية كثيرة ولكن يجب أن يكون للنول المقام الأول فيها . لأن أعظم ما يستهدف لدخول الضئيل الذى يحصل عليه الفلاح هو ملابسه وملابس زوجته وأولاده . وليس هناك ما يمنع بتاتا أن يقوم هو وزوجته وأولاده بنسج جميع ما يحتاجون اليه .

ثم تأتى بعد ذلك صناعات أخرى كثيرة أهمها بالطبع ما يتعلق بمشتقات اللبن من زبدة وجبن ، ثم تلى ذلك تربية الدجاج وغيرها . وقد رأينا الارانب تربى فى بعض الغرب الانجليزية لكى تسلخ فراؤها وتستعمل للعاطف أكثر مما تسلخ للحومها . وقليل من التعليم والتدريب يمكن الفلاح من الانتفاع بفراء الأرانب . ثم هناك آلات صغيرة يمكن أن تصنع بها العلب من الصفيح لتخزين الأطعمة . وفى مصر كنا نشترى أيام السلم علبة السردين بقرش واحد . وهذا يدل على أن العلبة قليلة التكاليف . فلو أنشئت جمعية تعاونية لصنع العلب وتخزين بعض الأطعمة التى يصنعها الريفيون كالمربيات والزبدة وبعض الخضر لأغنيا ريفنا . ولعند البقالين فى القاهرة تباع اللوبياء الخضراء فى علبة مصدرة اليها من

الولايات المتحدة الأمريكية ، ويشتريها المتأنقون الذين يمكنهم أيضا أن يشتروا القوا كه بل الحساء فى علب مجهاة للفائدة . وعندنا فى الريف من البلح والفواكه الأخرى بل الخضر ما يمكن حفظه فى العلب وبيعه فى غير أوانه لسكان المدن .

وأخيرا هناك البجار الريفى لدى نسى حرفة للفاقة السوداء التى تعم قرانا وتجعل الفلاح يقنع بالمعيشة البدائية ولا يفكر فى حيازة كرسى أو سرير أو رف أو مائدة . فان هذا البجار يجب أن يعود إلى الحياة وأن يتعلم كيف يستخدم خشب الجميز والسنط والكافور فى صنع الأثاث الريفى الى جانب صناعته الأصلية للآلات الزراعية .

إننا نحس وطنية اقتصادية جديدة شعارها « المصرى للمصرى » فيجب ألا نتركها تذهب كلاما فى الهواء . بل يجب أن تتعاون حكومة وأمة على إيجاد المصانع العصرية الآلية الكبيرة فى المدن والمصانع الصغيرة فى الريف وجمعيات التعاون لترقية جميع الصناعات الزراعية . وبذلك تزول الفاقة السوداء التى تخيم على ريفنا وتعمم المرض والجريمة والفساد فى القرية المصرية .

محمد حافظ رمضان

من حكم ابن المقفع

لا يتقيك من شر الجاهل قرابة ولا جوار ولا ألفة . فمن أخوف ما يكون الإنسان من حريق النار قربه منها . وكذلك الجاهل : ان جاورك أتعبك ، وإن نسبك جنى عيبك ، وان صاحبك حمل عليك مالا تطيق . وان عاشرك آدبك وأخافك . مع أنه عند الجوع سبع ضار وعند الشبع أميل فظ . فأنت بهرب منه أحق بالهرب من حريق النار .

مصر
بين جوارف المؤثرات الاجتماعية

بقلم الدكتور منصور فهمى بك
مدير دار الكتب المصرية وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

أراد الله أن تقع مصر بين أفريقيا وآسيا والبحر الأحمر و نحر الروم، وقد هيأها هذا الموقع الجغرافى لتكون ملتقى للحضارات المختلفة من شرقية وغربية ، كما هيأها لتكون مطرحا لأنظار الطامعين .

وكانت بلادنا منذ القدم مركزا رأسيا من مراكز المواصلات العالمية بين أقاصى الشرق وأقاصى الغرب ، وأقاصى الشمال وأقاصى الجنوب. وهذا المركز وذاك الموقع وما يقدرانه من شؤون سياسية واقتصادية يجعلان لمصر أثرا مذكورا فى شتى العناصر الاجتماعيـة الفعالة فى حياة الأمم ومجرى التاريخ العام .

وإذا صحت لهداية الأفراد تلك الحكمة التى نقشت على جبهة معبد من معابد اليونان وهى : "اعرف نفسك" فهى أكثر صحة لهداية الأمم حين تستجلى هذه الأمم مكانها بين شتى التيارات الاجتماعية والمؤثرات العالمية .

وفى استجلاء الحاصل الواقع خير معين لما يرتجى ، وخير موجه لما يراد أن يحصل و يكون.

ولقد تبدو لى صورة مصر الاجتماعية حيث أستعرضها من غابرها البعيد من أجمل صور التاريخ وأروعها . وحسبى أن أذكر ما كتبه المؤرخ "جوان" إذ قال :

" كانت مصر منبعث أشعة الحضارة الأولى ومهد العلوم والفنون ومهبط العبادات والطقوس الدينية ، ومركزا تلاقت فيه أشتات الأفكار المفيدة والخواطر النافعة ، وكانت لهذه الأسباب ولموقعها من الدنيا القديمة ، ميدانا تجلت للأنظار فيه أجل حوادث التاريخ وأشد عظاته وقعا فى النفوس. برزت مصر من وراء ستار العدم إلى مجالى الوجود واستقت بكيانها الخاص قبل عهد ابراهيم بزمان طويل فرأت عظمة " صور وقرطاجنة" تبزغ شمسها ثم تجنح إلى الغروب ، وكانت هى كنبراس يتشعع من أضواء العلوم والفنون فى حين كانت روما وأثينا واسبارطه لم ينفض عنها بعد غبار الخمول ولم تخرج من الظلمات إلى النور ، وكان

لها السبق والفوق فى كل شيء حتى ان أحدث آثارها وأقربها منا عهدا يرجع فى الوجود إلى ما قبل حروب تروادة ، و يحق لها أن تفتخر بأنها أول من رسم طريق الحضارة للجنس البشرى واختط له الخطط ،وأنها أول من بث نفوذه فى أرجاء الأرض وسحيق أطرافها حيث تخذت لنفسها فى كل منطقة المستعمرات للجالية من أبنائها " .

وهذه الصورة المجملة التى يعرضها المؤرخون تشف عما كانت توليه بلادنا لأمور الدين والغيب وعالم القدسيات من العناية .

وقد كتب شيشيرون الخطيب الرومانى الأشهر :" لا يندر عندنا أن تسلب الهيا كل ما فيها ، وأن تؤخذ التماثيل . أما عند المصريين فليس من المألوف سماعه أن يعامل قط أو تمساح أو بجعة معاملة يصيب أحدها بعض الألم من جرائها ، فهم يفضلون أن يلحق أشخاصهم أشد العذاب من أن يصل إلى أحد هذه الحيوانات أقل أذى " .

ومما تقدم ذكره يستطيع المؤرخ الاجتماعى تقرير أن التقدم فى شؤون الحياة كان مسايرا عند المصريين لأمور دينهم وتقاليدهم .

مصر النصرانية :

ولما امتدت النصرانية الى بلاد النيل فى عهد الرومان وفى غضون القرن الثانى للميلاد . وترعرعت فى أواخر الثالث وأوائل الرابع كان تشدد المصريين لدينهم الجديد بارزا وتعصبهم له قويا . فكان منهم من تحملوا شظف العيش وخشونته ولاذوا بالصحارى المجدبة الموحشة من أجل العقيدة التى تملكت نفوسهم وكان منهم الشهداء فى سبيل إيمانهم بدينهم . ويرجع السبق الى مصر النصرانية فى اشاعة التقاليد الكهنوتية فى العالم المسيحى .

مصر الاسلامية :

ولم تكن مصر الاسلامية بأقل تمسكا بالاسلام من مصر القديمة أو مصر النصرانية فجاهدت لدينها بشتى أنواع الجهاد من فكرى وحربى ،واشترك فى ذلك حاكموها ومحكوموها وكان لمصر الاسلامية طابع خاص فى أساليب تدينها ، أثرت به فى سواها من الأمم الاسلامية الأخرى .

وإنى أعرض هذه النظرة العاجلة من تاريخ مصر الاجتماعى لألفت النظر الى أن بلادنا ظلت فى تاريخها الطويل دينية النزعة شديدة الحرص على تقاليدها ، ذات شخصية مؤثرة فى غيرها .

مصر الحديثة :

لى هذا أدع مصر القديمة لأنتقل الى مصر القريبة منا . ويلوح لى أنه يسوء المتأمل حال بلاد ، مهد فجر القرن السابع عشر أن يراها متناسية تقاليدها القديمة والمحافظة ، مفرطة فى السيرة على تراثها المعنوى ، واقعة من تيارات المدنية الغربية موقف المتأثر المقود . فطرائق التربية والتعليم تستمد كيانها من الغرب ، وأساليب النظم الادارية مستعارة من أساليب الحياة الغربية ، وفى العمارة ومكملاته عليه سمة الغربيين ، وفنوننا الرفيعة وما اليها أخذت مسالك تفهمها ، ورعية ذوى المقود والسلطان تتصاعف لتصير مصر غربية المظهر والمخبر ، أثرت نظم القضاء والعدالة بما سنه المشرعون الغربيون . ودحت العادات اللاتينية والانجليزية فى شتى حياتنا درجة ، وأصبح ما كان مستنكرا فى الماضى القريب من العادات شائع المذاق مقبولا ، وفى الجملة أصبح التغرب مدى ألفه الناس واصطنعوه دعاة يهيمون به ولا يرتضون بعيره بديلا .

أسباب التغرب :

ويجدر بالباحث أن يسائل نفسه عن شتى الاسباب الاجتماعية والطبيعية التى دفعت مصر الى السير فى تيارات المدنية الغربية فى غير تريث ولا احتياط عكس ما كانت عليه فى الماضى اذ كانت تقاوم كل تيار اجتماعى خارجى وتقف لصده أو لتكييفه بما يتفق وطبيعتها وبيئتها وحيتها القومية .

ويبدو لى أن من أهم الأسباب فى ذلك أنه مر على مصر حين من الدهر تفشت فيها ألوان من الفوضى والاضطراب ، وتبدلت هذه الفوضى التاريخية من نحو زمن الأيوبيين بعد تكاثر عدد المماليك والموالى فصعقت روح النظام ، وتعددت المنازعات الداخلية ، وطغت الحروب الخارجية المادية على الحياة الفكرية ، واستتبعت الخصومات وشهوة الغلبة والانتصار على الغير اليأس والاستقرار مما يمثل المؤرخين فى بعض عهود المماليك ، فانقطعت على الجملة صلة مصر بماضيها المستنير البعيد .

ومن أهم الأسباب كذلك أن بلاد الغرب كانت تعمل على قرار أنظمتها وكانت تشتمل فى تلك الحياة العلمية والفكرية وتتكشف الاكتشافات والمخترعات فتهيأ ذلك بلاد الغرب لتقلب موقف القائد الموجه لغيره من الأمم الغربية منها والتى كان يعوزها التنظيم ووسائل الحرص والتقدم .

ومن أهم الأسباب كذلك أن مصر المعرقة فى سباتها ، الضعيفة المتحللة فى وهنها ، فقدت كل حصانة وعدة ، ووجدت مصادر القوة والسلامة والتقدم عند غيرها من أمم الغرب فتخلت عن

مضمولها لما عند غيرها من الأفضل ، والضعيف بطبيعته منجذب الى تقليد القوة . وتآزرت كل هذه الأسباب لكى تنق مصر بنفسها من غير تحوط ولا تأثم بين أحضان المؤثرات الغربية جميعا .

وهال الأمر طائفة من الغيورين على قوميتهم . بل ذهب بهم هذا الهول الى نوع من اليأس فى اصلاح هذا الأمر الواقع ، ورد هذا التيار الدافع . لكنى أنكر على اليائسين يأسهم لأن المؤثرات الاجتماعية التى تقضى قضاءها فى الشعوب والأفراد قد تخضع هى الأخرى حين يوجهها المسيطرون برأيهم وشخصيتهم البارزة ، وذلك لأن أكثر الحياة الاجتماعية هى من خلق الانسان وعمله ومسعاه ، فهى إذن تخضع لقوة ذلك الانسان وعمله ومسعاه ان كان من القادة الصادقين المصلحين .

يقظة الأمة .

وكأنى بالأمم تستيقظ على صوت الهاتفين بتاريخها ، ودوى الطبول يدقها المنقبون عن فضائلها وقواها الكامنة فى أستار النفوس وخبايا الصدور .

وإخال أن مصر قد أخذت تتسلل من مرقدها الى هذه اليقظة المباركة وتزاح قليلا عن دائرة الحياة الغافلة الى دائرة الحياة الواعية العاقلة ، فطاف بفكر أبنائها أشباح لمعنوياتها الماضية ، وطيوف لتقاليدها المجيدة ، وأصبح لنا فى هذه اليقظة أمل لبداية عصر للبعث والنهوض . وأقرب الأدلة على ذلك اننا حين شعرنا بلغتنا يفشو فيها الضعف وتتعرض للانهيار أنشأ عاملون من القادة المميزين مجمعا للغة التى هى أخطر مشخصات القومية .

وكذلك حين أحس المستنيرون منا أن أخلاقنا فى تحلل اذ أخذنا نصطنع أسوأ العادات من حضارة الغربيين ثبتت فى نفوسهم فكرة مجلس للشؤون الاجتماعية حال بعد قليل الى وزارة لتلك الشؤون .

وهكذا أنشئت جماعات للاصلاح الاجتماعى ذات نزعات لشتى التوجيهات التى تتأكد بها شخصية الأمة ويستقيم بها سيرها فى سبيل كمالها المنشود . وفى كل أولئك برهان على يقظة الأمة وتنبهها لمعرفة نفسها وماضيها وقيم السبل التى تساق فيها سوقا ، فإذا صح زعمى فى حدوث هذه اليقظة فمن الحق أن نسائل أنفسنا عما يجب أن يصطفى من العرب وعما يجب أن يتجنب .

ما يصطفى وما يتجنب

المدنية الصناعية :

وعندى أن أول ما يجب اقتباسه من مدنية الغربيين هو الحضارة الصناعية . فلست ممن يجحدون قدرة الغرب على الصناعات واستخدامها ، ولست ممن يهونون قيمة الخدمات التى تؤديها الآلات ، بل إننا نحمد جهود من يروجون للمدنية الصناعية . انما ننكر على هؤلاء المروجين

نزوعهم للتجنى على المعنويات ، والثقافات التى تقوم عليها هذه المعنويات ، ننكر عليهم ذلك لاعتقادنا أن الحضارة الصناعية اذا هى أفلتت من قيود المعنويات من دين وفضائل فانها تنقلب الى سلاح خطر فيصبح الناس كأنهم بلا أفئدة ولا رحمة ولا وجدان ، وتصبح الآلات وأشياعها ومديروها سوط عذاب وخراب ، وفى حالة الغرب الحديث شاهد على ما نذهب اليه . فمرحبا بمدنية الغرب الصناعية اذن ماظلت لنا أخلاق نصان ودين يراعى ، ولا أهلا بها ما أفسدت فينا الوجدان وأضعفت فينا قداسة المعنويات .

المدنية الفنية :

وقد يستوقف نظر الباحث الاجتماعى من مدنية الغربيين مظهر المدنية الفنية ، التى يعتمد عليها فى تربية الأذواق وشحذها وترقية الحواس وتنبيهها . وإنى لا أذهب مذهب فيلسوفهم " روسو " الذى كتب رسالته المشهورة فى تسفيه الفنون وانتقاصها حين يرى أن المسارح والمراقص وألوان الملاهى وضروب الخيال انما تقوى الشهوات وماهو سيئ وضعيف فى ملكات الانسان وقواه . ولعل رأى "روسو" الذى لاق قبولا فى بعض مجامع العلم لم يعدم حتى اليوم أنصارا . فقد يجد لنصرته من لا يفتأ يصيح برد الناس عن المراقص والتصوير الخليع والأدب الهازل المستهتر وصنوف الزينة المتبجحة وفنون المستحدثات المنحطة فى الأثاث والرياش والترف الرخيص وما الى ذلك من حواشى المدنية الفنية العابثة .

و إنه ليغمرنى الأسى حين أشعر بأن هـذه الثقافة الفنية أصبحت تغمرنا فى غير رفق ولا أناة . فنحن الآن لانستحى مما كان باعثا حقا على الحياء ، وأصبح منا من يصرّفون نشاطهم المخصص للإنتاج السليم إلى هذه الحياة الفنية المثيرة لأحط الغرائز وأوضع الشهوات .

أما الفن الصحيح الذى يرفع النفس البشرية نحو الالهامات العليا و ينسمها ريح الأبدية والخلود فقد أصبح حظ الغرب منه فى هـذا العصر الحديث قليلا وأصبح حظنا فى محاكاة غيره من الفن الزائف هو الأوفر الملحوظ .

الفلسفات الزائفة :

ومن الأمور التى شاعت فينا على غير وجهها الصحيح من أثر جوارف التيارات الغربية والمحاكاة الضالة الغبية مايصح أن يطلق عليه اسم الفلسفات الزائفة . ومظهر هذا التفلسف أن بعض الآراء الاجتماعية التى صدرت عن المفكرين الغربيين حين أوصلتهم نظراتهم و بحوثهم العلمية اليها فرضوها واضعوها وفهموها فهموها على وجهها الحق وقوموها الناقدون بقيمها . أقول إن هـذه الآراء هبطت إلى رءوس الجماهير من عامة الناس فأدركوها على غير حقيقتها

وقومت عندهم بغير قيمتها فأسيء استخدامها ، فأصبح الناس يلتمسون من عبارة الحرية والمساواة ما ييسر عليهم مذاهب التخبط الفكرى والاستهتار فى المسلك وتضييع الحرمات والقداسات كحرمة المعلم وحرمة الأبوة وحرمة الزوجية وحرمة السن وقداسة العقائد والتقاليد وحرمة التميز والمكانة وما شاكل ذلك مما أصبح عند المقلدين رخيصا .

قد يردد لسان أحد الناس عبارة الحق والحقوق ويصيح ويصخب ويدأب ويغضب فى طلب هذا الحق أو تلك الحقوق ، لكنه لايتحرك ولا يتعب ولا يدأب فى سبيل الواجب وأداء ماعليه من واجبات ، وقد نجد بعض الناس يهلل ويكبر ويداور ويدبر لديموقراطية ومراميها ومع ذلك فاشد مايشغل نفسه فى أعماقها وصميمها وجوانبها الانانية والصالح الخاص.

وقد نسمع بعضهم يرفع أنات الألم من ظلم الأغنياء للفقراء وبطش الأقوياء بالضعفاء ويبعثها صيحات مدوية حتى إذا ظفر بحظ الأغنياء وامتلا بصحة الأقوياء عادت صيحاته برما بالفقراء واحتقارا للضعفاء .

وقد نجد بعض الناس يذكر الحرية ويتغنى بها ويسبح لذكرها تسبيحا ، فإذا بحثت عن مصدر هذا الوحى فلاتجده إلا نزعة الاندفاع وراء شهواتها الجامحة ، والاقتداء بشيطانه الخفى الرجيم فى ميدان اللذائذ والموبقات .

أعرف سيدة أخذتها الشفقة على فتاة من صميم الريف فأحضرتها إلى القاهرة لتعون على تربيـة طفلها ، وعانت السيدة ماعانت فى سبيل الله لتطهيرها من أقذارها وتطييبها من أمراضها وأوبائها وإكرامها بنظيف الثياب وطيب الطعام ووثير الفراش وفسيح المجال لها للتروض مع الطفـل فى البساتين ودور الحيالة والمتنزهات . وأصبحت الفتاة تتصل بمثيلات لها فى المهنة وفى السن ، وما كادت تستمرئ المتاع بهـذه النعم حتى تطاولت الى التمتع بحريتها فيمن تخالط وقت ما تريد ، وما كادت السيدة تمانع فى مطلب الفتـاة حتى صاحت بها الفتاة صيحتها : " إنى حرة أفعل ما أريد " .

كلا يافتاة! لا يجتر بالحرية من لايحسن استخدامها . ولكل حرية حدود فى أوامر الله ومبادئ الخلق وأصول العرف المحترم .

•

اسبور :

وقد دخل الينا من جوارف التيارات والعادات الغربية تحت اسم : " الرياضة والتسلى " مامن شأنه أن يضعف فضائل الاحتشام والاتزان فى الرجل والمرأة على السواء . فقد تسمع بعضهم أو بعضهن يذكر أن الرقص رياضة ، وأن ارتياد الأندية الليلية مع غير ذوى الأرحام رياضة . وأن انفراد الفتاة بسيارتها تقودها وتنطلق بها إلى حيث تشاء رياضة . وأن التبذل

فى الأزياء رياضة . وأن لبس المجامر على المناطق صيغا رياضة . إلى غير ذلك وكل أولئك على زعم إن صح أنه رياضة فهو ليس من الرياضة التى تكمل بها الفتوة . وان صح تسميته تسليا فهو ليس بالتسلى الذى يبرأ من الأذى .

التغرب

وخلاصة القول إننا أخذنا على الغرب الكثير من شؤونه مما لم يسم بها الغرب ، وفرطنا فى الكثير من شؤوننا التى سما بها وتفوق ، وتهافتنا على مدنيته فى أوراقها الذابلة الساقطة ولم نرشف منه العصارات القوية التى دبت فى أصوله وفروعه وكونت أينع زهوره .

يسوؤنى وقد يسوء الكثير من المواطنين والمنصفين قبول بلادنا أثر التيارات الاجتماعية المقوتة التى أشرت اليها . ومع ذلك وبرغم مقتنا لها ونقدنا إياها قد نرى أنفسنا متورطين فيها ومنساقين اليها .

فليت شعرى ما الذى يدفعنا فيها ، وما الذى يهون علينا السير فى مجراها المكروه ؟

ربما أجدنى ألتمس المعذرة لمن تورطوا فيها عن غفلة وجهل ، وربما أحاول فى تجور وتسامح التماس هذه المعذرة لمن استسلموا لهذه المؤثرات فتعودوا هذا الاستسلام فأضعفهم عن أدنى مجهود للمقاومة ، لكن لا أجد عذرا لمن أدركتهم اليقظة بعد أن توغلوا فى مختلف التيارات الاجتماعية ثم تبينوا مخاطرها على الأمة ومع ذلك يقبلونها فى غير تحرج ، ويريدون غواية الغير على قبولها . إن هؤلاء هم الغاوون الذين يجرون الى المهلكة الأبرياء . إن هؤلاء هم المفسدون المكرة الذين يدعون الى الفساد من يجب أن يصانوا عنه من الأبناء ، إن هؤلاء يئدون جيلا آخر سوف يحملهم عند ربهم وأمام التاريخ والوطن الخالد تبعات شرهم ومكرهم ويسألهم أى ذنب اقترفنا وأى خطيئة اصطنعنا حتى مهدتم لنا سبيل الضلال وجهزتمونا لطريق المفاسد ؟

قبل هؤلاء المضللون ينبغى أن نجبههم بالنصيحة الصادقة ، ونقول لهم فى غير تردد : اذا قدر عليكم الشر فاهلكوا فيه وحدكم ولا تظلموا أبناءكم ، فمن حق الأبناء عليكم أن يصانوا من كل مكروه .

وإنى إذا صح لى أن أتهم الجهل والغفلة وضعف الخلق فى تسيرنا صوب التيارات الاجتماعية المسيئة ، فإن أشد ما أتهم هى المسئولية ، وأشد من أتهم فى ذلك هم المسئولون المسيطرون وقادة الرأى وذوو النفوذ .

انا نحب لبلادنا أن تصطنع الحضارة الصناعية وتغترف من بحرها الزاخر ماتشاء ، لكنا نكره لها أن تقبل العلم بريئا من القلب ، وتتلقى تطبيقاته الصناعية خالية من الضمير ، نكره لها

أن تنظر للعلم وتطبيقاته نظرة العالم الرياضي "بوانكاري" حين يذهب الى أن العلم لا خلق له . وحقا لقد ظهر العلم فى الغرب مقطوع الصلة بالضمير .

أما ونحن أمة دينية النزعة فى أطوارها ، شرقية اللون فى مشخصاتها الجسيمة ، فاننا نسلم للعلم وتطبيقات العلم يوم يسير العلم وفنونه الينا فى حشده المهيب رافعا لواء الخلق والسلام والوجدان طاويا لواء الأنانية والتدمير والتخريب .

نحب لبلادنا أن تقدر للفن الرفيع قيمته ما دام يسير الينا هذا الفن الرفيع وحواشيه رافعا لواء السمو مسايرا لعظمة المبادئ الالهية التى نشأت فى الشرق وفى مصر ، ونكره لبلادنا أن تفتح ذراعيها لفن مدنس بألوان الخطة يسير الينا خببا طارحا ثوب الحياء .

نحب لبلادنا أن تستبيح لنفسها أساليب الرياضة والتسلى على أن تمد هذه الرياضة وهذا التسلى عناصر القوة والمناعة والخشونة لا عناصر النعومة والترف وصرف الوقت دون التعمير والتثمير .

نحب لبلادنا أن يحتفظ أبناؤها بحرياتهم وبحقوقهم وبعزتهم النفسية على أن تظل هذه الحريات وهذه الحقوق وهذا الاعتزاز قصية عن الأهواء والتسلف ، مسيجة بحدود النظام والعرف الصالح وقدسية الآداب والحرمات .

نحب لنسائنا أن يصبن أقساطهن الوفرة من التهذيب والعلم والتثقيف ، على أننا نكره لهن كل ثقافة تضيع عليهن خير ما تمتاز به المرأة المصرية من التعفف والصون والطهر والحياء ، وتفوت عليهن تبعات مملكة العائلة وقداسة البيت ودواء الإيمان بشرائع الله .

نحب أن نأخذ عن الغرب تبره المصفى ليطهر فى حرارة صرائقنا الشرقية وحياتنا القومية . ونكره أن نعفر وجوهنا بتراب الملوث .

نريد بعد أن تبلبلت آراء بنى الانسان واختلفت أنظارهم فى تقدير الخير وانشر وضلوا عن سواء السبيل أن تكون كلمة الله هى العليا ، وأن نسلم للدين وللخلق ، وأن يكون صوت الدين هو الأسمى والأطهر وأن يكون وحى الخلق هو المسيطر الأكبر .

منصور فهمى

الشاب المثقف في القرية

لحضرة صاحب العزة الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظه بك

عضو مجلس النواب

كثر الكلام عن القرية وأحوالها وطرق اصلاحها حتى ليخيل الىّ أنه لم يبق لى ما أقوله عنها وأنا بطبعى أخشى الاملال وأكره التكرار .

ولكن القرية وطنى الصغير الكبير ... الصغير بصغر المساحة التى يشغلها على الأرض ، والكبير بالحيز العظيم الذى يحتله من القلب .

والقرى يسكنها تسعون فى المائة من أبناء البلاد ، فلهم فى أعناقنا من الحقوق ما يساوى هذه النسبة أو يزيد ... أستغفر الله . فلست أطمع لهم فى كل هذا وانما كل ما أطلبه أن أوجه النظر اليهم من جديد ، فيسوى القائمون بالأمر فينا بينهم و بين سكان المدن فيما ينعم به هؤلاء من يسر ورفاهية وعيش رغيد . إن حرمان الريف من كل أسباب الحياة الطيبة جعل أهله إذا زاروا المدن يؤخذون بسحرها وتملكهم فتنتها وتبهرهم زينتها ، فيتزحون إليها و يسترفدون الحياة فيها و يلبثون لا يتحولون عنها أو يخليهم رجال الشرطة إذا خان بعضهم التوفيق ولم يجد فيها عملا مشروعا .

عند ما زرت عواصم أوروبا الكبيرة لأول مرة كانت دهشتى عظيمة لعدم عثورى فى هذه المدن من حيث جمالها وتنسيقها وزخرفها وعظمتها على شيء يستحق الدهشة . فان القاهرة والاسكندرية و بورسعيد تكاد تضارع تلك المدن وهى عواصم المدنية والحضارة ، حتى انها لا تشعر بخجل عند المقارنة والمفاضلة . أما إذا عن لك أن تقارن الأرياف بالأرياف فهنا تأخذك الدهشة وتتولاك الحسرة لأن المقارنة مستحيلة ، بل هى تفضح اهمال الحكومات المصرية المتعاقبة لشأن الريف مع أنه مناط آمالها وموطن رجائها أو مصدر الثروة التى تجمل الحكومة بها المدن وتنظمها وتنشىء بها الحدائق والتماثيل والميادين ، ثم تسبغ منها على بعض الموظفين المدللين المحظوظين فيتنعمون و يتأنقون و يسيرون فى منا كبها متبخترين يتظرفون . أما الفلاح فانه يواصل العمل بالليل والنهار ، ثم يعود إلى داره وأية دار ! ! ؟ لا أصفها فكلنا يعرفها .

ولست أطيل الكلام عن الفلاح وداره ، وعن ملابسه وأسمائه وأطماره ، وعن بؤسه وبأسه وشقائه . فقد كثر عنه الكلام حتى ملت ترديده الألسنة والأقلام ...

ولكني مع هذا أحب صادقا أن يفهم الفلاح لمصري أنه الآن غير مضطهد . ولكنه اضطهد من زمن بعيد بعيد جدا ، حتى أضحت عنه مزمنة ، يعمل الجميع على علاجها بهمة واخلاص ، ولكن الداء يستعصى على الأطباء فيلحون عليه بالدواء . وهو الآن والحمد لله يتقدم رويدا رويدا نحو الشفاء . ولا أنكر أن هذا التقدم يسير بخطوات وئيدة بطيئة ، ولكنها وطيدة سديدة .

وخير ما يخدم به الريف هو التعليم ونشر الثقافة .

التعليم وحده ينهض بالريف الى المكانة التى نرجوها ونرنو إليها من أمد بعيد . وقد نما التعليم وتقدم فى السنوات الأخيرة ، فوجدنا له فى الريف آثارا حسانا ونتائج ملموسة بارزة وتطورا مباركا يبشر بالفوز العظيم والخير العميم .

إذا تعلم الفلاح وتفتحت عيناه للضوء عرف وحده ما يضره وما ينفعه ، وتجنب وحده الأخطار التى تهدده بسبب البيت الذى يسكنه والقوت الذى يتبلغ به والماء الذى يشربه . وهو عندئذ يوفر على وزارتى الصحة والشؤون الاجتماعية أكثر الأعباء التى تبذلها الحكومة فى سبيل حمله على العناية بنفسه كأنها المرضع تحنو على الطفل وتحمله على كتفيها وتداعبه وتغذيه وتهشكه .

لو تعلم الفلاح ثم أرادته الحكومة بالاكراه على أن يشرب ماء ملوثا كما يفعل الآن لرفض وثار عليها وتمرد وأخذ يذكرها ضرر البلهارسيا وخطر الانكلستوما والدوسنتاريا . وحدثها عن ميكروبات باستور وا كتشافات بهارس .

إن الفلاح يتقدم بتقدم التعليم فتتقدم القرية معه . وسأذكر هنا أمثلة تدل على أن الفلاحين يسايرون الرقى العصرى والمدنية متى استنارت عقولهم بشىء من العلم والثقافة ، ويتدرجون تدرجا يحق لنا أن نعقد عليه آمالنا وتطمئن به نفوسنا .

(١) أنشأنا فى قريتنا — غزالة — بمديرية الشرقية منذ زمن بعيد بئرا ارتوازية ماؤها عذب صحى نقى أثبت التحليل لمصلحة المياه أنه من أصلح المياه للشرب . وأبحنا هذه البئر للقرية لتنقذ أهلها من الماء الآسن الملوث الذى يفشى الأمراض فيهم ويفتك بهم فتكا ذريعا . أبحنا لهم الماء ولكنهم أعرضوا عنه على عذوبته ونقائه وصفائه حتى كدت أكرههم فى بعض الأحيان عليه إكراها كما لو كانت لنا فى ذلك مصلحة خاصة . وتقولوا على الماء ونتائج الاقبال عليه تقولات يعرف بعضها صديق عبد القوى باشا وزير الأشغال . وطالما كانت

بعيدا عن الموضوع فكانت لنا وقفة في أوروبا . وقد سئمت فتركتهم وشأنهم زمنا طويلا ولكنهم أخذوا وحدهم يدركون قيمتها فأقبلوا عليها أيما اقبال ، وأصبحوا يتسابقون اليها ويقتتلون من أجلها ، ولا سبيل الآن للخلاص من ضجيجهم ومشاكلهم إلا بانشاء بئر أخرى مع هذا الغلاء .

المثل الثاني — وجدته واضحا جليا أثناء الانتخابات العامة لمجلس النواب ، وقد مارستها منذ بدأت الحياة النيابية وكنت وما زلت نشيطا أزور الناخبين بنفسي في دوائر عديدة والشرقية . أزورهم في دورهم ، وأتفقد أحوالهم ، وأخطبهم ، وأسمع خطباءهم وشعراءهم وألبي بارتياح دعواتهم ... فماذا وجدت ؟ ؟ كنت في المرات الأولى أجد أثناء زيارتي تلا يقدم لي ببعض البيوت ما لا يطاق وكنت أتناوله على مضض وكراهة . وكنت أجرؤ الحيا على الاعتذار رغم ما يعقب ذلك من نتائج وخيمة . فانهم كرام يشعرون بألم الإهانة اذا رفضت ما يقدمون ، وينسبون ذلك للتعالي والكبرياء والصلف فيغضبون . وويل ثم الويل لمن يغضب عليه الناخبون .

أما في المرات الأخيرة فقد وجدت عجبا ! ! ! وجدت تغييرا مدهشا في بيوتهم من حيث الأثاث والترتيب والنظافة ، وفي ملابسهم وفيما يقدمون لضيوفهم .... لقد نحت البجوة المروتة ، وغارت الشربات المركزة ، واختفت القهوة المأوثة . والسكر .... فصع السكر التي كان يقضمها الناخبون الكرام بأسنانهم أمام عينيك لتحل بها القهوة ، والأعواد التي كانت تذاب بها بعد أن تهذب بالطريقة نفسها . تبدل كل هذا وأصبح "يوم ما يقدم تظيفا شهيا لا تعافه النفوس بل ترغب فيه وتشهيه ..... وكان هذا للرشحين في العهد الأول تلذيبا لا تكريما ، وتنكيلا لا تجميلا وتعظيما ، يشفع فيه حسن النية وشرف الغاية .

المثل الثالث — نجده في المستشفيات . فقد كان المريضون يرون الموت الزؤام جاثما بانتظارهم خلف أبوابها فيستسلمون للمرض مهما كان خطيرا ولا يلجون هذه الأبواب . وطالما دل المريضون اطلاق النار مع رجال الشرطة أثناء تفشي الوباء لاخفاء مرضاهم والدفاع عن حياتهم . والله يعلم هل كانوا يدافعون عن حياتهم أو يدافعون عن موتهم .

أما اليوم فالمستشفيات على كثرتها بالنسبة لما كانت عليه لا تكفي المرضى المساكين . ولعل من متاعب أعيان البلاد كثرة ما يعانونه من الحاح طلاب العلاج لتقبلهم المستشفيات .

* * *

أما واجب الرجل المثقف نحو أبناء قريته فهو التبشير بينهم بالثقافة ليعلموا أولادهم ويعلموهم الخدمة وطنهم . وعليه أن يحضهم على العناية بصحتهم ، والعمل على الصلح بين أهل بلده وصيانة الأمن العام والأخذ بالتجديد في زراعتهم واتباع الطرق العلمية الحديثة .

وأن ينشر بينهم مزايا الجمعيات التعاونية لانقاذهم من مخالب المرابين وبراثن المحتالين والمضاربين . وأن يحبب إليهم إنشاء المجالس القروية لتنظيف القرية وتنظيمها وتجميلها وانارتها وعنايتها بالماء الصالح ، وإرشاد أهلها إلى فائدة الشمس والهواء يتخللان الأكواخ والدور كما يتخللان القصور وهما فى الأرياف أقرب منالا .

وعليه ألا يصور لهم معيشتهم كلها بلون قاتم حالك ، وليذكر لهم ما فى المدن من شر مستطير بجانب ما فيها من خير كثير . فان الريفيين أهل كرم وشهامة ونجدة والخشونة تكسبهم شجاعة ورجولة . وليست كل عادات الافرنج التى فشت فى المدن جميلة بديعة . فالقمار والرقص ومعاقرة الخمر والخلاعة والميوعة ليست من السلع التى تروج فى الأرياف فهى منها برئية .

وما قرأت مرة عن حفلة كوكتيل تقيمها فى العاصمة سيدة مسلمة حتى شعرت بتقزز واشمئزاز ... وأزمعت الرحيل وتهيأت للسفر .

لقد أطلت كثيرا وأخشى أن أسيء إلى بعض الناس بغير قصد ولكنى أختم هذه الكلمة بأن أدعو المصريين جميعا للاقتداء بجلالة مولانا الملك فى عطفه على الفلاحين وبره بهم ، وعنايته بأمورهم وتفكيره كل يوم فى شؤونهم . ومبرته الأخيرة للفلاح مازالت حديث الناس والأندية .

ابراهيم دسوقى أباظه

من أدب القرآن الكريم

ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد . وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد .

العدل الاجتماعى

بقلم الأستاذ الكبير عبد المجيد نافع

المحامى وعضو مجلس النواب

فى كل مجتمع إنسانى ، وفى كل عصر من العصور ، تقع مظالم اجتماعية فى صور مختلفة وألوان شتى، بحكم احتكاك الأفراد بعضهم ببعض وتصادم مصالحهم الذاتية واختلاف ميولهم ومشاربهم وتباين نزعاتهم ووجهاتهم و بمقتضى الروابط التى تربطهم بالسلطة الحاكمة . وتلك المظالم تختلف شدة ولينا باختلاف البيئات وتباين نظم الحكم .

ولعل طلاب الكمال الإنسانى والمثل العليا حين يحكمون على هدى تاريخ الإنسانية إلى اليوم ، يشهدون بينهم و بين أنفسهم أن الظلم كمين فى أعماق النفس البشرية ، القوة تبديه والضعف يخفيه ، وأن صورة الإنسان المتوحش إذ كان يضرب فى ظلمات التاريخ فيقضى لنفسه بنفسه و ينتزع مال جاره الضعيف أو ينتزع روحه التى بين جنبيه تحقيقا لأطماعه و إشباعا لشهواته ، لا يختلف عن الإنسان المتحضر الذى يستغل أخاه الإنسان فى أقبح مظاهر الاستغلال ، إلا بقدر ماتختلف الوسائل وتتميز ضربات القبضة الطبيعية من القبضة الحديدية .

على أن الدولة التى تهيمن على الشؤون العامة وتبسط سلطانها على الشعب ، وتأتى بشرائعها وقضائها وشرطتها تكفل حياة الأفراد وحرياتهم وأموالهم ، هذه الدولة كفيلة ، إذ لم يكن بالقضاء على المظالم الاجتماعية جميعا ، فلا أقل من تخفيف آثارها إلى أبعد حد .

ولكن مدى قدرة الدولة على تحقيق مبادئ العدل الاجتماعى كانت ولا تزال مثار جدل عنيف حاد بين علماء الاقتصاد ودعاة المذاهب الاشتراكية . فأما غلاة المذهب الفردى ، أو الحريون من الاقتصاديين ، فينادون بتضييق دائرة مهمات الدولة وقصرها على الدفاع الوطنى وحفظ الأمن والفصل فى الخصومات بين الناس وترك التنافس الحر بينهم ، ذاهبين إلى أن تدخل الدولة فى علاقات الأفراد بعضهم ببعض يشوه جمال النواميس الطبيعية لا بل يعوق التقدم الانسانى . ثم غلا بعض أولئك الحريين بقهر بأن تدخل الدولة فى غير نطاق الدائرة المرسومة لها رجاء أن تحمى الضعفاء انما هو عمل فى ظاهره الرحمة وفى باطنه العذاب ، إذ هو يضر هؤلاء الضعفاء ولا ينفعهم .

وأما دعاة الاشتراكية فيتقلبون بين الهجوم على خصومهم فى الرأى والدفاع ضدهم . فإذا هاجموا قالوا إن أشياع الحرية الموهومة والتنافس المزعوم يفسون أو يتناسون أن الأنانية هى التى تسوق المرء فى الحياة وأن مصالح الأفراد تتعارض بل قد تصطدم بالمصلحة العليا للدولة نفسها، وأن التنافس لا يكون مشروعا حتى تعطى فرص متساوية لجميع المتنافسين، إذ ليس من العدل فى كثير أو قليل أن تسلح هؤلاء بالعلم وتزودهم برأس المال ، والعلم امتياز والمال قوة ، ثم تجرد أولئك منهما معا ، ثم تؤذن فيهم بالتنافس الحر وأنت تعلم مقدما أن المجردين من العلم المحرومين من المال هم المنهزمون فى معركة الحياة لا محالة . وإذن فقد وجب أن يتساوى الناس فى الفرص فيكون التعليم بجميع درجاته مجانيا وتضيق دائرة الفروق بين حدى الغنى والفقر .

وما أحسب منصفا يتعامى عما فى تلك المطالب من غلو وإسراف . فلو افترضنا أن موارد الدولة يمكن أن تنهض بأعباء التعليم فى جميع درجاته ، فلا ينبغى أن ننسى أن التعليم العالى أو التعليم الجامعى هو بمثابة تكوين قيادة صالحة للأمة ، ويا ويل الأمة التى لا يكون جيشها مؤلفا من الجنود وأركان الحرب معا .

الاعتدال والقصد فى الطلب يقضيان إذن بأن يكون التعليم الابتدائى والثانوى ، كما هو الشأن فى بعض الأمم ، على عاتق الدولة حتى يعطى ابن الفقير مثل الفرص التى يعطاها ابن الغنى ، ورجاء أن يصبح الجميع مواطنين صالحين يعرفون ما عليهم من واجبات حيال الدولة وما لهم من حقوق قبلها . فإذا جاوزنا هذه المرحلة إلى مرحلة التعليم العالى ، لم يكن من الظلم قصره على القادرين عليه ، ولكن من الظلم أفحش الظلم حرمان أبناء الفقراء منه متى برزت مواهبهم وتجلت ملكاتهم . بل إذا لم يكن التعليم الجامعى من الترف العقلى، ولم يكن من الحلية والزينة، وإنما هو من النضوج الفكرى الذى يطبع الشخصية بطابع القيادة الصالحة لتولى زمام الأمة فى مختلف نواحى الحياة العامة ، إذا كان التعليم الجامعى كل أولئك فمن السفه ترك المواهب الفقيرة مقبورة والملكات التى تعجزها وسائلها مطمورة ، كما هو الشأن فى ترك الثروة المعدنية فى باطن الأرض بغير استغلال .

لقد أصبح التعليم ضرورة من ضرورات الحياة العصرية فوجب أن يكون مشاعا بين الجميع كالماء والهواء والضياء . ومثل الذى يخوض غمار معركة الحياة بغير علم كمثل الذى ينزل إلى ساحة الحرب وهو أعزل من السلاح : ذاك محكوم عليه بالاستعباد والبؤس ، وهذا مقضى عليه بالهزيمة . على أنى أسارع إلى الجهر بأنى أقصد التعليم العملى الذى يمكن صاحبه من أن يشق طريقه فى الحياة، لا هذا التعليم النظرى الذى يحشو رأس صاحبه بالنظريات الجوفاء حتى تنفخ بالغرور فتدرجه فى عداد المتعطلين .

ولا تتحقق المساواة في الفرص ، وهي جوهر مبدأ العدل الاجتماعي ، حتى يقضى على مزايا الحظ والفرص . فمن الإثم في حق الوطن أن يؤثر أبناء الأغنياء على أبناء الفقراء في تولي المناصب الهامة ، وقد لا يكون لأولئك من فضل إلا أنهم ولدوا من أبوين غنيين ، وقد يكون هؤلاء من النابغين الموهوبين . فالمجتمع الذي تسود فيه هذه الحالة يخلق ارستقراطية راكدة لا تتحسن لاطلاع بتبعات الحكم وتغرس عوامل التذمر والسخط في النفوس .

إن أداء الحكم لا تصلح حتى يتنحى سلطان الهوى على النفوس فلا يحل في شريعة الوطنية الجديدة أن يحابي فرد لمجرد أنه يتعلق بأذيال عظيم ، أو آخر لمحض أنه يتشبث بأهداب العهد . إنما ينبغي — كي يكون الحكم خير المحكومين — أن يوضع الرجل اللائق في المركز اللائق كما يقول الانجليز .

وتمشيا مع مبدأ العدل الاجتماعي لا يصح أن يغدق على طائفة لا تطلب المزيد ، بينما يحرم فريق وهو يعاني مضض الحرمان . فلا يجمع الموظف المحظوظ بين عمله والعمل في بنك وإدارات لا حصر لها ، ولا يضيف بعض المسئولين إلى أعبائهم مسئوليات أخرى ولا يكون المحدودون أعضاء في شركات لا عداد لها ، في حين أنه لو وزعت الأعمال توزيعا عادلا لكان كفيلا على الكثير من أسباب الشكوى التي تجأر بها جماعة المتعطلين .

والقضاء على البطالة ليس من مبادئ العدل الاجتماعي فحسب ، إذ أن حق العامل في العمل حق مقدس مادام قادرا عليه وطالما كان تعطله عن غير عمد منه ، ولأن الواجبات يقابلها حقوق ، ولأن من يتقاضاه الوطن ضريبة الدم ، لا يحق لهذا الوطن أن يضن عليه بالعمل الذي يدر عليه الرزق . وإنما القضاء على البطالة محقق للمصلحة العليا للدولة ، إذ من الأرض واجباتها استغلال جميع القوى ، وإذا جاز لأمة أن تدع ثروتها القومية معطلة ، فلا يجوز لها أن تدع الأيدي مشلولة عن الإنتاج .

وليس من العدل الاجتماعي في شيء هذه التفرقة بين الأغنياء والفقراء في ضريبة الدم فيعفى منها الأولون لقدرتهم على دفع البدل النقدي ، وينهض بها الآخرون لعجزهم عن دفع هذا البدل على الرغم من أن الذود عن حياض الوطن فرض يجب أن يحمله جميع الأكفاء .

وإذا كان لنا ألا نخلق في النفوس آمالا كاذبة وأمانى باطلة ، حق علينا أن نبادر إلى المناداة بأن المساواة في الأرزاق إنما يبشر بها أولئك الذين يحلقون في أجواء الخيال ويعيشون في أبراج العاج ولا يهبطون إلى حقائق هذه الأرض . وكيف السبيل إلى تلك المساواة وفي الناس القوي والضعيف ، والذكي والغبي ، والعملاق والقزم ، والعاقل والأحمق ، والمقتصد والمبذر ، وعلى الجملة كيف السبيل إلى المساواة والناس لم يصبوا في قوالب متشابهة حتى نجري عليهم حكما واحدا ؟

لكن إذا كانت تلك المساواة فى الأرزاق متعذرة التحقيق ، فلا أقل من تضييق دائرة الفروق بين حدى الغنى والفقر . فحق الغنى فى الترف ليس مقدما على حق الفقير فى العيش ، وعفا لا أملك إلا أن أبدى اعجابى بالفكرة التى أعرب عنها وزير الشؤون الاجتماعية فى أحد أحاديثه إذ صرح بأنه يفكر فى فرض ضريبة على الملاهى لتحسين حال الفقراء ، وهو لعمرى لو وسع نطاق هذه الضريبة لاستحق الشاة من الأمة مضاعفا .

من حق الفلاح على الدولة أن تكافح فقره ومرضه وجهله . ومن حق العامل عليها أن تجنبه أسباب الضيق ، فكيف السبيل الى موارية الموارد؟ السبيل أن تنشئ ضريبة تصاعدية على التركات والإيرادات وتجعل نصيبا منها للنهوض بمستوى معيشة الفلاح والعامل .

إصلاح القرية مقدم على تجميل المدينة وانشاء مساكن شعبية للعمال مفضل على الكباريات ، وكل من تظله سماء هذه البلاد ويشرب ماء النيل من حقه أن يتذوق جمال الحياة العائلية وجلال الحياة العقلية .

وإن كان على الدولة أن تضمن لكل فرد حدا أدنى للعيشة ، فان عليها ألا تعمق الهوة بين الغنى والفقر ، فتقرب مسافة الخلف بين أعلى وأدنى مرتب فيها .

وإذا كان بعض الدول يعنى بالطريقة التى يقضى بها العمال أوقات فراغهم ، ويسر لهم سبل الترويح عن النفس ، فما أجدرنا أن نحول دون أن يكون الفلاح فريسة للفقر وضحية للمرض والجهل ، ثم ما أولانا أن نحول دون الاصطدام بين العمل ورأس المال فلا نمكن الثانى من تسخير الأول واستغلاله ، ونحرر العامل من رق عبودية المال فنكفل له أجرا يقوم أوده ، ونؤمنه من شرور البطالة والعمل المنقطع ، ونؤمنه من الاصابات والمرض والشيخوخة ، ونكفل له راحة يوما فى الأسبوع ، وخمسة عشر يوما فى العام ، فان من حقه أن يتذوق الحياة ويسمو إلى كرامة الإنسان .

وإذا كانت الحرب نقمة على الناس كافة ، فمن أسف أنها نعمة على بعض المنتفعين أو المستغلين ، تلك الطفيليات الإنسانية التى تمتص دماء المنتجين والمستهلكين معا . فالعدل الاجتماعى يقضى بالضرب على أيديهم ، وتقليم أظافر الطمع فيهم ، وانتزاع الأرباح الفاحشة منهم انتزاعا ، رجاء توفير عمل للمتعطلين بسبب الحرب وللترفيه عن اليائسين والمساكين الذين زادتهم الحرب بؤسا على بؤس .

وإذا جنح بعض الملاك الزراعيين والعقاريين إلى إرهاق المستأجرين ، أو إذا نزع بعض المستأجرين إلى أكل حقوق الملاك بالباطل ، فالدولة فى حل من التدخل حتى لا يختل ميزان العدالة .

على الرغم من مهاجمة النظام الرأسمالى فسيبقى رأس المال. وأكبر الظن أن الشكوى منه ستتضاءل وتنكمش متى أخذ القابضون على مصاير الشعوب الديمقراطية أنفسهم بالحيلولة دون أن يربح أصحاب الأموال الأرباح الطائلة من غير أن يقوموا بعمل .

وستظل الملكية الخاصة حقا مقدسا مهما تلقت من هجمات المتطرفين والهدامين . لقد ملأ "برودون" فمه بتلك الكلمة : " الملكية هى السرقة " ، وتلقفها دعاة السوء بظاهر مدلولها وألقوا فى روع الناس معنى سيئا لها لم يخطر لقائلها ببال . فانما أراد الرجل أن الملكية يمكن أن يكون فيها جانب سيئ إذا هى مكنت صاحبها من الكسب دون أن ينهض بعمل منتج .

واخترعت أوهام بعض الاشتراكيين قصة ذلك الإرلندى الذى نزل ليصطاد فى ضيعة يملكها لورد انجليزى، فلما هم اللورد بمنعه من الصيد سأله الإرلندى من أين انتهت ملكية الضيعة إليه ، وما زال اللورد يترقى حتى ذكر أن جده الأعلى انتزعها بالحرب عنوة واقتدارا ، فدعاه صاحبه الى الرأل ليبت فى مصير الملكية. فتلك الوحشية إن طبقت بين الأمم فهى رجوع بها الى عصور الظلمات ، وتطبيق لشريعة الأدغال ، وإن سادت بين أفراد الأمة سادت معها الهمجية والفوضى .

على المواطنين أن يروضوا أنفسهم على احترام الملكية الخاصة ، ولكن ليس بمستنكر عليهم أن يطالبوا الدولة بأن تقتطع من الكمالى لتستر الحاجات الملحة فى الحياة .

وهذه انجلترا ، وهى بلد الديمقراطية والنظام البرلمانى ، والتى تحرص على التقاليد، ولا تنكر النظم الرأسمالية ، قد أصدرت فى مستهل القرن العشرين ، ومازالت تصدر ، طائفة من التشريعات الاجتماعية ، تحقيقا لمبادئ العدل الاجتماعى .

إن شخصية الفرد تبرز وتقوى فى الأمم الديمقراطية حتى لقد تطغى بعض الشىء على شخصية الدولة ، وهى الدكتاتورية تفنى شخصية الفرد وتتلاشى حتى لقد تهدر الكرامة الإنسانية . فليكن الأمر بين ذلك قواما فتقدم مصلحة الدولة على مصلحة الفرد .

يثور الضمير العالمى فى وجه عدوان أمة على أمة ، ويثور الضمير القومى ضد استغلال مواطن لأخيه. والسلاح يفصل فى الأولى، والتشريع يحول دون الثانية، والدولة لا تحجم عن التشريع فى سبيل تحقيق مبادئ العدل الاجتماعى .

عبد المجيد نافع

واجبنا نحو العمال

بقلم الأستاذ حامد العبد

وكيل مصلحة العمل بوزارة الشؤون الاجتماعية

لعل أفضل ما يقال عن واجبنا نحو العمال هو أن نضمن لهم العدالة وأن نمهد لهم طريقا فى الحياة يصلون منه الى تحقيق ما يرجى على أيديهم من الخير لهذا الوطن العزيز. والعدالة التى أقصدها فى حديثى هى العدالة الاجتماعية التى يجب أن تسود بين طبقات الامة جميعا فلا نرى فيها فريقين متباينين، فريق يرتع فى ألوان من الترف والسعادة والنعيم، وفريق يتخبط من الجهل والفقر والمرض فى البؤس والشقاء والتعاسة.

واذا كان من الضرورى لعلاج أى عيب من العيوب الاجتماعية أن يعرف سببه قبل وصف دوائه، فإن النقص فى العدالة التى يرجوها العامل فى مصر ينحصر فى أسباب ثلاثة أعتقد أنى لن أجد من يخالفنى فيها، وهى الجهل والفقر والمرض، وسيكون بحثى قاصرا على سرد ملخص ما أعتقده من الوسائل لمعالجة هذه العيوب الثلاثة.

فالجهل بين العمال فى بلادنا أو على التعبير الصحيح بين الطبقة الدنيا، يكاد يكون عاما وشاملا لمجموعهم أو ثلاثة أرباعهم على الأقل. صحيح أن المادة التاسعة عشرة من الدستور المصرى نصت على أن جميع الأطفال بين السابعة والثانية عشرة من الذكور والاناث يلزم أن يتعلموا تعليما أوليا على أن يتم تنفيذ ذلك فى خلال عشرين عاما أى بعد نحو سنين أو ثلاثة من الآن، ولكن ما هى النتيجة التى وصلنا اليها فى سبعة عشر أو ثمانية عشر عاما.

يدل الاحصاء الرسمى عن سنة ١٩٣٧ أن عدد تلاميذ التعليم الأولى ورياض الأطفال كان فى سنة ١٩٢٥ : ٤٢١,٦٦١ ووصل فى سنة ١٩٣٧ الى ١,٠٢٩,٩٣٥ والابتدائى كان فى سنة ١٩٢٥ : ١١٣,٧٢١ ووصل فى سنة ١٩٣٧ الى ١٣٠,٤٥٣ أما الثانوى فلم يصل بعد الى ٤٠ ألفا وهذه الأنواع الثلاثة هى التى يمكن أن يكون فيها تلاميذ من السن التى نتكلم عنها.

واذا كان عدد من يشملهم حكم المادة التاسعة عشرة يصل الى مليونين ونصف تقريبا فنحن لم نصل بعد إلى تحقيق حكم الدستور، حتى فى نشر التعليم الالزامى على قصوره.

هذا فيما يتعلق بالعدد ولكنى أريد التكلم أيضا عن التعليم من حيث نوعه لأن احصاء سنة ١٩٣٧ يدل على أن عدد تلاميذ فى المدارس الصناعية يبلغ ١٧,٥٥٨ وفى التعليم التجارى ٤,٢٤٩

وفى التعليم الزراعى ١٦٤٣ فقط فى البلاد توصف بأنها بلاد زراعية وتنهض فعلا إلى تحول صناعى وعدد سكانها نحو ١٦ مليونا .

قدمت هذا الاحصاء لأخرج منه بنتيجة أود أن أقولها وهى أن هذا التعليم لم يكن مقدرا فى وضع أساليبه أن يستفيد منه العمال ولا أولاد العمل وبخاصة فى التعليم الفنى والصناعى والزراعى والتجارى .

إن أهم ما يجب الالتفات اليه ونحن نسعى لتحقيق العدالة الاجتماعية للعمال هو تنظيم التدريب والتعليم الفنى لكى يمكن للعامل الذى أعد لمهنته اعدادا سليما أن يقوم بعمله على الوجه الصحيح . وليس هذا بالشىء المستحيل ولا بالأمر العسير . فلماذا لا تحول المدارس الأولية كلها أو بعضها إلى مدارس إقليمية مهنية تختص كل مدرسة فى جهة معينة بتعليم المهنة التى تسود فى تلك الجهة ، يتعلم الأطفال فى القرى الصغيرة المبادئ العلمية فى الزراعة وصناعة الألبان وتربية الدواجن ، ويتعلمون فى المحلة الكبرى مثلا الغزل والنسيج ، ويتعلمون فى حى بولاق الحدادة والطباعة والميكانيكا ، ويتعلمون فى الاسكندرية النسيج وأعمال البحر وأعمال النقل وصيد الأسماك وهكذا ؟ إنى أقر بصعوبة هذا الانتقال من النظام السابق إلى نظام مقترح كهذا ، ولكنى أرجو أن يستعد الرأى العام الذى أخاطبه لدراسة هذه المقترحات وقبولها وبعد ذلك يسير كل شىء بحسب التقدم الطبيعى العادى لكل مشروع أو اقتراح .

يجب أن يكون معروفا أن كثيرا من الأعمال الفنية فى الصناعة والتجارة وحتى فى الزراعة لا تزال مصر تستقدم له عمالا من الأجانب فلماذا لا نوفر أنفسنا من هذه المنافسة ؟

بل إن التقدم المنشود لصناعاتنا التى بدأت تحتل مكانا عظيما فى الشرق يتطلب عمالا مهرة يقيمون نهضة البلاد على أسس من الاتقان والعلم ويستطيعون أن يسابقوا غيرهم من عمال الدنيا فى الابتكار وفى الاختراع وفى التحسين والتغيير الذى يتطلبه تقدم الزمن وسرعة التطور فى الفن الصناعى .

أما حسن استعداد العامل المصرى وذكاؤه الفطرى وقدرته على الفهم السريع فكلها حقائق يشهد بها كل من خبره فى عمله من الأجانب أو المصريين ، ولكن الأمر الذى ينقصه هو حسن التوجيه وحسن الرعاية وتنظيم التعليم .

الفقر :

والفقر بين العمال المصريين هو أيضا من شر ما يعانونه من ظلم الحياة . ويرجع انتشار الفقر بين هذه الطبقة فى مصر إلى سببين :

الأول — قصور العامل عن الوصول بكفايته فى مهنته إلى مستوى عالٍ فى الفن ليحصل على مستوى عال فى الأجر .

الثانى — قلة الأجر بصفة عامة فى مصر فى معظم الأعمال العادية أو اليدوية غير الفنية بسبب ما عرف عن عمال الزراعة من اكتفائهم بالقليل من الأجر الكافه ، وهؤلاء هم الذين يتحول منهم العمال العاديون الى الصناعة .

وقد يكون من المستحب أن لا أتعرض لعمال الزراعة وأجورهم وهم الذين تتجلى معجزة الخالق وقدرته فى قناعتهم واستطاعة الواحد منهم أن يعيش هو وأولاده وزوجه بهذا الأجر القليل الذى نعرفه ونسمع عنه . ويكفينا أن نعلم جميعا أن العامل الفلاح لا يعرف فى حياته إلا الاتكال والقناعة ، بل إنه فى سياق الكلام عن أولاده أو مسئوليته الأبوية لا يعرف غير الجملة المأثورة " رزق وزرقهم على الله " ولا يعرف عنه فى حياته غير هذه العقلية الاتكالية . وهكذا يعيش .

أما الفقر الذى يشكو منه عمال الصناعة والتجارة على الخصوص أو عمال المدن على التعبير الأصح فليس منشأه كله قلة الأجر بل أن له أسبابا أخرى تتفرع كلها أو معظمها عن عيوب النظم الاجتماعية فى مصر وبخاصة فى المدن الكبرى . وأنى أعتقد اذا لم يخنى التوفيق أن من أقوى أسباب شقاء العمال وأهمها أنهم يعيشون فى المدن والعواصم بالقرب من الأغنياء الذين يجعلون للحياة جوا خاصا من الترف فتزداد تكاليف الحياة على الفقراء اذا ما حاولوا أن يحيوا حياة تلائم الجو الذى يعيشون فيه ، وتتجدد مطالبهم ومطالب من يعولونهم بدافع العدوى المنتقلة اليهم من هؤلاء الأغنياء والمترفين ، فيعجزون ويتبرمون بحياتهم الشاقة بجانب حياة هؤلاء الذين يقع نظرهم عليهم من المترفين . وربما شغلت هذه الحالة بعضهم عن عمله وأداء واجبه فيقف به جهد الحياة عن مواصلة العمل ، ويفقد القناعة التى يتمتع بها غيره من العمال ويزداد شقاؤه .

ومن العمال من يبذل غاية الجهد من جسمه وعقله فى العمل وذلك للحصول على المال الذى يود أن يحيب به رغائب نفسه أو من هم تحت رعايته لمجاراة وسط المدن ، فيسير به هذا الجهد ما شاء الله أن يسير به ولكنه لا يبلغ ما يرجوه . ألسنا نرى أن العمال الانجليز مثلا أو الأمريكيين يتقاضون أجورا تكاد تكون خمسة أو عشرة أضعاف بعض الأجور فى مصر ومع ذلك يقال إنهم لا تكفيهم فى بعض الأحوال أو إن مستوى المعيشة لا يزال أعلى من دخل الواحد منهم ؟ كما أننا نرى عمال النسيج فى مصر مثلا وفى الاسكندرية وهم يتقاضون أجورا تتراوح بين ثمانية قروش والعشرين قرشا يشكون من قلة هذا الأجر ، ومع ذلك نرى غيرهم فى بعض المدن الأخرى أو فى القرى حول قليوب أو غيرها يتقاضون أجورا أقل من ذلك بكثير ولا ترتفع شكواهم إلى ما ارتفعت به شكوى الأولين ؟

ويقيني أن أهم سبب للفقر المنتشر هنا وهناك فى مصر خصوصا بين طبقات العمال هو عيب النظام الاجتماعى الناشئ من عدم التوازن بين طبقات السكان بل وزيادة السكان فى مصر زيادة مضطردة مع بقاء الثروة كما هى تقريبا خصوصا فى الزراعة التى تعتبر مصدر الحياة فى هذه البلاد .

ومع كل هذا هل يمكن النظر فى وضع حد أدنى للأجور لعل فى ذلك علاجا لشىء من آلام الفقر الذى يشكون منه؟ ... ربما كان ذلك مفيدا ولكن يجب قبل النظر فيه أن يكون لدينا إحصاء صحيح عن الأرقام العددية اللازمة للمقارنة فى الأجور والايرادات والميزانيات العائلية فى مختلف الطبقات وفى مختلف الجهات وهى معلومات ضرورية لازمة جدا فى تتبع التطور الاجتماعى وتدبير السياسة الاقتصادية والمالية .

كما أننا اذا حاولنا رفع مستوى الأجور بصفة عامة فى مصر اصطدمنا بعقبة كبرى وهى خطر القضاء على الصناعة الناشئة وتشجيع المنافسة الأجنبية ، ولهذا يمكن القول بأن أقوم الطرق وأحسن الوسائل لتحسين الحالة فقط (لا القضاء على الفقر) هو العمل على إيجاد منابع جديدة وأسباب أخرى للرزق لتكفل معيشة أبناء هذا الجيل وأبناء المستقبل الذين سيلقون فى حياتهم مصاعب فوق مصاعبنا الحالية .

إن انشاء الصناعة فى مصر و بالتالى إيجاد طبقة العمال فى بلد لم يكن يعرف سوى الزراعة إلى عهد قريب حادث اجتماعى فى غاية الأهمية يجب أن يدرس بتطوراته واحتمالاته دراسة وافية هادئة بعيدة عن المؤثرات لاتقاء أخطار عظيمة ربما تنشأ عن اتباع سياسة سريعة غير محكمة فى الشؤون الاجتماعية المتعلقة بتقدم الصناعة. بل و يحسن أن يكون لنا برنامج ثابت يوضع بدقة ورزانة بعيدا عن الأهواء والنزعات السياسية والحزبية والطائفية. و بعد ذلك ينفذ بكل حزم و بكل تؤدة . وربما شملت دراسة هذا البرنامج النظر فى نظام الادخار وفى مشروعات التأمين الاجتماعى المختلفة التى تخفف على العمال كثيرا من آلام الفقر والحاجة وتواسيهم فى مرضهم وفى شيخوختهم وتعول اليتامى والأيامى والمحتاجين من ذرياتهم . وربما شملت أيضا بعض الوسائل للحد من اسراف المسرفين أو اقامة الحواجز دون ضياع أموال الأغنياء فى ما لا يعود عليهم أنفسهم بالخير أو ما يستفيد منه المجموع لصالح المحتاجين والفقراء ومعاونة ضحايا حوادث العمل أو ضحايا الأقدار .

المرض :

وواجبنا أيضا مقاومة الأمراض المنتشرة بين طبقات العمال والعمل قبل ذلك على وقايتهم منها .

والعناية بصحة العامل يجب النظر اليها من عدة نواح : خرج العمل ، وفى مكان العمل ، وشروط العمل .

أما خارج العمل فواجبنا العناية بمساكن العمال وغذائهم حتى يمكن أن تتوافر فى مساكنهم الكفاية والسعة وعدم الازدحام وتتوافر فيها الشروط الصحية من نور وشمس وهواء صحى . ولا أظن أن هذا متيسر لجهة واحدة من الجهات المسئولة عن العمال وهى الحكومة وأصحاب الأعمال وهيئات العمال لكى تقوم به . فلا صاحب العمل يمكنه تحمل المسئولية وحده ولا الحكومة يمكنها أن تتحمل نفقات هذا الاصلاح ولا العمال أنفسهم بما هم فيه من فقر واحتياج يستطيعون إصلاح مساكنهم بأنفسهم بلا معونة ولا ارشاد ، وليس من العدالة فى شىء أن يتركوا على حالهم التى نشاهدهم فيها فى الوقت الحاضر وكثير منهم تفتك به و بعائلته الأمراض الفتاكة كالسل والتيفوس والانفلونزا وتتأصل فى أجسامهم الأمراض المتوطنة كالانكلستوما والبلهارسيا .

أما فى مكان العمل فعندنا التشريع المبين فى القانون رقم ١٣ لسنة ١٩٠٤ فقط وواجبنا فى الحقيقة يتسع إلى حدود التشدد فى وضع كافة الاشتراطات اللازمة لضمان التهوية والضوء والنظافة وتوفير المياه الصالحة للشرب واعداد دورات صالحة للمياه . وفوق هذا وذاك وقايتهم من أضرار العمل كضرر الغبار الناتج من مزاولة بعض الصناعات و إيجاد أجهزة صالحة لامتصاص الغبار والاحتياط للوقاية من المواد الكيماوية الضارة والمحافظة على صحتهم من الحرارة الشديدة قرب الأفران وغير ذلك من وسائل الوقاية الصحية وهى كثيرة متشعبة لا يتسع الوقت للكلام فى تفاصيلها .

و يتبع هذا الواجب واجب آخر لا يقل عنه أهمية وهو وقاية العمال ضد خطر الآلات وما أكثر عدد ضحاياه وحبذا لو أمكن وضع نظام اجبارى للباس خاص يجب ارتداؤه وقت العمل وتقرير مساعدة العامل الفقير على شرائه والتفتيش على الماكينات باستمرار وملاحظة اتباع كافة وسائل الوقاية .

أما شروط العمل فأظن أن التشريعات القائمة الآن وقد خطت خطوات لا بأس بها لا تضمن لكافة طبقات العمال ما يجب عمله للمحافظة عليهم . فهى قاصرة لغاية الآن على حماية الأحداث فى الصناعة والنساء فى التجارة والصناعة والعمال عموما فى بعض الصناعات الخطرة

الضارة بالصحة ، ولا نزاع فى أن الراحة الأسبوعية وتنظيم ساعات العمل عموما وشروط استخدام العامل وعقد استخدامه وشروط قيام العقد وفسخه أو انقضائه وما يترتب على ذلك من الحقوق ، كل هذه المسائل تترتب عليها ظروف كثيرة من حياة العامل ومعيشته وتغذيته وسكنه وقدرته على القيام بأود أهله وذويه .

ومن هذا كله يتبين أن واجبنا فى محاربة المرض والعناية بصحة العامل يجب أن يخطو جنبا إلى جنب مع التيسير الاقتصادى لمقاومة الفقر ومع التعليم المهنى والفنى والتدريب الحسن لمقاومة البطالة ، فالعامل فى كل بلد من بلاد العالم هو الطبقة التى يقوم عليها مجد الصناعة والتجارة والزراعة وهو الطبقة التى تكافح وتتعب لكى تنال الطبقات الأخرى راحتها فى الحصول على أسباب الحياة الهانئة السعيدة ، وهو عتادها وثروتها ، ويجب أن نسلم بأن كل مطلب من شأنه اصلاح حالهم لا يقصد به نفعهم وحدهم كطائفة قائمة بذاتها ، فان شر الأخطار الاجتماعية وجود طائفتين أو طوائف مختلفة فى بلد واحد ، ونحن يقصد به التمهيد لخير المجموع وسعادته باصلاح العنصر الأساسى الذى تقوم على أكتافه أكبر وأعظم مسئولية فى الحياة .

حامد العبد

كتب أحمد بن يوسف باسم الخليفة المأمون إلى والٍ ظالم قال :

"الحق طريق واضح لمن طلبه ، تهديه محجته ولا تحاف عثرته ، وتؤمن فى السر مغبته ، فلا تحان منه ولا تعدلن عنه . فقد بالغت فى نصحك فلا تحوجنى الى معاودتك ، فليس بعد التقدمة اليك إلا سطوة الإنكار اليك " .

خطب أمير المؤمنين عثمان بن عفان فقال :

" ان لكل شيء آفة وان لكل نعمة عاهة . وإن آفة هذه الأمة وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون يظهرون لكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون ، يقولون لكم وتقولون ، طعام مثل النعام يتمنون أول ناعق ، أحب مواردهم اليهم النزح والبعيد " .

العالم الجامح

يثوب الى الرشاد

بقلم الكاتب الاجتماعى الأديب الأستاذ سيد قطب

الحرب — ولا سيما فى العصور الحديثة — هزة عنيفة ترج العالم كله رجا ، سواء فى ذلك الأمم التى تشترك فيها اشتراكا فعليا أو التى تقف منها على الحياد، لايسلم من هذه الهزة اقتصاد ولا اجتماع ولاسياسة ولا خلق ولا تقاليد ، ولا ينجو منها المدنيون كما كانوا ينجون فى الأجيال القديمة ، بل تشمل المحاربين ، والآمنين فى الدور وماهم اليوم بآمنين .

والتطور سنة الحياة، ولكن الحروب الحديثة، تستبدل به الطفرة فى كل شىء، بما تقطع من أوصال الحياة الفكرية والنفسية، وبما تبدل من نظام العمل وقواعد الاقتصاد، وبما تجدد من فنون السياسة وملابسات الوقائع، وبما تخلق من عالم جديد إما منتكسا إلى النقص وإما مشرئبا إلى الكمال .

وأقرب المثل الينا نحن أبناء هذا الجيل ، ما أعقب الحرب العظمى ، وما تمخض عنه الحرب الحالية ، من انقلابات فى كل أوضاع الحياة وأشكال الاجتماع .

فأما الحرب العظمى ، فقد أخرجت لنا مذاهب الشيوعية والنازية والفاشية ، وهذه ليست نظما للحكم فحسب ، ولكنها تقوم على فلسفات فكرية واجتماعية واقتصادية وخلقية ودينية تحاول تحقيقها ، وتعتمد على ثورات نفسية وعقلية كانت لها أسبابها الكامنة فى الأحوال التى أنشأتها الحرب العظمى أو ساعدت على ظهورها ، أو جاءت أثرا لها بعد انتهائها .

وأهم الظواهر التى أعقبت هذه الحرب — والتى ربما كانت هذه المذاهب امتدادا لها أو ردّ فعل ثار لمقاومتها — الميل إلى التحرر من كل القيود تحررا يجنح إلى الاباحية والنهم إلى التمتع بلا حدود، والهرب من التبعات ومن كل ما يتطلب جهدا، أو يحرم لذة .

ومنشأ هذا حالة نفسية لم يكن منها بد ، فالجنود الخارجون من الخنادق، والعائدون من المواقع — والشعوب كلها كانت مجندة فى الواقع — أولئك الذين رأوا الموت بأعينهم مرات وقاسوا آلام الحرمان من لذائذ الحياة كلها سنوات، كانوا متعطشين إلى إرواء نفوسهم بعد الحرمان الطويل، وهم شاعرون أنهم أدّوا ما يجب عليهم طول حياتهم قسطا واحدا ولم يبق إلا أن يأخذوا مايحق لهم بقية الحياة قسطا واحدا كذلك .

"لقد خرجوا فى شعار هائج للذة ، وفى ظمأ جامح للمتعة ، وفى ضيق شديد بالقيود كلها ، فلم يفرقوا بين ما هو صالح وما هو فاسد منها ، بل نبذوها جميعا نبذ النواة وراحوا يعبون من كئوس اللذائذ والشهوات فى حالة تشبه الجنون .

"وخرجت المرأة بهجة هذه الحياة وزخرفها تلبى ذلك النهم الجامح ، وتبدى مفاتنها وزينتها ، وتمتع الأرض كل ما أودعته حواء إياها من سحر الفردوس ومتعته ، ولم تفكر ولم يفكر الرجل — وهما مخموران — فى عقبى هذا التحلل من القيود ، وبعضها ضرورى فى كل زمان ومكان . وكانت الحاجة إلى المرأة فى ميدان العمل وموت عدد كبير من الشبان قد مهدا لها الطريق لحجز المنزل والضرب فى بفاج الأرض .

"حسب هؤلاء الخارجون من الخنادق والمخابئ أن لم تبق عليهم واجبات ، فكرهوا الجهد وآثروا الراحة ، وتفشى حب السهولة فى كل شىء ، وأصاب ذلك طرق التدريس للأطفال ومناهج الدراسة للناشئة ، فانصرف هم المربين إلى التخفيف كل التخفيف عن عاتق التلاميذ واختيار أسهل الطرق وأخف المناهج . وكان فى هذا بعض الخير لأنه رفع كثيرا من أثقال الطرق القديمة فى التربية ، ولكنه تجاوز الحد فحرم التلاميذ لذة الجهد وتقوية الارادة فى التحصيل المفيد ، وقضى كذلك على روح الاحترام والتوقير للمدرسة والمدرس ، وجعل الطلاب يذهبون إلى المدرسة كما يقصدون إلى نزهة خفيفة ، ويحسبون العلم رواية من روايات السينما ، لا تطالبهم بجهد ولا كد !

"وظن الأفراد كذلك أن الدولة استوفت منهم نصيبها ، والمجتمع أخذ منهم حقوقه وأنهم بعد هذا كامل الحرية فى أن يعيشوا لأنفسهم ، وأن يتفرغوا لاشخاصهم ، فتفشت فيهم الأثرة ، وانتشرت روح الفردية ، وأشربوا حب الأخذ وكره العطاء ، وكان هذا على أشده فى فرنسا ، لأن ويلات الحرب كانت على أشدها فيها ، ومن هنا كانت الكارثة وكان الانحلال .

"وشاع مذهب "الرياليزم" فى الفنون وفى طرائق الحياة ، فلم يعد الإنسان يخجل من الكشف عن غرائزه وأطماعه وشهواته ، وحسب أن "الواقعية" هى أصدق الأحاسيس مادام الحس يؤيده ، ناسيا أن فى النفس الانسانية أشواقا مجهولة إلى الكمال وإلى المثل العليا بجانب ما فيها من غرائز وقيود ، وأن هذه الأشواق المجهولة هى التى ظلت تحدو الإنسانية فى طريق التقدم والرقى من عهد الكهوف والأدغال إلى عهد العلم والقصور ، ولولاها لبقيت تتخبط فى ظلمات القرون ، أو ظلمات الغريزة طول الأجيال .

"والحرية التى هى نعمة الحياة الانسانية ، انقلبت عليها نقمة ، لأنها أصبحت أشبه شىء بالفوضى وأصبح همها الانفلات من القيود التى تعبت الانسانية فى صوغها مختارة راضية لأنها قيود نافعة تفرق بين الانسان والحيوان ، وتنشئ المجتمع وتحرسه من الانحلال .

ومتى صارت الحرية إلى هـذا الوضع فقـد خسرت الانسانية جهـد أجيال وقرون واحتاجت إلى الشكيمة الرادعة، والصدمة التى تعيد العقول إلى الرءوس . وقد كان! وكانت هذه الحرب الجديدة ، وما قامت عليه من مذاهب وأركان !

* * *

تلك لمحة خاطفة عما أعقبت الحرب العظمى من نتائج ، عنيت بإبراز أسبابها النفسية لأن الاقتصاد والسياسة والاجتماع ، إن هى إلا آثار للانفلابات النفسية ، ولو أن الشيوعية لا ترتضى هذا التفسير ؛ وترد كل شىء إلى الاقتصاد وإلى نظام العمل و إلى المـال .

أما الحرب الحالية — وهى أشد وطأة من سابقتها وأعظم أثرا — فقد كانت خليقة أن تترك من الآثار ما هو أسوأ وأنكى ، لولا أنها فتحت الأعين على أخطاء الحرب المـاضية فى كل ناحية ، ولولا أن بعض المبادئ التى قامت عليها نشأت من ردّ الفعل لهذه الأخطاء .

ومن هنا كان فى طيات هذا الشر الذى يحطم العالم ويهدده ، بذرة خير نرجو أن تثمر ثمرة طيبة ، وهذا تفاؤل — ولا شك — ولكنه تفاؤل معقول ، وهو التفاؤل اللائق بالحياة ، التى ما برحت تخلق السم وتدس فيه الترياق ، وتعثر فى خطواتها ثم تنهض بعد العثار .

لقد تنبه العـالم حين اكتسحت الجيوش الألمـانية فرنسا ، إلى أن الحرمان والجهد وتحمل المصاعب أمور ضرورية فى بعض الأحيـان ، وأن الألمـان الذين حرموا من الزبد ليصنعوا المدفع هم الذين اكتسحوا وسط أوروبا وغربيها بمـا تعودوا من ضروب الخشونة والصبر على الحرمان .

وقد تنبه العالم إلى أن الإغراق فى المتاع والأثرة والفردية ونبذ القيود جميعا خطر فى بعض الأحيـان ، وأن الفرنسيين إنمـا خسروا المعركة لأنهم ربحوا من قبل كل مطالب الفرد ولذائذه وشهواته عشرين عـاما كاملة ، فلم يعودوا يصمدون للشقة و يصبرون للجهاد .

وهذا درس لن تنساه فرنسا ولن ينساه العالم، وها هو ذا "بيتان" المـارشال الهرم ينتفع به و يتنبه له ، ويجد من الشعب الفرنسى إصغاء لتحذيراته ، لم يكن يجده منه لو دعاه قبل الهزيمة إلى مايطلبه منه اليوم من تضحيات . وها هى ذى القوانين الفرنسية ومناهج الدراسة تأخذ لها طريقا غير الطريق التى أدت من قبل إلى الهزيمة .

وقد قرأت فى برقيات هافاس يوم ٢٦ فبراير سنة ١٩٤١ البرقية التالية :

" فرغ ولاة الأمور من إعداد برامج المدارس الابتدائية الخاصة بدراسة الأخلاق والتربية الوطنية ، وهى تدل على أن الحكومة مهتمة ببعث قيم الأخلاق وفى مقدمتها الوازع الأدبى وواجب الإنسان نحو الله وفكرة العمل للمصلحة العامة .

ومن هذه البرامج التى عمل بها ابتداء من أول يناير سنة ١٩٤١ تجمع مبادئ الأخلاق حول الشعار الجديد الذى اتخذته الحكومة وهو " العمل والأسرة والوطن ".

وسيكون محور دراسة الأخلاق فى المدارس دائرا على المحادثات العائلية ومطالعة أهم واجبات الانسان نحو نفسه ونحو غيره ، والإشادة بالوجدان الذى يجب أن يهيمن على كل فرد فى مهنته و بواجبات الانسان نحو الله .

أما التربية الوطنية فسيعنى الأساتذة بالتوسع فى المبادئ التاريخية والأخلاقية التى يرتكز عليها بنيان الأمة ، وسيفهمون الطلبة شرف الولاء لرئيس الدولة والوطن ".

وها هو ذا الجنرال " إيبوى " الحاكم العام لأفريقيا الشرقية الفرنسية من قبل الجنرال "ديجول" يذيع على موظفى المستعمرة بيانا اقتطف منه قوله :

"إن التضحية يجب أن تكون مباشرة وشخصية وملموسة . فنحن نهيب بالجميع أن يساهموا طائعين مختارين فى الأعمال الحربية وشراء المهمات للجنرال ديجول وحلفائه لأن واجبهم يقضى بأن يسهموا فى الكفاح المشترك ، وسيكون هذا الاشتراك بمثابة التزام شخصى لايضيعه أى وقف ولايستحق عليه صاحبه أى شكر ، ومن الواجب أن يدخل روح الجامعة الوطنية فى الأخلاق وأن يحل محل المصالح الشخصية . فألمانيا أعدت العدة وكسبت القسم الأول من الحرب بالنزول عن الشخصيات ، وستستقر فرنسا فى السلم النهائى بهذه الكيفية ، وستكون كلمتا المسئولية والسخاء مكملتين لشعار الشرف والوطن ".

ثم قال :

" لقد دانا التفكير الطويل على أن القوى الروحية العميقة هى التى حملتنا على أن ننكر الهدنة ، وأن المبادئ الخلقية البحتة هى التى منعتنا من الاستسلام ، وأوحت إلينا بأن نتولى مصير الوطن كل ما بنصيبه ، وقد وجدنا فى العقائد الدينية والمبادئ الفلسفية التى تبدو مختلفة سببا لنكون على فكرة واحدة ، ومشجعا لنا على أن نتخذ لأنفسنا خطة فذة ، وفى هذا درس عظيم يجب أن نتعظ به ، وهو برهان على أنه كانت هناك قوة روحية وطنية سمحت بإتمام الحركة والمحافظة على قوتها وزيادتها نموا وتأثيرا فى عملها ، وهذه هى النقطة التى بدأ منها العمل وهى غايتنا المشتركة ، وليس بيننا من تشغله آراؤه الفلسفية أو معتقداته الدينية مادام كل منا قد اكتشف فى آرائه مفتاح المسألة التى عرضت على ضميره كفرنسى ، والشىء الذى يهمنا قبل غيره هو أن نجعل أنفسنا قادرين وأن نساهم فى إعادة بناء فرنسا فى الغد ".

فهذان رجلان يختلفان فى طريقتهما ، فيخضع الأول للهدنة ، ويثور الثانى عليها ، ولكنهما لا يختلفان فى أسباب هزيمة فرنسا ولا فى طريقة إنهاضها القائمة على أساس من

مقاومة الأثرة وفساد نظام الحكم والاختلافات الشخصية ، وعدم المساواة فى تحمل الأعباء وعلى خلق روح الإيثار والاتحاد والتضحية والمساواه فى التبعات .

كانت هزيمة فرنسا هى الدرس الأول الذى رد أفكار العالم الجامحة إلى أسس الفضائل القومية ... وصمدت بريطانيا للعاصفة وتبلور الخلق الانجليزى فى ساعة الشدة فنفى عن نفسه كل زيف ، وأبعد عن طبيعته كل دخل ، فإذا الشعب البريطانى كتلة واحدة متماسكة ، وإذا هو يتنزل عن حريته جميعا ، وعن ثرواته جميعا ، وعن متاعه جميعا ، ليصنع من كل أولئك درعا للوطن ويصوغ منه عدة وسلاحا يقاوم بهما خطر الزوال ، ويصمد بهما لهول الأهوال تلك التى يذيعها فى تشرشل حين يقول فى مجلس العموم يوم تولى رياسة الوزارة :

" ليس عندى ما أقدمه اليوم إلا الدم والعمل والدموع والعرق . تسألوننى ما برنامج الوزارة ؟ فأقول الحرب . وما هدفها ؟ فأقول : النصر — النصر مهما يكن الثمن وعلى الرغم من جميع الأهوال ومهما يكن طول الطريق ووعورته فلا بقاء لنا بغير النصر . ليدرك كل منا هذه الحقيقة : لا بقاء للامبراطورية البريطانية ، ولا للغازى المتمثلة فى الأمبراطورية البريطانية ولا بقاء لذلك الباعث المستمر على مر العصور ، الباعث الذى حمل البشرية رويدا رويدا نحو هدفها . لا بقاء لهذا كله بغير النصر " .

ولكل نظام من نظم الحكم عيوب ، ولكل مجتمع من المجتمعات نقائص ؛ وها هو ذا تشرشل الذى أسلمه الانجليز قيادهم يرى الحرب محو تلك العيوب وتبرئ من هذه النقائص فى الشعب الانجليزى فيقول فى إحدى خطبه : "سنعمل على بقاء هذا النظام البديع بعد الحرب أيضا" .

ثم يقف وزير التموين الانجليزى ليخطب ، فيذكر الانجليز بأنهم تفننوا فى إعداد المائدة وتنويع الطعام كما لم يتفنن شعب من شعوب العالم ، وأن أسلافهم الذين بنوا الامبراطورية الضخمة كانوا يعيشون عيشة البساطة والقناعة ، وأنه آن للأبناء أن يقتدوا بالآباء فى هذا الجانب من الحياة ، ليضمنوا المحافظة على مجد الامبراطورية المترامية الاطراف .

وكان هذا هو الدرس الثانى من دروس الحرب القاسية .. واشتط الجرمان فى تطبيق النظم العسكرية حتى على الحياة المدنية ، وضحوا بالحريات الفردية والجماعية فى سبيل ما يسمونه أمن الدولة وسلامتها ، وأخضعوا ماديات البلاد ومعنوياتها لشؤون الجيش والحرب ، وسخروا بسماحة المسيحية وبروح الأديان عامة ، فكان لهذا كله رد فعل طيب إذ شعر الناس بنفاسة الحرية المهددة كما شعروا بحاجتهم للعودة إلى الدين ، وتنبهت فى نفوسهم عواطف الرحمة ، وتيقظت فى أعماقهم الضمائر . وبات الجميع يرتقبون نهاية هذه الحرب الغشوم ليعملوا على قيام مجتمع فاضل يستمتع بالحرية المعقولة ، ويستروح العقيدة السمحة ، ويحد من سعار الغرائز وهياج البربرية .

وكان هذا هو الدرس الثالث الذى وعته الإنسانية المعذبة لتنتفع به .

ذلك استعراض سريع للدروس الإنسانية التى ألقتها هذه الحرب على بنى الإنسان، والتى ستعود بالعالم الجامح إلى الرشاد .... فما شأننا نحن فى مصر بهذه الدروس ؟

نحن فى حاجة إلى أن نصغى إليها ، وأن نفتح عيوننا عليها ، فلقد أصابنا شواظ مما أصاب العالم عقب الحرب العظمى ، فصلا على ما كنا نكتوى به من قبل هذا الشواظ .

نحن — وإن لم ندخل الخنادق أو نخرج منها — قد تفشت بيننا إباحية مريضة وأثرة بغيضة ، وفردية مقيتة ، وتحللنا من قيود كثيرة كان بعضها يجب التحلل منه ، ولكن بعضها كان يستحق البقاء حتى تحلنا منه التطورات الطويلة التى تفعل فعلها فى النفوس فى رفق ولين .

فيجب أن نعود الى الرشاد فى هذه الشؤون ، وأن ننتفع بما انتفعت به فرنسا بعد الكارثة. فرنسا التى قلدناها فى لغتها وعاداتها وتقاليدها وسهراتها وملاذها وشهواتها وأزيائها و"موداتها" فلنقلدها حين تثوب الى الرشاد فى حشمتها ووقارها وتدينها و إيثارها وفضائلها الاجتماعية جميعا.

ونحن — وإن لم نضح فى الحرب العظمى شيئا — قد مالت نفوسنا الى اللذائذ والمتاع، والى عدم المبالاة بالواجب ، فيجب أن تردنا عظات الحرب الحالية الى تعود الحرمان من بعض اللذات ولو لتربية النفس وتقوية الارادة ، فلا نكرر المأساة التى برزت يوم همت الحكومة بتوزيع البترول بالبطاقات، فاذا القادرون منا يحرصون على تخزينه، واذا بنا نزور فى البيانات التى طلبت الينا ، واذا عدد السكان فى هذه البيانات يبلغ ضعف العدد الحقيقى فى البلاد !

وكلما عرضت مناسبة للتنازل عن بعض ما اعتدنا من متاع تكررت المأساة وثارت الثائرة مهما كان المطلوب ضئيلا. ولست أنسى تلك الضجة التى أثيرت حول ضريبة الدفاع الوطنى على الدخل وهى لا تعدو واحدا فى المائة من الضرائب ، ولست أنسى أن ضريبة التركات لا تزال تتعثر فى خطاها، لأن السادة الأغنياء لا يحبون أن يتبرعوا لوطنهم ببعض ما يرثونه دون كد ولا جهد .

فلنوازن بين هذا ، وبين ما يدل عليه الخبران التاليان :

نشرت الأهرام من بين تصريحات المستر متزيس رئيس وزراء استراليا عند زيارته لمصر بتاريخ ٦ فبراير ما يأتى :

"وقال المستر متزيس فى حديثه عن برامج التسليح : إنه يتوقف على الرجال والمال . أما فيما يتعلق بالرجال فقد أنشئ عدد من المدارس الصناعية لتدريب الرجال على مختلف الفنون والصناعات الحربية ، وأما فيما يختص بالمال فقد رفعت ضريبة الدخل ثلاثة أضعافها ووافق البرلمان الاسترالى على ذلك بدون معارضة مما ساعد على إعداد ميزانية هذا العام والنهوض بميزانية الدفاع من ١٢ مليون جنيه فى السنة الى ١٨٦ مليونا" .

ونشرت الأهرام برقية لمراسلها الخاص بأثينا تحت عنوان : "التبرعات للحرب اليونانية، تبرع مؤثر للمرضى فى إحدى المدن" تقول :

" تنشر الصحف كل يوم قائمة بألوف التبرعات للدفاع الوطنى ، ولكن أحد هذه التبرعات أحدث اليوم تأثيرا كبيرا فى الرأى العام، لأنه وارد من جزيرة سيسينا لونجا التى عزل فيها المرضى المصابون بالجذام . فقد قرر هؤلاء المرضى التعساء أن يقتطعوا من مرتباتهم ٤٠ دراخمة شهريا ويتبرعوا بها للدفاع الوطنى إلى أن تنتهى الحرب ، وأرسلوا خطابا بذلك أرفقوا به حوالة بمبلغ ٨٧٤ دراخمة جمعوه من مختلف المستشفيات .

وقد أعربوا فى هذا الخطاب عن أسفهم لعدم استطاعتهم تقديم حياتهم أو أكثر مما قدموا لأنه لم يبق لهم أى أمل فى الحياة .

ومما جاء فى خطاب هؤلاء المصابين أن المال الذى يبعثون به مبلل بدموعهم وأمانيهم فى النصر" .

فلنقرأ جيدا هذين الخبرين ، ثم لننظر لأنفسنا على ضوئهما ، فنراها على حقيقتها ثم لنحاول إصلاحها وتهذيبها حتى تصلح للعالم الجديد الذى تشير مثل هذه الأخبار إلى التمخض عنه فى هذه الأيام .

والتفاوت فى مصر بين الطبقات أولا ، وبين الريف والمدن ثانيا ، وبين الأحياء الفقيرة والأحياء العنية ثالثا ، تفاوت فاحش غير معقول ، فيجب أن ننتفع بدروس هذه الحرب ، وأن نعيد التوازن بين طبقات الأمة . وها هو ذا وزير الشؤون الاجتماعية يتقدم بمشروع لإنهاض الريف وجعله متناسبا مع المدن . بل لجعله مجرد مكان لائق لحياة بنى الانسان . فيجب ألا يقف الأغنياء حجر عثرة فى طريقه ، لأن الموجة التى تغمر العالم اليوم والتى ستغمره بعد الحرب هى موجة المساواة فى الحقوق والواجبات وإصلاح أخطاء الماضى التى أنشأت الشيوعية والنازية والفاشية ، فلا تكن حينذاك بدعا بين أمم الأرض جميعا .

ونحن جاوزنا حب السهولة والراحة ، إلى "الميوعة" والرخاوة ، فينبغى أن نأخذ نفوسنا بشىء من الشدة وتربيتنا بشىء من الصرامة ، وإرادتنا بشىء من القوة ، فالحياة جهاد وستظل جهادا على مدى الزمن ، ومن لم يتهيأ للجهاد ويمرن على الخشونة ، فقد عرض كيانه للانحلال وشخصيته للاضمحلال ، بل للزوال .

ولقد تعلمت الأمم من هذه الحرب أن للنضال الحزبى حدودا يجب ألا يتعداها ، وإلا أصبح مصدر خطر على سلامتها ، وأن هناك مصالح عليا للوطن تلتقى عندها الأحزاب وتتخلى بإزائها الشخصيات ، ويصالح لديها الخصم خصمه ، ليكون الجميع جنودا فى كتيبة واحدة .

فيجب أن نتعلم هذا الذى تعلمته الأمم ، وأن نتجاوز أشخاصنا وخلافاتنا إلى حيث نلتقى فى آفاق أسمى من هذه الآفاق .

وقد تشعث نظامنا العائلى ، كما تشعث نظامنا القومى ، وتأثرت الأسرة بهذه الحرب الماضية ، وانعدم الاتساق بين الآباء والأبناء ، ولم يعد فى البيوت الاحترام والوقار الضرورى بأن يجانب ما يجب أن يسود من عطف وتجاوب وتفاهم ، وفى الأسرة المدرسية نجم الشذوذ والفسوق كذلك بين المعلمين والطلاب ، استجابة لدعوات الحرية الجريئة أو لنزوات الحمقاء ، التى اصطدمت بالتقاليد العتيقة والشدة البالغة ، ولم ننته بعد فيها إلى أواسط الأمور ، وإلى الاحترام الذى يقوم على الحب قبل أن يقوم على الإرهاب ، وإلى العطف الذى يقوم على الحزم لا على التدليل .

فيجب أن نعالج هذه الحال فى حزم رفيق ، وعزم بصير ، وأن نرد إلى الأسرة نظامها وتماسكها ، وإلى المدرسة حرمتها وحرمتها ، وإلى المجتمع أصوله وقواعده ، فى اعتدال يمنع الصفرة ، ويعالج النكسة . وقد سبقت فرنسا إلى قوانين جديدة للأسرة وللمجتمع والمدرسة فلنتبع بالنا إليها منذ الآن قبل أن نهوى إليها أعناقنا فى شدة وعسر .

وإذا ذكرت الأسرة ذكرت المرأة ، والبيت المصرى قد حرم عناية المرأة ورعايتها من يوم أن طفرت هذه المرأة بلا تدرج ولا استعداد إلى كل مكان ، غير هذا البيت المحروم ، ومع أن الحرب العظمى لم تكن قد اضطرتها للخروج كما اضطرت زميلتها الغربية لذلك ما كادت تراها فى المجتمع والسوق والطريق والنادى والمأخور ، حتى انطلقت تقلدها فى هذا جميعه ، بلا استعداد للتقليد ، فكانت الخسائر جسيمة ، كأى جيش يلقى به فى المعمعة دون سلاح !

ومما يؤسف له أن القليلات من اللواتى خرجن إلى المجتمع الفاضل يفضل عليه من بشاشة المرأة ونور الحياة ، بينما الكثيرات قد انطلقن كالمسحورات إلى كل مكان غير الأمكنة التى تحتاج إليهن وتحفظ عليهن فضائل الأنوثة وخصائص الجنس ، وتجعلهن عنصرا صالحا للحياة ، فعسى أن نوفق إلى نداء نهتف به لهؤلاء الشاردات فيستمعن إليه ، ويعدن إلى قواعدهن سليمات !

إن هذه الحرب تتمخض عن عالم جديد ، عالم مختلف جدا عما ولدته الحرب العظمى فعلينا أن نهيىء أنفسنا للانسجام مع العالم المرتقب ، وأن نجنبها عناء الشذوذ عن هذا العالم وعواقب الاصطدام بنظم لم تتهيأ لها من قبل .

وإن العالم الجامح ليئوب اليوم إلى الرشاد ، وقد قلدناه بالأمس فى جموحه ، فلنقلده اليوم فى رشاده ، ما دام قد كتب علينا أن نكون مقلدين فى جميع الأحوال .

سيد قطب

المنزل والمدينة

للأستاذ سلامه موسى

المنزل هو المبنى . والبيت هو المعنى . أو قل إن المنزل هو الجدران والنوافذ والأثاث. والبيت هو الاجتماع العائلي ورابطة الحب والولاء والمصلحة بين أعضاء العائلة .

والانسان اجتماعي يهنأ بالاجتماع ويشقى بالاعتزال حتى حين يكون الاجتماع والاعتزال معنويين . فاننا نحب ألا نخرج عن رأى الجماعة التي نعيش معها . واذا خرجنا فاننا نحاول أن نحملها على أن تأخذ برأينا لأننا لا نطيق هذا الاعتزال المعنوى. وكذلك نكره أن نقيم منفردين. بل نحن حين ننفرد تبقى أفكارنا وعواطفنا متصلة بالجماعة .

والبيت هو نواة المجتمع . وأول آمال الشباب من الجنسين هو تأليف البيت بالزواج والتناسل . ولذلك فان للمنزل قيمة اجتماعية وهو يثير عواطف مختلفة بارة تتصل بهناء المعيشة والحياة الزوجية وتربية الأولاد والوجاهة والضيافة وما الى ذلك من معان اجتماعية.

ولهذا السبب عنيت بعض الأمم بحرمة المنزل الذى يسكنه صاحبه. مهما بلغت الديون التي وقع فيها فان الدائنين لا يمكنهم أن يوقعوا الحجز على منزله أو أثاثه ويبيعوه جزاء لديونهم. فالمنزل عند هذه الأمم قد ارتقى من المبنى الى المعنى . فهو بيت. وهو عش العائلة التي يجب ألا تتشتت بضغط الفاقة وتتفكك روابطها الاجتماعية بخروج منزلها من أيديها .

والمتأمل لحياة المجرم يجد أن من أعراض مرضه — اذا حسبنا الجريمة مرضا — أنه قليل الروابط الاجتماعية . فهو أكثر ما يكون أعزب قد حرم من الرابطة الزوجية . أو هو متزوج ولكن قد حرم الأبوة . أو هو نازع الى الانفراد والاعتزال يكره الاجتماع فلا يصادق ولا يزامل . وقد تنشأ هذه النشأة لسوء فى تربيته أو لمزاج شاذ لم يحسن توجيهه . أو هو لا يملك عقارا . والانتحار من الجرائم التي تدل قبل كل شيء على ضعف الروابط الاجتماعية . ثم يلي ذلك سائر الجرائم .

فللمنزل هنا قيمة اجتماعية. لأنه يربط صاحبه بالمجتمع من ناحية ربطه بالمدينة . اذ هو يكسب حقا وجاها واحتراما ويغرس فيه أملا . فهو لا يبعثر نقوده ويستهلك كسبه فى الملاهى والتسليات ولكنه يوفر ويدخر لكي يزين هذا المنزل ويزيد أثاثه . لأن المنزل قد

صار بعض كرامته ووجاهته الشخصيتين . فهو يجد فى نفسه إحجاما عن ارتكاب الرذيلة والجريمة . وهو لا ينفق على الخمر والتدخين لكى يوفر ماله لاصلاح منزله وتزيينه .

ومن هنا أخذت الحكومات المتمدنة فى العصور الحديثة تشجع الأفراد على اقتناء المنازل ، ووضعت شروطا للتيسير فى اقتراض المال للبناء وردالقروض على آجال طويلة ، وأحيانا تبنى الحكومة المنزل وتبيعه بالتقسيط ، وأحيانا تقرض الشركات البنائية ملايين الجنيهات لكى تقوم هى بالبناء ثم تبيعه لمن يرغب فى الامتلاك .

وأعظم ما يؤخر بناء المنازل هو المضاربة بالأرض والمغالاة فى أثمانها ، وقد بصرت المجالس البلدية فى أوربا بهذه الحال وتفادت منها بشراء الأرض الزراعية التى حول المدن. وهى تشتريها بأثمانها الزراعية ثم تتركها نحو أربعين أو خمسين سنة ملاعب ومتنزهات وحدائق لسكان المدينة حتى اذا نمت المدينة و بلغ البناء هذه الأرض باعها المجلس البلدى بالتيسير الذى ذكرنا الى من يرغب فى البناء . و ذلك يقطع الطريق على المضارب الذى يشترى الأرض زراعية بالفدان ثم يبيعها بالمتر للبناء و يأخذ الفرق العظيم بين الثمنين ، مع أن هذه الزيادة يجب أن تعود على المدينة الممثلة فى المجلس البلدى . لأن نمو المدينة وحده هو الذى جعل الأرض تنتقل من الزراعة الى البناء وتزداد أثمانها نحو مئتى ضعف .

وكلنا فى مصر يعرف ذلك المنزل السيئ الذى لا يطاق الحر فى الصيف ولا توجد به أية وقاية من البرد فى الشتاء . وهو ذلك المنزل الذى يفرمنه الشبان الى القهوة أو النادى عصر كل يوم . وهو من الضيق بحيث يصبح الأطفال فيه وكأنهم عبء على أنفسهم وعلى آبائهم لأن حرج المكان يجعل أصواتهم وألعابهم وحركاتهم مزعجة . ثم هناك قتامة البناء ونصول الطلاء والبلى العام الذى يكمد النفس و يغم على العقل و يبعث على الشجار . ولا نذكر تلك الكهوف — البدرومات — التى تجعل ألوفا من عمالنا يعيشون مع عائلاتهم فى الظلام والرطوبة والمرض كأنهم قد ارتدوا الى العصر الحجرى ولم يتمتعوا مع ذلك بشىء من ميزاته .

وقد أعجبنا لهذا السبب بالفكرة البارة التى عمد اليها بعض الزنوج فى الولايات المتحدة . فانهم يقصدون الى منازل اخوانهم من فقراء الزنوج و يرممون المحطم من أبوابها ونوافذها ثم يطلون الجدران بالألوان الزاهية التى تقشع غيمة الكآبة التى تخيم على المنزل من البلى والتحطم. وما أحرانا بأن نفكر فى مثل هذا البر لأحيائنا الفقيرة .

ومع أن لندن وكثيرا من المدن الانجليزية قد حطمت الطائرات الألمانية معظم منازلها فان الانجليز لا يرون أن هذا التحطيم يعد كله شرا . لأنهم ينتظرون منه الخير فى إعادة البناء فى هذه المدن على الطراز العصرى حتى يستكمل المنزل جميع الوسائل للرفاهية البيتية وتستكمل المدينة جميع الشروط العصرية لتيسير الحركة والتنقل . والانجليز — مثل سائر الأمم الشمالية —

أكثر الأمم عناية بمنازلهم وبالتضامن المدنى فى البناء حتى أن السائر فى احدى المدن الانجليزية أو الهولندية أو الألمانية يجد الشارع شكلة وحدة لا يختلف منزل من آخر عرضا وارتفاعا أو زينة أو طرازا . وقد يدخل أحدنا منزل عامل من العمال الفقراء فيجد المرحاض مفروشا بسجادة صغيرة. ومع هذه الحال يفكر الانجليز فى إعادة بناء منازلهم بعد الحرب على طراز أجمل وأرق . وقد كان الحريق الهائل سنة ١٦٦٦ فى لندن سببا لتجديد هذه العاصمة. ولذلك يعود الانجليز الى هذا التاريخ لكى يذكروا الفرصة القادمة فى تجديد العاصمة بعد الحرب . لأن تدمير الطائرات مثل تدمير الحريق يجب أن يكون فرصة للتغيير والاصلاح .

ويجب أن تكون لنا عبرة فى مصر بالقيمة العظمى للمنزل الحسن الذى يغرى ساكنيه بالإقامة والافتخار به وتزيينه ويربطهم بالمجتمع من حيث انه يزيد كرامتهم ويشغل أذهانهم بهموم انشائية تحول بينهم وبين التبذير فى اللهو . فيجب أن نساعد على إيجاد حركة بنائية عامة تقرضها الحكومة قروضا مقسطة على آجال بعيدة بلا فائدة . كما يجب أن تتناول هذه القروض اصلاح المنازل القديمة البالية . وليس من المبالغة فى الطمع أن نطلب منع الحجز على المنازل اذا كان أصحابها يسكنونها. فاننا نحاول فى مصر ايجاد عائلات متماسكة . والمنزل الحسن هو أقوى الأسباب لهذا التماسك .

وعند ما يؤسس المجلس البلدى المنشود للقاهرة ويكسب هذه القرية الضخمة حياة مدنية فاننا نطمع فى أن يشرع فى شراء ماحول القاهرة من أرض زراعية لكى يبيعها أو يبنى عليها المنازل الرخيصة . فان أعظم ما يؤخر نمو هذه العاصمة فى الوقت الحاضر ويجبر السكان على التكدس فى أحيائها الوطنية كالسردين فى العلب هو غلاء الأرض حولها وعجز المتوسطين عن شرائها .

ان البيت هو الوحدة الاجتماعية للامة . والهيكل العظمى للبيت هو المنزل . فيجب أن نعنى ببناء المنازل أحسن البناء وأن نحميه بكل وسائل الحماية وأن نشجع الأفراد على البناء وعلى امتلاك المنازل . لأننا بذلك نوجههم توجيها مدنيا ونباعد بينهم وبين الخروج على المجتمع .

سلامه موسى

مكتب الوزير

حرمته فى الدولة وكيف يجب أن تصان

مكتب الوزير هو أهم مكاتب الوزارة . فهو المرجع الأخير لجميع المكاتب واليه ترد جميع القرارات والإجراءات التى تحتاج إلى بحث الوزير . ومنه تخرج أيضا الى مكاتب الوزارة جميع المشروعات والقرارات الجديدة التى يجب أن تسير عليها فروع الوزارة أو يجب أن تدرسها وترد بها مع التفاصيل . وهو بعد ذلك خزانة أسرار الدولة لأنه قد يحوى آلافا من الشكاوى والانتقادات والمراجعات التى يجب أن تبقى سرية لا يدرى بها غير الوزير ورؤساء المكاتب فى وزارته . ثم بعد هذا وذاك يعد مكتب الوزير حلقة الاتصال بين الجمهور والحكومة . ولكنها مع ذلك يجب أن تكون الحلقة الأخيرة . نعنى أنه إذا كانت هناك شكوى لفرد من أفراد الجمهور لم يجد لها حلا أو علاجا فى سائر مكاتب الوزارة ولا يزال يتشبث مع ذلك بحقه فان مكتب الوزير يصير عند ئذ مرجعه الأخير .

ولكن هل هذه هى الحال ؟ وهل لمكتب الوزير الحرمة التى يجب أن تكون له ؟ وهل الجمهور يحترمون هذه الحرمة ؟

إن الإجابة على هذا السؤال ليست مع الأسف مما يرضاه المخلص لوطنه المحب لرقيه . فان كثيرين من أفراد الجمهور يؤمون هذا المكتب " للزيارة " يسامرون السكرتير ويحتسون القهوة وليضيعون بعد أن يعطلوه عن عمله بعض الوقت . أو يلحون فى مقابلة الوزير لأمر لا يبوحان به للسكرتير . وهذا السكرتير يتعلل بالعلل لكى يصدهم عن هذه الزيارة ويتحمل المعاذير لكى يكون مهذبا فى طرده لهم من مكتبه . فالوزير " عنده لجنة " . والوزير لا يمكنه أن يقابل أحدا هذا اليوم . وأخيرا قد خرج الوزير من باب آخر .

ويجب ألا يفوتنا ان السكرتير وهو يكد ذهنه فى ابتكار هذه التعللات انما ينسى واجباته الأصلية أو يهملها . لأنه مشغول الفكر بهذا الزائر يبحث عن معاذير مختلفة للتخلص منه . ثم هناك ذلك الزائر الذى " يحترف " الزيارة لمكاتب الوزراء فلا يكاد ينقطع يوما عن غشيان أحد المكاتب حيث يقضى بعض الدقائق أو الساعات وكأنه يثبت علاقة متينة بينه وبين الوزير . ولم أدر انا فعله يتكسب إيهام الجمهور الساذج بهذه العلاقة الكاذبة .

وسواء أكان هؤلاء القاصدون لمكاتب الوزراء يحتاجون الى مقابلة الوزير لحاجة يظنون أنها لا يمكن أن تقضى إلا بالتدخل الشخصى من الوزير أم هم قد اعتادوا هذا العبث ، فان الواقع الآن أن وزراءنا متعبون أو مرهقون بهذه الزيارات . ووقتهم الذى يجب أن يكون أعلى الأوقات يضيع هباء فى مقابلة هذا الوجيه أو ذاك الثقيل الذى لا يمكن رده . وكثير من

الزائرين يصرّحون للسكرتير بأنهم إنما حضروا لكى " يسلموا " على الوزير . كأن مكتب الوزير قهوة يتسامر فيها الزائرون ويسأل كل منهم الآخر عن صحته .

وهناك من الزائرين من يطلب " توسيط " الوزير لكى يساعد الطالب على قضاء مهمة خاصة لدى وزير آخر . والمغزى السيئ واضح فى هذا التوسيط الذى يجب ألا يكون . لأننا ونحن نرتكب هذا العمل انما نتوسل الى قضاء مهمتنا بالمحاباة ولا نعتمد على محض الحق فى قضائه .

ولا نكاد لهذا السبب ندخل مكتب سكرتير الوزير حتى نجد أحيانا العشرات من المنتظرين الذين يرتكون العمل و يؤخرون السكرتير عن تأدية واجبته . وهناك عند كل وزير من وزرائنا أكداس من الأوراق التى تنتظر مراجعته وموافقته و بعضها قد مضى عليه أسابيع أو أشهر . وليس من سبب لذلك غير هؤلاء الزائرين الذين يزحمون مكتبه و يلحون فى زيارته و يضيعون وقته ووقت موظفيه عبثا . وتختل الاداة الحكومية أخيرا بسبب هذه الزيارات التى لم يكن للتسعين فى المائة منها أى مبرر .

ذلك أن مصالح الوزارات ومكاتبها وادارتها هى المسئولة أولا وقبل كل شىء أمام الجمهور . فإذا كان لأحد شكوى فانه يجب أن يقصد اليها و ينتصف من موظفيها . فاذا وجد جورا أو إهمالا من هؤلاء الموظفين فانه ينتصف من رؤسائهم . فاذا أهمل هؤلاء فانه عندئذ يستطيع الشكوى الى الوزير . فالوزير هو المسئول الأخير أو هو محكمة التقض والابرام فلا يجوز لأحد أن يتقدم اليه بشكوى ما لم يكن قد استنفد كل الجهد فى معالجتها عند الموظف المختص .

نذكر فى هذا الصدد حديثا جرى على لسان أحد الشرقيين الذين هاجروا الى الولايات المتحدة الأمريكية واستوطنوها . فانه قصد الى إحدى الوزارات فطلب مقابلة " سكرتير " الوزارة أى الوزير . واستطاع أن يقابله و يشرح له شكواه . فلما خرج سأل الموظف الذى هيأ له المقابلة عن مقابلات الوزراء وهل هى ممكنة لكل أحد . فأجابه هذا الموظف بأنها ممكنة لكل فرد من أفراد الجمهور لا يستطيع أن يجد علاجا لمشكلته عند موظف آخر .

وهذا هو ما يجب أن يكون الوضع الصحيح فى صدد المقابلات الوزارية . فإننا يجب أن نضن بوقت الوزير يضيع عبث أو رخيصا فى تأدية عمل لنا كان يمكن موظفا آخر أن يؤديه . وواجبات الوزير كثيرة متعددة . بعضها يتعلق بمراقبة الوزارة التى يشرف عليها من حيث تنفيذ اللوائح والقوانين ، و بعضها يتعلق بدرس مشروعات جديدة اصلاحية تحتاج الى مجهوده الشخصى ومجهود كبار موظفيه وتقديم هذا المشروع للبرلمان والاستعداد للدفاع عنه أو لتنقيحه أو غير ذلك . وكل هذه الأعمال تحتاج الى التفرغ الذى تفسده زيارات الزائرين العابثين .

فإذا شئنا أن تبقى وزاراتنا مصونة من العبث وأن يتوفر الوزراء على مراقبة موظفيهم وإيجاد المشروعات الاصلاحية فانا يجب أن نكف الزائرين العابثين أو الفضوليين وأن نجعل لمكتب الوزير الحرمة التى تطالبنا بها الدولة .

عليك بمرق الدجاج

بقلم الأديب المعروف الأستاذ حسين شفيق المصرى

شاب صحيح البدن ، صحيح البصر ، حسن العقل ، حسن الهندام ، يحمل " دبلوم الصناعات الميكانيكية " وله لباقة يستطيع بها أن يتصرف فيما يعهد اليه ، قال لى : تخرجت فى المدرسة الفلانية منذ ثلاث سنين وأهلكت عددا غير قليل من الأحذية فى السعى إلى عمل فى مصالح الحكومة فلم أجد الى ذلك سبيلا ؟

فقلت له : أمامك المصانع الأهلية .

قال : لم أغفل عن هذا ولكنى استمسكت بحبل الأمل الى أن انقطع .

قلت : عليك بمرق الدجاج .

ولم أكن بهذا الجواب مازحا ، فقد كان لى صديق طبيب كلما جاءه مريض يكاد الهزال يقضى عليه من ضعف المعدة نصح له بمرق الدجاج لأنه مغذ سهل الهضم ، وليس فيه مافى العقاقير من المرارة أو الغضاضة .

ولم يكن صديق الطبيب يعرف إن كان المريض يقدر على ثمن الدجاج أولا يقدر ، مع أنه كان يعالج أمراض الفقراء على المروءة وابتغاء مرضاة الله ، وهؤلاء يستطيعون الذهاب إلى غابة السباع ولا يستطيعون الذهاب إلى سوق الدجاج .

وأنا تلقاء مشكلة العطلة لا أرى فرقا كبيرا أو صغيرا بين أن يقال للفقير المحروم المشرف على الموت من الحاجة إلى الطعام النافع للبدن " عليك بمرق الدجاج " و بين أن يقال للشاب المتعطل الذى انقطعت به الأسباب " عليك بالعمل " بعد أن زاد عدد العاطلين من العمال والصناع عما تتسع له المصانع ومحال الأعمال .

ولست ألوم مدير المصنع أو محل العمل أو التاجر أو غيرهم إذا أغلقوا أبوابهم فى وجوه العاطلين الذين لاحاجة لهم إليهم ، ولست أشك فى أنى أغلق بابى كما يغلقون أبوابهم إذا كنت صاحب صناعة أو عمل ، لأنى لا أرى أن أستخدم عاطلا ليس فى " ميزانيتى " له مكان ،

ولا من المعقول أن أطرد عاملا أحله محله أو أقتل آخر أستبدله به ، وليس لى إلا أن أحيل كل طالب عمل الى " مرق الدجاج " كما كان يفعل ذلك الطبيب مع مرضاه الفقراء .

وأعجب ما أعجب له أنى أسمع المصلحين فى اذاعات الراديو وفى الصحف اليومية والمجلات يقولون للعاطلين "عليكم بمرق الدجاج" وهم إن لم يقولوها بالنص فانهم يقولون ما فى معناها حين يقيمون الأدلة والبراهين والحجج والبيانات على ضرورة ايجاد الأعمال للصناع والعمال ، وليس فى هذه البيانات والحجج والبراهين حل للمشكلة ولا دواء للداء ولا خروج من لأزمة المستحكمة الحلقات ، [illegible]

المصلح الاجتماعى عندنا يصف سوء الحال و يشكو من تفشى الفقر و ينذر بهول المصير ثم يسكت أو يطلب من الحكومة أومن الجمهور أو منهما معا أن تتعاون الهمم على الانقاذ، فكيف الانقاذ ، وأين مرق الدجاج يادكتور ؟

تعالوا بنا نبحث لنرى أسباب أزمة العطلة و بعد أن تنكشف تلك الأسباب نتعاون على إزالتها من طريق العمال والصناع ولا سيما المتعلمين منهم فانهم يتكاثرون كل عام و بقاؤهم عاطلين يفسد الأخلاق و يوحه النفوس الى الإجرام .والذكاء حين يحتمع بالمعرفة ولا يجدان سبيلهما الى مواطن الكسب المشروع يذهبان الى التزوير وتزييف النقود والاحتيال واللصوصية وما هو شر من كل أولئك.فلا بد من بناء سد يمنع انحدار ذلك التيار الى مجرى حياة البلاد .

نذهب الى الأسواق فنرى المصنوع فى مصر من القلة والندورة بحيث لا يكاد يظهر بين الواردات من البلاد الأجنبية، من الآلة الكهربائية أو البخارية الضخمة، الى الابرة الدقيقة التى لاترفع عن المنضدة إلا بالأظافر ، ومن المدفع الى السكين، والأقمشة والأزرار والأطعمة حتى السمك المحفوظ فى العلب نأكله على ضفاف النيل والبحرين الأبيض والأحمر .

هذه الواردات وغيرها تأتى من البلاد الأجنبية بوفرة لا تظهر معها أمثالها من المصنوع عندنا ، والمصنوع عندنا خارج من أيدى النزلاء الأجانب كالكبريت والقديد " البسطرمة " مثلا وقائمة أسماء لأشياء طويلة لايسعها غير مجلد ضخم لاصفحة أو صفحات فى مجلة مهما طالت صفحاتها وعرضت .

فكيف يجد صناعنا وعمالنا مرتزقا والأسواق ملآى بهذه الواردات ؟

مجال العمل ضيق أمامهم ، وليس أمامهم سبيل الى الكسب ، ولن يغنيهم أن يقال لهم : "عليكم بمرق الدجاج" .

وليس مما أرمى اليه أن أطلب من الحكومة منع دخول تلك الواردات الى البلاد أو أنهى الناس عنها والمصنوع منها عندنا لايكاد يحسب له حساب ، لحل مشكلة العطلة فى انشاء المصانع الوطنية لتلك الأشياء، يعمل فيها الصناع والعمال و يديرها المتعلمون، وتفتح فيها أبواب الوظائف ، فتزول العطلة وتبقى أموال الأمة لأبنائها، و بالأموال تكثر المصانع والمعامل والمتاجر وتوجد حياة جديدة يتجلى فيها الاستقلال الاقتصادى الصحيح .

ولا نرى أمثال ذلك الشاب صاحب الدبلوم الذى لايدرى ماذا يفعل بدبلوم ثلاث سنين والله وحده يعلم متى ينتفع بذلك الدبلوم .

كأنى بهاتف يقول لى : مرحى وما أعظم ما حلمت به المشكلة أيها الخيالى المتعلق بالتمنى الجميل ، وللهاتف أن يتهكم ماشاء ، فان إنشاء المصانع شىء والكلام شىء آخر .

من الذى ينشئ لك المصانع والمتاجر أيها الحالم الذى يغط فى النوم ، عليك بمرق الدجاج !

* * *

كأنى لم أقل شيئا ، لأن الناس جميعا لايجهلون أن مشكلة العطلة لاتحل إلا بانشاء المصانع والمعامل والمتاجر ، فلا بد من رءوس الأموال ، ومحال أن تكون رءوس أموال إلا بتأليف شركات ، والمتمولون قد رأوا بعيونهم نجاح المصانع والمعامل الوطنية الموجودة الآن . ولكنهم لايلتفتون اليها الا ليعلنوا سرورهم بها واعترافهم بفضل أصحابها، من غير أن يخطر ببالهم أن ينشئوا غيرها ، والمسألة مسألة همة واقدام لا مسألة إعجاب فى كلام .

والحق أن المتمولين يشعرون بضرورة العمل ولكنهم لا يعملون من تلقاء أنفسهم ، لأنهم لم يألفوا تأليف الشركات ، ولا يعرفون كيف تتألف ، وماذا تفعل ، وما هى الضمانة التى تكفل لهم النجاح الضامن لأموالهم بضرب الصفح عن الربح ، وهذه مشكلة تقوم عليها مشكلة حاجتنا الى الواردات ومشكلة العطلة ومشكلة الاخلاق المهددة بالفساد وسائر المشكلات المعقدة .

وفى البلاد أموال غير مستثمرة ، وهى لا تعمل الا اذا أمن عليها أصحابها سوء العقبى وليس لكائن من كان أن يطالبهم بالمخاطرة بل الواجب تأمين الطريق قبل السير فيه .

وفى بلادنا عدد كبير من رجال الاقتصاد الموثوق بهم، وهؤلاء هم الذين يكفلون نجاح الشركات التى تؤلف و يضمنون حفظ الأموال و يؤكدون الربح و يشقون فى كل طريق قناة يجرى فيها مرق الدجاج .

وما دام المتمولون مترددين فإن الاقدام يتلو التردد إلا اذا كانت الدعوة صادرة عن الحكومة وكان تأليف الشركات تحت اشرافها ومراقبتها .

فلم لاتشرع الحكومة فى هذا العمل عوضا عن أن تندب حظ البلاد مع النادبين وتلطم الخدود مع اللاطمين ؟

تستطيع الحكومة أن تؤلف لجنة من كبار الاقتصاديين أصحاب الأموال والأعمال الناجحة لتضع برنامجا إنشائيا عمليا واضحا تضمنه جميع المشروعات الاقتصادية الضرورية للبلاد ، الأهم منها فالمهم أو الأسهل منها فالأصعب ، وتبين فيه للأمة وجوه النفع ومقدار المال اللازم لتحقيقه ومبلغ الحصة التى تصيب منه كلا من الحكومة والمشتولين ومبلغ الربح الذى يفيده المسهم فيه ولو على وجه التقريب . ولتعلن اللجنة بعد ذلك اسم المشروع الذى تبدأ به ولتدع الزراع والتجار والماليين المصريين الى الاكتتاب فيه ، وما أظن هؤلاء — بعد أن يروا الحكومة تحتضن هذه المشروعات وتحميها وتموّلها وتشرف عليها وتراقبها — إلا مقبلين عليها ملبين نداءها عاملين بنصحها وإرشادها .

وربنا خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، وكان قادرا على خلقها فى طرفة عين ، فليكن مصنع بعد مصنع بعد مصنع ، ومعمل بعد معمل بعد معمل ، وتخل مشكلات الاقتصاد وتحل معها مشكلة العطالة .

أما الشكوى من العطالة والفقر وركود الحياة الاقتصادية والنداء بضرورة التخلص من هذه الأزمة من غير عمل فان ذلك كقول صديق الطبيب لمرضاه : "عليكم بمرق الدجاج" — والدجاجة فى السوق يعلم المريض مكانها ولسان حاله يقول :

فيادارها بالخيف إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

حسين شفيق المصرى

من حكم ابن المقفع

من أشد عيوب الإنسان خفاء عيوبه عليه . فإن من خفى عليه عيبه خفيت عليه محاسن غيره ، فلن يقلع عن عيبه الذى لا يعرفه ولن ينال محاسن غيره .

أسباب فشل الزواج

قام أحد المعاهد المتخصصة للباحث النفسية فى الولايات المتحدة الأمريكية بأبحاث عن العوامل التى تفسد الحياة الزوجية وتنتهى بها إلى الانفصال أو الطلاق . ولقد اعتمد فى أبحاثه على إحصاءات جمعها من ١٥٠٠ عائلة من مختلف الطبقات ثم أخرج قائمتين بتلك العوامل تشتملان على الطباع والأخلاق التى تنفر أحد الزوجين من الآخر ، ولم يدخل فيها السبب الأكبر فى الطلاق وهو الزنا باعتبار كونه سببا معروفا لا يحتاج إلى النص عليه . وفيما يلى استنتاجات المعهد من إحصاءاته وبحوثه .

فالزوجة السيئة هى :

التى تستهين بالعرف والتقاليد والاصطلاحات الاجتماعيـة حتى تسىء سمعتها رغم طهرها وعفتها .

والتى تناقر كثيرا وتعارض كثيرا وتنقد كل شىء فى عبث ورعونة وطيش .

والتى لا تحبب الى زوجها ولا يهمها أن يجدها دائمـا لطيفة المظهر حسنة الهندام .

والتى تشكو وتتذمر وتطيل الشكوى والتذمر من نفس الشىء فى أشكال متعددة .

والتى تتدخل فى هواية زوجها وتحاول أن تصرفه عن هذه الهواية بانتقاص قيمتها وتقبيحها والتشهير به من أجلها أمام أهله وأهلها .

والتى تؤثر الحياة خارج البيت وتوليها كل اهتمامها حتى لتبدو فى بيتهـا بملابس مبتذلة وشعر أشعث ولا تتأنق الا عند ما تهم بالخروج أو تستقبل الزائرين والزائرات .

والتى تعارض الزوج فى وسائل تربية الأولاد فى أثناء وجودهم وتسرّ اليهم ألا يستمعوا إلى آراء أبيهم .

والتى تحب الزهو والتعالى على أهل زوجها .

والتى تكون غير صادقة العواطف والإحساسات بحيث تتكلف عواطف وإحساسات مرتجلة إزاء كل حالة .

والتى تتألم من إهانات غير مقصودة أو ترى إهانة فى كثير من الأقوال أو التلميحات البريئة .

والتى تنتقد زوجها أمام أولاده أو أمام الناس وعند أهله وأهلها .

والتى تكون ضيقة العقل لا تفهم ولا تحب أن تفهم ومع ذلك تحب أن يكون لها فى كل شىء رأى .

والتى تهمل مطالب البيت والأولاد وتؤثر مطالب زينتها ونزهاتها وظهورها بين الناس.

والتى تسيء التدبير المنزلى أو تدعه لأيدى الخدم .

أما الزوج السيء فهو :

الذى ينغمس فى الأنانية حتى ينسى زوجتـه وأولاده و بيتـه فى سبيل إشباع شهواته الخارجية ولا يبالى الاحترام والرعاية لزوجته وأولاده .

والذى يخيب فى عمله ولا يبحث عن وسائل ترقية نفسه وتحسين حالته .

والذى لا يصدق فى الاعتذار فيدع الشكوك تساور زوجته وتعكر صفوها .

والذى يفيض همومه الشخصية على البيت و يريد من الجميع أن يكتئبوا لكآبته .

والذى يهمل هندامه فى البيت وخارج البيت .

والذى يحتقر عقلية زوجتـه فلا يحدثها فى مختلف الشؤون و ينسى مجاملتها فى مناسبات عزيزة عليهـا .

والذى يغلظ فى معاملة الأطفال لأتفه الأسباب .

والذى يكون ذا حساسية مريضة ، تجرح عواطفه أقل الهفوات .

والذى لا يعنى بشؤون الأطفال وشؤون البيت ولا يعبأ إلا براحته الشخصية .

والذى لا يتحسس رغبات زوجتـه فيسبقها إلى اقتراحها وتحقيقها بل يدعهـا تطلب وتلح فى الطلب .

والذى لا يتودد إلى زوجته وأولاده بالملاطفة والمؤانسة والمداعبة والهدايا الصغيرة .

والذى يتحدث إلى زوجته عن جمال بعض صديقاتها وصغر سنهن وحسن أناقتهن .

والذى يعير زوجته بعيب فيها أو ينتقدها أمام أصدقائها أو أصدقائه أو أهلها أو أهله .

والذى يبدو جافيا أو غليظا مع أهل زوجته وصديقاتها .

والذى يقصر فى الطموح حتى يعرف بالخمول أو يسرف فيه إلى درجة تجر عليه سخرية الناس.

الموظف فى وظيفته

بقلم الأستاذ عبد الشافى اللبان

هناك صفات تلازم بعض المهن أو الأعمال وتصاحبها حتى لقد تصبح بمثابة القرينة منها . فالنزاهة قبل الثقافة القانونية أكبر ضمان لعدالة القاضى . والطبيب والمحامى كلاهما يعتمد قبل كل شىء على الأمانة فى الاحتفاظ بسر المهنة ليصيب النجاح فى عمله . وحتى العالم لا يعترف له الكثيرون بسمو المكانة العلمية إلا اذا اتسمت بالتواضع أعماله وتصرفاته وأقواله . وهكذا جرى القول على أن تقترن النزاهة بالقضاء، والأمانة على السر بالطب والمحاماة، وأن يصاحب التواضع العلم والعلماء .

واعتقادى أن هذه الصفات الثلاث وان كانت أقوى تعبيرا عندما ترتبط كل منها بالمهنة التى تقارنها فما أشدها كلها لزوما للموظف فى وظيفته . وما أفيدها مجتمعة فى شخص ذلك الذى يندب من بين مواطنيه لتصريف شؤونهم، وتيسير مسائلهم، والعمل على خدمتهم وحفظ حقوقهم ومصالحهم .

تعرض للموظف فى وظيفته مسائل يقف منها موقف الحكم . ويقتضية الفصل فيها المفاضلة بين رأى ورأى . وكم تلزمه النزاهة فى قراره ليصون المصلحة فيما وكل اليه من أمور عامة أو من مسائل الناس . يطلع بين الأوراق والملفات ، وفى العرض والتنفيذ ، على أسرار خاصة وعامة ما أجدره أن يتحلى بالأمانة التامة فى الاحتفاظ بها . وهو يقابل فوق ذلك ذوى المصالح ، وفيهم الكبير والصغير والقوى والضعيف ، فيهم اليتامى والأرامل والملهوفون ، وذوو الحاجات من أبناء المدن والريف ، يسمع أقوالهم وشكاياتهم بمختلف الروايات وشتى الأساليب ، وهو ولا شك مطالب بحسن استقبالهم والترفق فى معاملتهم والاحسان فى صرفهم ، وما هو فى ذلك إلا مؤد واجبات وظيفته من الخدمة العامة دون تفضل أو امتنان .

واذا كانت النزاهة فى العمل والامانة فى حفظ أسراره والتواضع فى القيام به من دعائم الوظيفة، إلا أن النجاح فيها، على اعتبار أنها قبل كل شىء عمل واجب يؤدى لمصلحة الأمة، لا يزال يتطلب من الموظف الكثير الجم من الصفات والمزايا .

الأداة الحكومية يطلب منها الاصلاح والتحسين فى المرافق العامة لا مجرد المحافظة عليها والوقوف بها عند حد معين . لذلك انتظمت هيئة الموظفين نخبة المتعلمين فى البلد . وليس واجب الموظف منهم مجرد التنفيذ العادى لأحكام القوانين واللوائح بالصدق والأمانة والتواضع،

هذا ما يجب أن يتوخاه الموظفون ، يجب أن ينظروا الى عملهم على أنه مسئولية خطيرة وألا يقدموا على تحمل هذه المسئولية قبل أن يستوثقوا من أنفسهم ، ومن ارادتهم وحبهم للعمل ومقدرتهم عليه وألا يكونوا ممن يفسرون الوظيفة الحكومية بأنها المرتب والجاه والنفوذ وذلك تفسير خاطئ يخرف بالشخص عن الحقيقة والأمانة والخلق . فاذا ما استوثقوا من أنفسهم وأقدموا على تحمل المسئولية لم يكن أمامهم إلا شيء واحد وهو الواجب وأدؤه كاملا ، والاجتهاد فيه والوصول به الى كل كمال ممكن . بذلك تصح فكرتهم عن العمل الحكومى ويتم الانسجام بين الأوضاع الجديدة التى انتقلنا اليها و بين ما يجب أن تكون عليه أفكارنا عن الحياة والعمل .

هذه هى النظرة التى يجب أن ينظر بها كل موظف إلى وظيفته . ولعل تلك الصورة هى التى تملأ نفوس المبتدئين من الموظفين وتشعل حماستهم عند بدء دخولهم فى الحياة الحكومية. على أن معالمها لا تلبث أن ينالها التحريف والتشويه فى مخيلاتهم كلما صادموا حقائق المعترك الحكومى وصهرتهم تجاربه وازدادوا خبرة بأساليب العمل فيه . وحينئذ تبدو لأذهانهم تلك الهوة الفاصلة بين ما يجب أن يكون و بين ماهو حاصل فعلا .

فى الحياة الحكومية عيوب تنال من جمال هذه الصورة قد لا يسمح الوقت بالافاضة فى بيانها لذلك أقتصر على الأساسى منها :

يتعلم الموظف فى وظيفته كثيرا من دروس الحياة . يجد من بين زملائه الموظف البخيل . و بخل الموظف ليس ذلك البخل القائم على جمع الدرهم والدينار و إنما هو نوع أخطر من ذلك بكثير . فأثره لا يقتصر على صاحبه و إنما يتعداه إلى المصلحة العمة . الموظف البخيل هو ذلك الذى يضن بتجاربه وخبرته التى كسبها بمرور الزمن على زملائه ومعاونيه . هو ذلك النوع الذى يجد و يعمل ليصح من هؤلاء الذين لا يمكن الاستغناء عنهم . ويجتهد فى أن يصور فى أذهان الوسط الذى يعمل فيه على أنه عمدته والعمود الفقرى منه ، وأنه لو تركه لانهار على رأس حافه . وهذا النوع أكثر ما يكون من بين كبار الموظفين الذين ينسون بهذا التصرف أخص واجباتهم نحو الوظيفة ونحو ما يطالبهم به الوطن من واجب إعداد الكثيرين من المعاونين والتلاميذ ليحلوا عند اللزوم محلهم و يتقدموا لحمل أعباء العمل بعدهم . و إذا كانت هذه وسيلة للبقاء والخلود فى رأيهم فانه لا يمكن أن يوافق عليها من يستمد الثقة من قيمته الذاتية و يؤمن بها كضمان لحسن السمعة والقدر.

و يتساوى فى الجرم مع الموظف البخيل زميله الجبان . و يجبن الموظف فى وظيفته مظهران : (الأول) الامتناع عن ابداء الرأى فيما يعرض من شؤون ، اتقاء للخطأ وطلبا للسلامة . و (الثانى) التهرب من المسئولية بالقائها على أكتاف الآخرين .

وإنما واجبه فوق ذلك دراسة عمله والاسترشاد فيه بروح المصلح المجدد متجها به دائما الى الكمال. وفرصة البحث والدرس والتحسين والاصلاح وإن كانت تختلف أهمية حسب درجة الوظيفة واختصاصها إلا أنها ولا شك تتاح لكل موظف فى عمله . وليس من المبالغة أن نطالب بذلك جميع الموظفين كبارا وصغارا . هذا ما يجب أن يكون وعلى هذا الوجه من الفهم ، يجب أن يدرك كل موظف واجبه. لدى الموظف من الوسائل الحكومية ما قد يعز على سواه. فالمهندس والمعلم والطبيب والقاضى والادارى والكتابى من موظفى الحكومة لديهم فرصة واسعة لإكمال أبحاثهم وانضاج معلوماتهم ولديهم جميعا وسائل الابتكار والتجديد ولا يمكن أن يكون عملهم قاصرا على أداء العمل اليومى المتكرر والا عدوا مقصرين أشد التقصير أمام وطنهم وفنهم . وخانوا واجب الوظيفة التى وكلت اليهم .

إن الوظيفة عمل للوطن و واجب قومى أول شرط فيه التحسين والتجديد والابتكار . ولم تجعل الضمانات والمزايا التى يتمتع بها الموظفون الا لتمكين الموظف من العمل وجعله قادرا نشطا فى أدائه ، شجاعا قويا فى ادراك المسئولية ومواجهتها وتحمل أعبائها ، صاحب رأى فى عمله مستعدا على الدوام للدفاع عنه والاقناع به متى أيقن من ناحية الفائدة والخير فيه . وليس للموظف مطلقا أن يرى فى هذه المزايا والحقوق ما يجعله يطمئن الى ثبات مركزه وضمان عيشه فلا يكون هناك ما يستحث عزيمته ويحرك نشاطه .

وما دمنا فى صدد حماية الموظف ومزاياه فلا بأس من أن نشير فى ايجاز الى أن هذه الحماية ، وهى كما قلت ضرورية تستدعيها طبيعة العمل الحكومى ، قد أسيئت بسبب المعالاة وسوء التطبيق نوعا من القداسة على الوظيفة جعلت غير الموظف من أصحاب الأعمال الحرة يحسدون الموظفين على سهولة عيشهم وبذلك انصرفت هممهم ومواهبهم عن مجال العمل الحر فى انتظار وظيفة حكومية .

إن أزمة التوظف كما نعلم جميعا مشكلة اجتماعية عندنا . وقد تأخرت النهضة العلمية زمنا طويلا بسبب السياسة التى كانت تنظر الى التعليم على انه مجرد اعداد موظفين للمكاتب الحكومية. وظل أثر من هذه الفكرة الخاطئة جاثما فى غير قليل من الأذهان. حتى أن الكثيرين من المتعلمين تعليما عاليا ينظرون الى الوظيفة على أنها الغاية من التعليم ويصرفون أنفسهم بعد التخرج عن أية محاولة فى الحياة الا طرق أبواب الحكومة وطلب الوظائف الحكومية مهما صغرت. مع أن تطورنا السياسى والاجتماعى ، وتغير النظم والأوضاع من حولنا ، خليق أن ينفى من أذهاننا هذه الفكرة الخاطئة وأن يجعلنا ننظر الى التعليم نظرا أسمى من ذلك وأقرب الى الحقيقة .

قد قلنا إن فى وسع الموظف أن يكون ، فى حدود عمله الحكومى مفكرا لوطنه ، عاملا على اصلاحه بالنزاهة والأمانة والتواضع والنشاط والابتكار والشجاعة فى الرأى والعمل.

وقد ينفسح المجال عند التهرب من المسئولية لعراك صامت رهيب بين الموظف والموظف سلاحه الوقيعة والدهاء والحيلة وينشط فيه سلاح آخر من أشد الأسلحة فتكا ألا وهو ما يعبر عنه فى العلاقات بين الموظفين بالمقالب ، وما المقالب إلا إتقان الدسيسة والتفنن فى حبكها وتوجيهها الى الهدف فى مرونة وسهولة وبغير ضجة لتصيب المقتل ولتعطى الفرصة للزميل ، ليتقدم ، ويرقى ، وينال الحظوة على أنقاض زميله المحطم . فما أبعد هذه المقالب وأبعد ما تخلق من حقد وضغينة وكراهية وتنافس غير مشروع عما هو واجب من علاقات الزمالة بين الموظف وأخيه وروح الأسرة الواحدة بينهما وتعاونهما فى سبيل الخير العام وتحقيق الصالح لها وللمجموع فى جو من الأخوة والصداقة الخالصة ! !

يجىء بعد البخل والجبن فى الوظيفة عيب لا يقل عنهما خطرا . ألا وهو نكر العمل . إذ يحرص كل موظف على أن يقال إنه هو الذى انتهى إليه هذا الفخر . ويدفع هذا الحرص إلى تنافس شديد بين الموظفين فى الشكليات قد يعطل العمل أو يضيع الفائدة منه .

وهناك بعد ذلك الموظف العملى الذى يقول باعطاء الوظيفة من الجهد بقدر ما يتناول من مرتب . ولست أدرى كيف يتوصل إلى إقامة العدل بمثل هذا الميزان الذى لا يسهل تمييز معالمه . ويشارك هذا الموظف فى المعانى القبيحة التى انصرف إليها تفكيره ذلك الذى كثر ادعاؤه بأنه يعطى الحكومة أكثر مما يأخذ فكلاهما قد جعل من الوظيفة العامة صفقة من الصفقات وهما قد حددا لها سعرا ارتضياه وقف احدهما عنده وشاء الثانى أن يجد فيه فرصة للادعاء والتفضل . أما الاعتبارات الوطنية العامة وواجبات البذل والتضحية فى سبيلها فمسائل لم تدخل للأسف فى هذا الحساب .

هذه عيوب لا يتسع المقام للإطالة فى الكلام عنها ولكنى وقد سردتها فى إيجاز لا أستطيع إلا أن أضع هذا السؤال : ترى هل فيها مسائل يمكن أن يعالجها كادر قديم أو جديد ؟ كادر الموظفين مسألة نظر اليها على اعتبار أنها مشكلة مالية فهل آن الأوان لاعتبارها ناحية اجتماعية جديرة بالدرس والعلاج ؟ لقد سبقنا الغير الى ذلك ، فكان حظ العامل عندهم غير حظ المهمل ، وكان حظ الأعزب غير حظ المتزوج ، وكان حظ صاحب العائلة غير حظ من لم يرزق نعمة الأولاد . فهل آن الأوان لإلقاء مثل هذه النظرة العامة على الحياة الحكومية عندنا ؟ هذا نداء أتوجه به إلى وزارة الشؤون الاجتماعية قبل وزارة المالية .

عبد الشافى اللبان

الكذب عند الأطفال

بقلم السيدة زاهية مرزوق

يتطلب المجتمع منا معرفة حقنا من حق غيرنا، وكذلك يتطلب منا الأمانة فى سرد الحقائق. ونحن بدورنا نتطلب من الطفل مثل ما يتطلبه منا المجتمع ونحاسبه كما يحاسبنا المجتمع. ومما لاجدال فيه أن الطفل يكتسب صفة الصدق أو الكذب من بيئته التى تربى فيها. فإذا نشأ فى بيئة عمادها الصدق والأمانة كان صادقا أمينا و إذا نشأ فى بيئة عمادها الكذب والمراوغة وعدم الوفاء بالوعود كان كاذبا مخادعا، فهو يتخذ من أعمال مخالطيه مقياسا لأعماله؛ فإذا أصاب هؤلاء أصاب مثلهم و إذا أخطأوا كان هو أول الخاطئين؛ وكيف ننتظر من الطفل الصدق فى القول والإخلاص فى العمل وأمامه والداه يكذبان لكل مناسبة و بغير حساب؛ فيرى الوالد يكذب حينما ينكر وجوده بالمنزل تخلصا من ضيف ثقيل. أو تهربا من الدائنين، و يرى الأم تكذب حينما تنكر عمل شىء خوفا من غضب الوالد أو انتقاد الناقدين. و يراهما الاثنين يكذبان حينما يعدانه بشىء ولا يبران بوعدهما أو حينما يمنيانه بنزهة شيقة فى حين أنه مسوق للطبيب. نفعل كل ذلك أمام الطفل ونتصور أن إدراكه لا يتسع لكل هذه الأمور وفى الحقيقة إنه يدرك كل مايدور حوله من هذه الأكاذيب والمراوغات وأن هذه العقلية الصغيرة لا تغتفر لأحد التلاعب بها والضحك عليها ولو فى أتفه الأمور

ومن الخير لنا أن نتوخى الصدق مع طفلنا فى كل أمورنا ومعاملاتنا حتى يعرف قيمة الصدق والامانة فى قوله وعمله، وحتى لا نجنى عليه جناية تعليمه الكذب والمراوغة والنفاق.

وأهم صفة أخلاقية يجب أن نشدد فى غرسها فى الطفل هى الصدق فإن هذه الصفة تؤثر فى جميع الصفات الأخرى، وتستقيم بالمرء حتما الى ما ننشده له من دماثة الخلق وحميد الخصال.

سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم " أى صفة تريد أن أتحلى بها ؟ قال الصدق " فقال الرجل فى نفسه "هذا أمر ما أهونه" وأخذ عهدا بألا يكذب. وعند ما خلا الى نفسه وحدثته بإتيان المنكر تذكر وعده للرسول بألا يكذب عليه وقال لنفسه، وكيف يكون الموقف لو سئل عن معصية أتاها ؟ وهكذا ظل يزن بين الاستهواء والبر بالوعد حتى تغلبت الفضيلة عليه وصار من الصالحين.

وكثيرا ما تقودنا مصلحتنا الذاتية الى معاقبة الطفل على قوله الصدق، فالأم التى تضرب طفلها لأنه أفشى سرا للوالد كانت تريد إخفاءه عنه، أو لأنه اعترف للزائرين بوجودها بالمنزل رغم إنكارها، أو لأنها لقنته حكاية كاذبة فرواها بالصدق. هذه الأم إنما تجنى على طفلها جناية

لا تعرف مقدار أثرها فى مستقبله وأخلاقه وكذلك الوالد الذى يعاقب طفله على الصراحة فى القول والجرأة فى الحق فانه يقتل فيه أعز صفة فى أخلاقه . حدث أن طفلا كان صريحا فى بدء نشأته ، ولكن هذه الصراحة كثيرا ما كانت تؤلم والدته وكثيرا ما سببت له الضرب والايذاء ، وبعد قليل علمته التجارب أن الصدق غير مرغوب فيه ، وأن التمسك به لا يعود عليه إلا بالسخط والعقاب فأعرض عنه وبدأ بتجربة الكذب فى كثير من الأمور فبدلا من اعترافه مثلا بكسر الإناء كان ينكر كل علم له به ، فتتهم والدته الخدم وتنزل بهم العقاب على مرأى منه وهو يعلم تمام العلم أنهم أبرياء ، وتطاول فى التجربة حتى انغمس فى الكذب وصار يستخدمه لاتخلصا من العقاب فقط ، بل فى اختلاق ما يحلو له من أكاذيب إذا جرّت مغنما له ، فكان يدعى مثلا أن المدرسة كلفته بإحضار أشياء وهمية و يأخذ ثمنها لنفسه ، وكان لا يتورع عن الكذب والوقيعة بين من حوله ووصل به الحال حتى إلى الاختلاق على والديه والوقيعة بينهما بدرجة ظهر خطرها على علاقاتهما التى توترت أوصالها وانفصمت عراها .

وربما كان للطفل بعض العذر فيما يصوره له خياله من أكاذيب، ففى إحدى مراحل نموه تمر عليه مرحلة يختلط عليه الخيال بالحقيقة ، فمثلا يتصور أنه رأى عفريتا أو ماردا فى الطريق ، و إذا ساعدته الظروف اشتد هذا التصور فى مخيلته لدرجة يعتقد بها أن ما رآه حقيقة لا ريب فيها ، فلا يجد نفسه إلا لاهثا من الجرى ليروى حكايته المحبوكة الأطراف لأول من يصادفه ، فاذا وجد إعراضا من السامع عن تصديق حكايته التى لا أصل لها إلا فى خياله فإن ذلك يؤلمه فى شعوره، وأما اذا وجد إقبالا وتشجيعا على سماعها فانه يسترسل فى سرد تفاصيل هى أبعد عن الخيال من الحكاية نفسها ، وسرعان ما يحلو له سرد الأقاصيص الكاذبة والتمادى فى الاستهتار بعقول الناس .

وربما يقول البعض إن هذه الاكاذيب لا ضرر منها ، إذ ما الضرر الذى ينتجه الطفل الذى يأتى فيروى حكايات تافهة لا تقدم ولا تؤخر ولا تؤثر فى كنه الحوادث أو فى علاقات الناس بعضهم ببعض ؟ ولكن كيف تكون النتيجة لو أن هذا الطفل استعذب هذه الأكاذيب والاختلاقات وتمادى فى التفنن فيها وتوغل فى أساليبها وتركها تطغى على كل أعماله وتفكيره ؟ لا شك أن النتيجة تكون وبالا عليه وعلى مستقبله وخسارة كبيرة على المجتمع . كذلك يجب ألا نصدم الطفل فى أول الأمر بأنه كاذب فى تخيلاته إذ بذلك نثبط عزيمته عن التفكير والتصوير ، ونقتل فيه ملكة الخيال .

وما هذه القصص الخيالية التى نسمعها من الطفل إلا تمنياته وأمانيه يحيكها خياله على حسب ما يتصور و يتمنى ، و يدفعه شغفه بتلك الأمانى إلى الحلم بها حتى فى يقظته والتحدث بها للناس كأنها الحقيقة بعينها .

والواجب فى هـذه الأحوال أن نأخذ من الأمور أوسطها فلا نشجع الطفل بتصديقه المطلق لحكاياته ، ولا نصدمه دفعـة واحدة بتكذيبها ، بل نسمعها منه على علاتها ثم نناقشه الحساب فيها ونظهر له أوجه الضعف فى محتوياتها ونبين له ما كان منها معقولا أو غير معقول ثم نتدرج به حتى يحكم بنفسه على نفسه و يستخلص ما يصح أن يكون . و يجب أن نساعده فى التفرقة بين الخيال والحقيقة فى حكاياته المختلفة .

و يمكن للوالدين استغلال أحلام اليقظة هذه لمصلحة الطفل إذا شجعاه ومهدا له الطريق المستقيم إلى التعبير عما يجول بخاطره من خيالات وتصورات على شكل معقول يفيده فى تكوين عقليته وشخصيته .

وقد اختلف المربون فى كيف تنقل الأخبار المحزنة للاطفال ، وهل يكون ذلك بالصدق أو بالكذب . وهل يغتفر للأم مثلا تحت ضغط الظروف القاسية الكذب على طفلها تحاشيا لصدمة الأخبـار ؟ حقيقة كثيرا ما تجد ظروف مؤلمة تضطر الأم معها الى الكذب على انها أو ابنتها خوفا من عواقب الصدمة والـ ، مما يكون نتيجة ذلك اضطرابات نفسية شديدة فى الطفل . كما حدث للطفل الذى تو فى ... أثناء تغيبه عن المنزل فى زيارة بعض الأقارب و بعد رجوعه لم يجد والده كعادته فسأل ... فكذبت الوالدة عليه خوفا من صدمة الخبر ، ولكنه لم يلبث أن أخبره أصدقاؤه انه توفى ، وصوروا له كأبة الموت بأبشع معانيها فرجع الطفل الى أمه يلح عليها فى السؤال ولما أنكرت فأخبرها ... وفهمها أنها هى التى أخذت أباه منه فدفعته فى حجر ضيق لا يأكل فيه ولا يشرب واصبح يشك فيها ولا يأتمنها ظنا منه أنها يمكنها دفنه هو الاخر واضطربت حالته النفسية وسقم جسمه على مر الزمن ولم تفهم الأم ما انحدر اليه طفلها من سوء الحال إلا بعد أن لجأت الى العيادة النفسية وشرحت لها حقيقة الموقف . أما الطفل فقد عوفى من هذا الشعور الذى تولاه بشرح بسيط لعملية الموت وكيف أنها ظاهرة طبيعية بين البشر لا يمكن لأى فرد أن يفر منها .

وقد يندفع الطفل فى خطأ أو ورطة يصعب عليه الخلاص منها فيضطر الى الكذب كما حدث فى حالة الطفل الذى تداين من أجل استكمال مجموعة صور الشكولاته ، وكان عظيم الأمل فى رد هذه الديون بعد حصوله على الجائزة الكبرى ، ولكن آماله لم تتحقق وكثر دائنيه ضغط الدائنين حتى اضطر إلى استعمال ثمن الكتب التى طلب منه والده توصيله للمدرسة .

ولما اشتدت عليه المدرسة فى طلب النقود لم يتمكن من تقديمها واضطر للهرب خوفا من عقاب المدرس . ولما ذهب لانزل زعم أنه كان فى المدرسة طول يومه كالعادة . ولما ذهب للمدرسة فى اليوم التالى ذكر أنه كان مريضا بالأمس وأنه ما أتى إلا لعرض نفسه على الطبيب ، وهكذا تورط فى سلسلة هذه الأكاذيب حتى كادت تقضى على مستقبله وأخلاقه ولم ينقذه منها إلا اكتشاف الوالد لأمره صدفة وعمله على تلافى نتائج فعلته .

وقد تكون الغيرة والحسد أو حب الانتقام سببا قويا يدفع الطفل الى القدح فى سيرة زملائه لأولياء أمورهم و إلصاق جميع التهم الباطلة بهم كى ينالوا العقاب الذى يشفى غليله. مرت على فى الشهر الماضى حالة طفل اتخذ الكذب على رفاقه و لذم فيهم لتدويهم شغله الشاغل، فكان يجيء الى محادثة أهل الطفل بالتلفون و يقول لهم مثلا إن ابنكم فلان يأتى من المعصيات كذا كذا وهو الآن مع فلان يقومون بمنكر الأعمال . وهذا جازت هذه الحيلة على أهل الطفل أعطوه ما يستحق من العقاب الذى يطرب له الطفل الكاذب .

ومن الأطفال من يكون قليل النجاح فى حياته المدرسية فيستعيض عن الحقيقة بالخيال ليشبع رغبته فى النجاح، فتراه يحاول إظهار نفسه فى ميدان الدرس أو اللعب فيدعى أنه البطل العظيم فى هذا أو ذاك ، و يجلس بين زملائه فيخطب فيهم بما أتاه من ضروب الفروسية والشطارة المدرسية مما يصور له أنه جاز على عقولهم ورفع من قيمته فى أعينهم، وتراه يذهب إلى أمه فيقص عليها أخبار نجاحه وتفوقه فى المدرسة و يذكر لها كيف أن مدرسيه ذكروا اسمه بالفخر أمام جميع التلاميذ، وكيف أنه كان الأول فى كل شيء وكيف أنه عمل كذا وكذا من شتى ضروب الشطارة والفروسية وهكذا يطاوعه خياله فينسج منه هالة الفخر والنبوغ لنفسه، وكلما أظهر السامعون سرورهم من هذه الأخبار كلما زاد هو إمعانا فى اختلاقاته . وأحسن علاج لمثل هذه الحالات هو البحث عن مكان القوة فى شخصية الطفل و مواهبه واستغلالها استغلالا يشعره بنجاحه ولا يكلفه فوق طاقته فإن أكبر جزاء لمثل هؤلاء الأطفال هو ما ينالونه من نجاح ولو طفيف فى شيء من أعمالهم .

وربما استعمل الطفل الكذب لجلب عطف من حوله عليه وخصوصا اذا كان قد حرم من ذلك العطف فى مستهل حياته فتراه يختلق الألم والجوع أو يدعى اليتم والمسكنة أو الذلة والمهانة فى المنزل أو المدرسة، وكثيرا ما نجد هذا النوع من الكذب فى دور المراهقة، إذ أن الشاب فى ذلك الوقت أشد شعورا بحاجته الى العطف والمساعدة وجلب انتباه من حوله . ومن العادات الشائعة فى الوالدين أن يدققوا كثيرا فى استجواب الطفل عن مخالفاته ويضيقوا عليه الخناق حتى يضطر إلى الكذب هربا من هذا الموقف ، ولو أصاب الوالدان لوضعا همهما فى معرفة الأسباب التى دعته الى المخالفة وعملا على ازالة هذه الأسباب حتى لايضطر الطفل للنزول بمستواه الخلقى الى درجة الكذب .

وصفوة القول ان عادة الكذب من أخطر العادات وأشدها أثرا فى حياة الطفل ومستقبله ، ولذلك يجب علينا جميعا محاربتها بتفهم أسبابها ودوافعها والعمل على ملافاتها ، ويجب أن نفهم كذلك أن ما يصل اليه الطفل من الأمانة والصدق انما يتوقف على مقدار ما يحصله من تجاربه الخاصة ومن البيئة التى يعيش فيها .

زاهيه مرزوق

روح المساومة في المجتمع المصري

المساومة في المفاوضات السياسية لعقد المعاهدات و إنشاء المحالفات أمر مفهوم، وعمل مطلوب . أما ان أساوم في شراء متر من الصوف أو رطل من الصابون أو سواهما من حاجيات المنزل ومطالب الحياة اليومية فهذا هو العمل غير المفهوم ، والتكليف الصعب الاحتمال ، والشذوذ في التبادل التجاري الذي لا يستقيم مع روح القرن العشرين .

والمستهلك الذي تشغله ألف مسألة ومسألة في حياته اليومية من مشاغل العمل وتربية الأبناء وتدبير الموارد الشخصية ، والتفكير في الحاضر والمستقبل ، والرياضة والاطلاع ، إلى آخر ما يشغل الفرد العادي في حياته . هذا المستهلك لا يجد من الوقت ولا من الكفاءة ما يصبح به خبيرا فنيا في جميع أنواع الحاجيات وأسعارها... فهو لا يستطيع أن يكون خبيرا فنيا في أنواع الأصواف وأثمانها لأنه يريد أن يشتري بذلة له أو لأحد أبنائه ، ولا في جميع أنواع الجلود لأنه يريد حذاء له أو لهم ، ولا في جميع أنواع المنسوجات القطنية لأنه يريد أن يختار ملابسه الداخلية ، ولا في جميع أنواع الخشب والمعادن والأنسجة لأنه يهم بتأثيث منزله . ثم هو لا يستطيع أن يكون خبيرا في الدجاج والكرنب والبطاطس لأنه يريد أن يطبخ، ولا خبيرا في الفاكهة لأنه يريد شراء أقة تفاح أو موز !!!

وقس على ذلك جميع مطالب الحياة اليومية التي يضطر المستهلك إليها ، ويضطر للمساومة على شرائها .

لهذا لم يكن بد من وجود أسعار محددة للسلع المختلفة تغني المستهلك عن هذه الخبرة المستحيلة، ولم يكن بد أيضا من وجود قسط من الثقة بين البائع والمشتري يكفي للاطمئنان إلى هذه الأسعار و إلى بيان الأنواع ، و إلا أصبحت الحياة اليومية جحيما لا يطاق ، بل أصبحت تافهة حقيرة حين يصرف معظمها في المساومة مع بائع الخضر و بائع الدجاج !

وقد فطنت لهذه البديهية الواضحة بعض المتاجر الأفرنجية الكبيرة ، فأراحت واستراحت واكتسحت السوق المصرية مع الأسف، واجتذبت إليها أحسن العناصر، لولا أن عددا من البيوت المصرية التجارية تنبه في العهد الأخير إلى هذا، وأخذ يحتل مكانه في السوق المصرية ويجتذب الطبقات الراقية ، فكان هذا فألا طيبا .

ونحن، تجارا ومستهلكين، لم نكن نفطن إلى المجهود الضخم والزمن الكبير اللذين ننفقهما في المساومة على شراء حاجياتنا اليومية، لأننا ننفقهما في فترات متقطعة ولكن عملية حسابية

صغيرة تبين لنا أن خمس سنوات من كل ستين سنة على الأقل تضيع فى هذا العمل التافه الذى لاضرورة له ،وأن نسبة كهذه النسبة تضيع كذلك من مجهودنا الفكرى والعضلى ونحن واقفون أو جالسون مع بائعى الحاجيات نناقشهم ونسمع لهم ، ونبذل ذكاءنا وخبرتنا فى الدفاع عن أنفسنا ، ضد ذكائهم وخبرتهم !

وكل من المستهلك والتاجر يعد نفسه فى موقعة حربية مع الآخر و يريد أن ينتصر ويدبر المؤامرات ، و يقوم بالمناورات ، و يحاول أن يخدع غريمه بكل وسائل الخداع ولا تنتهى الصفقة حتى يستنفد كل منهما وسائله الخاصة ، و يفرغ كل مافى جعبته من تجارب السوق والذكاء الموروث والمكتسب ، وحتى يخسر كلاهما فضلا عن الوقت، والجهد ، نصيبا من خلقه وشيئا من ضميره .

والتاجر بعد هذا كله هو الرابح ، لأنه على علم بنوع البضاعة التى يقدمها و بالثمن الذى اشتراها به ، أما المستهلك المسكين فهو الفريسة فى كل حالة مهما كانت خبرته ومهما كان ذكاؤه لأنه لن يكون خبيرا فنيا بكل مافى السوق من سلع وما يتطلبه فى الحياة من مطالب ،ولكنه مسئول عن هذا مسئولية التاجر المساوم ،وكلاهما شريك فى هذا الوضع الشاذ للتبادل التجارى .

ونحن لا نتبة لسخف العمل الذى نقدم عليه فى حياتنا اليومية حين نختار الشراء بالمساومة ولا لسخف المفاوضات والمناورات التى يقوم بها كل من المستهلك والبائع فى صفقة واحدة.

ولو أننا استعدنا لأذهاننا صورة من كل مساومة على شراء مطلب يومى من مطالب الحياة لرأينا عجبا من الاستهتار بالوقت والأعصاب . ولو عرف البائع الذى يقضى ثلاثة أرباع وقته فى المساومة كم ينفق من الوقت وكم يخسر من عدد " البيعات " التى كان يمكنه إنجازها حين يقتصد فى وقته لما لجأ إلى هذه المساومات الغريبة .

و إنك لتعجب للبائع الجوال الذى يصعد إلى الدور الرابع و ينزل ثلاث مرات أو أربعا ليساوم على نصف قرش ، أو يذهب و يروح خمس مرات على المقهى ليرفض ثم يقبل ما عرض عليه أولا من السعر ،وكل هذا الجهد ليكسب قرشا أكثر أو ليختاسه ما دام رابحا فى السعر الذى عرض عليه .

و بين الباعة الجوالين من يبدأ مساوماته فى ندائه على بضاعته ، فأنت تسمعه ينادى "أبو شلن بقرش . أبو ريال بنص فرنك .أحسن ماركة بتعريفة ..."إلى آخر هذه النداءات التى لا عقل فيها ولا ذوق ، والتى تفضح نفسها بنفسها ، والتى لا تخدع أحدا ، وليس وراءها فائدة للبائع ولا للمشترى ... ولكنه مزاج !

على أن هناك نوعا من المساومة لم أفهمه حتى الآن ، ولا زلت منه فى عجب عاجب ذلك هو مائة البرتقال والليمون . وهل هى مائة وعشرون أم مائة وخمسون ؟ ما معنى هذا

وما جدواه ، وكيف تكون المائه مائة وخمسين ومائة وستين ، ولم لانسمى الأشياء بأسمائها؟ إلا أن يكون عنصر المساومة عريقا فى دمائنا ، وأن تكون المسألة من أولها إلى آخرها مسألة مزاج !

وإذا تجاوزنا المدينة فأوغلنا فى الريف وجدنا أنواعا من المساومات أشد غرابة من مساومات المدينة . فالبائع فى المدينة قد يحاول مضاعفة كسبه بهذه المساومة ، والمشترى قد يحاول الدفاع عن نفسه وتوفير نقوده . أما المساومة هناك فلذة وعادة وجزء من المسامرات العادية ومزاج !

ذلك أن البائع والمشترى ، أو المؤجر والمستأجر ، يعرف فى قرارة نفسه السعر المتعارف لمثل هذه الصفقة ، ويعرف أن الآخر يعرفه ، ويعرف أن هذا يعرف أنه يعرف ! ولكن لا بد بعد هذا كله من المساومة التى تنتهى إلى حيث كان يجب البدء من الجانبين المتفاهمين ، والتى تكال فيها الأقسام كيلا ، وتنثر الايمان نثرا ، ويذكر فيها كل منهما خسائره المتوقعة لو قبل السعر المعروض وخسائره الماضية فى صفقات خالية ، ويسرد تاريخ حياته فى التجارة أو الزراعة ، ثم ينتهيان من حيث ابتدءا الى السعر المعروف .

ويقع هذا فى كل صفقة ، وينتهى الى النتيجة المعروفة ، دون أن يحاول أحد الشذوذ عنه ، ومن شذ كان فى نظر القرويين مفرطا ومغفلا .

* * *

ووراء هذا كله يوجد لون من المساومة هو أخطرها جميعا ، لأنه يتعلق بتربية الأطفال فى البيوت والمدارس ، ويتجاوز طبقة الباعة الجهلاء إلى طبقات مثقفة محترمة ، فنحن اذا تركنا الطبقات المتنورة الى بيوت الغالبية من الشعب ، وجدنا مساومة من الآباء والأمهات للاطفال تطبعهم بطابع سيئ وتغرس فى نفوسهم الصغيرة روح الكذب وعدم الثقة والتلاعب والمداورة وحفنة أخرى من الرذائل الاجتماعية .

فالوالد بدل أن يمنح ابنه مصروفه اليومى دفعة واحدة يعطيه جزءا منه أولا فاذا استصغره زاده له مرة ومرة حتى يمنحه أقصى ما قرر منحه له . والأم تتخذ هذه الطريقة فى توزيع الفاكهة وسواها على أطفالها ، فتغرس فى أخلاقهم بذرة المساومة فى أحط صورها .

ويرتكب بعض المدرسين مثل هذه الغلطة الكبيرة حينما يعودون التلاميذ المساومة فى الدرجات وملاحظات الاستحسان ، وليس نادرا أن نسمع تلميذا يقول لمدرسه :

" والنبى كان نمرة يابيه ! . طيب نص نمرة ! طيب ملحوظة ! "

وبعض المدرسين يفسحون صدورهم لهذه الرغبات التى قد تكون بريئة فى نشأتها غافلين عما تغرسه فى نفوس التلاميذ من آثار سيئة تلاحقهم فى الكبر ، وتجعل منهم لبنات فاسدة فى المجتمع .

وبعض المدارس الأهلية لا يزال حتى اليوم يساوم المدرسين فى أجورهم ، ويساوم التلاميذ فى نفقات تعليمهم ، وقد كان هذا هو المبدأ المعمول به فى جميع هذه المدارس حتى صدر قانون التعليم الأخير فكف بعضها عن المساومة ، ولكن البعض الآخر لا يزال يتبع العرف التجارى السائد فى المحال الصغيرة وبين الباعة الجوالين ، الأمر الذى يجب القضاء عليه محافظة على سمعة التعليم .

وهناك مساومات تقع فى عيادات الأطباء ومكاتب المحامين على الأجور والاتعاب وهذه لا تحتاج إلى تأكيد كبير فى وجوب زوالها حفظ لكرامة طائفتين مثقفتين .

* * *

ما علة هذا العناء كله ؟

العلة الأولى — أن الوقت لا قيمة له عندنا ، ولو انتبهنا الى السنوات التى نلقى بها الى الضياع من أعمارنا المحدودة فى هذه المساومات ، لعزت علينا ولأبينا أن ننفقها فى هذا الحوار اليائس وذلك الصراع الحقير بين البائعين والشارين لنفقها فى جهد مثمر أو فى سكوت مريح .

والعلة الثانية — فقدان الثقة بين التاجر والمستهلك ، فقليل من الثقة يعصمنا من هذا الجهد المضنى ، ويريح نفوسنا من التعب ومن القلق الذى يساورنا والشك الذى يملأ نفوسنا بأننا غبنا فى السعر وخدعنا فى النوع ، وأن غيرنا اشترى بأرخص مما اشترينا . وهذه الثقة يجب أن تستند الى الأخلاق . وتلك هى المسألة كما يقول شكسبير !

والعلة الثالثة — ضعف الأخلاق ولا سيما خلق الصدق وخلق الأمانة ، فالبائع لا يتورع عن استغلال المستهلك أشنع الاستغلال متى وجد فيه جهلا بالأسعار والأنواع . والمستهلك يحاول أن " يهوش " البائع وأن يدفع عن نفسه غائلة الاختلاس .

والعلة الرابعة — قصر النظر . فهذا التاجر لا يهمه أن يحتفظ بزبائنه ، وأن يغرس فى نفوسهم الثقة به ، لأنه يعول على الفئات العارضة والفرص الطائرة ، وبهذا يخسر أولئك الذين يغشهم واحدا فى إثر واحد . وهو يحسب نفسه من الرابحين .

وليس عجيبا بعد هذا أن نرى الكثيرين ينفرون من هؤلاء المساومين إلى المتاجر المنظمة ذات الأسعار المحددة ، ولو كانت مرتفعة ، لأنهم يدخلون فى حساب الثمن ، راحتهم من المساومة ، واطمئنانهم إلى أنهم يشترون بالسعر الذى يشترى به سواهم ، وأنهم حصلوا على الصنف الذى يريدون .

ثم ليس هذا عجيبا ، ولكن العجيب هو أن يلجأ إنسان عاقل إلى محل يساومه ، وبجانبه محل آخر محدد الأسعار ، فعلى هؤلاء تقع كل التبعة فى بقاء نظام المساومة قاعدة للتبادل التجارى ، وهى لا تليق بأمة متمدنة .

ولا علاج لهذه الحالة إلا بالإعراض التام عن الباعة المساومين ، وتعاهدهم بهذا الإعراض أن يحددوا أسعارهم و يوحدوا كلماتهم ، كى لا نبقى هكذا أعجوبة العالم ، وموضع النقد على هذا النظام المعيب .

وكل مستهلك عليه واجب شخصى ، عند ما يوقعه سوء الحظ أو ضرورة الشراء مع أحد المتاجر أو الباعة الذين يتخذون المساومة قاعدة لعملهم ، وهو أن يفهم البائع أنه يريد منه سعرا محددا ، وأنه سيرفض الشراء فعلا إذا كان سيساومه ؛ وعند ما يجد هذا البائع نفسه أمام مستهلكين يريدون تحديد الأسعار ، فإنه يضطر إلى تحديدها ، فلا تمضى سنوات كثيرة حتى تبرأ السوق من هذا العيب الشنيع .

وقد يجد القارئ مشقة فى تنفيذ هذا المبدأ أول الأمر ، ولكنا نطمع أن يقوم المثقفون بهذه التضحية فى احتمالهم مشقة النصح ، لأن معظم هؤلاء الذين يساومون من الباعة جهلاء لا تصل إليهم أصوات النصيحة المكتوبة فى الصحف ، فالطريق الوحيد لإرشادهم هو الاحتكاك بهم ، والمستهلك أشد تأثيرا فيهم ، إذ عليه يعتمدون فى الارتزاق والحياة . وللمجتمع حقوق على المثقفين ، واحتمال بعض المشقة بعض هذه الحقوق .

على أنهم بهذا يقومون بحماية أنفسهم من الغش والتلاعب ، لأن الكثيرين من الباعة يفهمون أن حرية التجارة وحرية الكسب ، معناهما حرية السرقة وحرية الاختلاس ، ويستغلون جهل المستهلكين بحقيقة الأصناف وحقيقة الأسعار استغلالا لا يقف عند حد ، ويفهمون أن التجارة حرة على هذا الأساس !

فتحديد الأسعار يقى — إلى أقصى حد — من هذا الاستغلال المناف لكل خلق ، وتتم فائدته بتحتيم القانون كتابة السعر على كل سلعة ، لأن الباعة فى هذه الحالة سيخافون اطلاع الزبون على الأسعار المختلفة فى المحال المختلفة ، واختيار أرخصها فتكسد المتاجر المرتفعة الأثمان . وبهذا يضطرون الى الاكتفاء بسعر معقول ويحسبون حساب المزاحمة فى الأسعار .

وأنا شخصيا أرفض شراء كل صفقة يساومنى بائعها عليها ولو عاد فرضى بالسعر الذى حددته له من أول الأمر ، ثم أبين له سبب رفضى ، ولو فعل هذا كل من يشترون من الباعة الجوالين وسواهم من المساومين لقضى على هذه البدعة فى عدة سنين .

على أن هناك بعض المحال والباعة يكتبون أثمان السلع عليها تطبيقا للقانون . ولكنهم مع هذا يساومون إذا لم يقبل المشترى هذه الاسعار المحددة . ومثل هؤلاء يجب أن نجد فى أنفسنا الشجاعة لتسليمهم إلى البوليس واحتمال بعض المشقة فى هذا الإجراء لأن التسامح يملى لهم فى هذه الطريقة الشاذة وهى خداع فى خداع .

« س ... »

رُوحُ التربيةِ العصرية

بين الفردية والتضامن الاجتماعى

بقلم الأستاذ صلاح الدين الشريف المحامى

تدور اليوم على الأفواه وتتردّد كثيرا فى كل مكان كلمة " الفردية " ، وقد أتاحت لها ظروف هذه الحرب الاجتماعية أن تشغل حيزا كبيرا من عناية الكتاب والبحاث وأن تحظى مسألتها باهتمام دولة كبرى هيض اليوم جناحها وقد كانت بالأمس القريب فى طليعة المؤثرين لها والداعين اليها فى إيمان وإخلاص .

وهذا الاصطلاح مشترك المعنى عام الدلالة تجده مبثوثا فى العلوم القانونية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية . وهو، ان أردنا مدلوله الأصيل مجردا عن فنية الاصطلاح، يطلق على كل جهد إنسانى ينحو نحو إيثار الفرد أو دراسته كعامل اقتصادى واجتماعى هام له أثره البعيد فى توجيه مصاير المجتمع وطبع ميول أبنائه بطابع خلقى أو تربيبىّ خاص .

وللفردية فى مجالات النشاط الاجتماعى صور كثيرة وأساليب متعددة وآثار موجبة وسالبة لا يجوز لمن يتصدى لها بدرس أو يعرض لها بنقد أن يغفل أى جانب منها حتى تستوى له جادة البحث وتكتمل أدواته فيخلص منه الى نتيجة لا تكون مظنة التعصب والتحامل ومجافاة الروح العلمية والبحث المنزه .

ومقصدنا هنا هو أن ندرس الروح الفردية وأن نقارنها بروح التضامن الاجتماعى فى مجال التربية العصرية ، ثم نفحص أثر كل من المبدئين فى وضع المناهج وتنظيم طرائق الاصلاح، حتى نكون على بينة من الاتجاهات الصائبة التى يجب أن تتجه اليها التربية فى كلا المدرسة والمنزل .

وباحة المجتمع هى مجال الانسان ومصال نشاطه ، ولو اقتفينا أثر أىّ من ألوان النشاط الاجتماعى وتقصينا أصوله لوقف على مصدره الأول الذى نجم منه ونصل الى منابعه الأصيلة التى صدر عنها، وجدنا أن هذا النشاط الاجتماعى أو بالحرى هذا النشاط الانسانى ، فرديّ فى مصدره Individualiste فقيمة الانسان كعنصر اجتماعى متوقفة حتما على مزاياه الشخصية وصفاته الفردية ، الأصيلة فيه والمكتسبة ، كدرجة نشاطه مثلا ومقدار ذكائه ومدى حبه للنظام .

واذا أبعدنا قليلا فى تحليلنا الدوافع السيكولوجية والعوامل الطبيعية من وراثية واجتماعية واقتصادية — وهى التى تغرس فى الانسان صفاته أو تنمى فيه ميزاته وخلائقه وتتجه بها وجهة صالحة مستوية أو أخرى معوجة منحرفة — لكشفنا عن الباعث الأول فى نماء بعض الصفات وانحطاط بعضها الآخر ، ولعرفنا السبب الأصيل فى انسياق الانسان الغريزى إلى التخلق ببعضها والى هجره البعض الآخر . هذا السبب وذلك الباعث يرجعان الى ما يسمونه حب الذات égoïsme أو رغبة الانسان فى تحسين حالته .

وحب الذات ، كما تقول الاستقراءات السيكولوجية فى تطور الانسان الاجتماعى ، ليس شخصيا فحسب بل هو عائلى أيضا ، إذ أن الانسان يعمل ويكدح دائبا لنفسه ولعائلته . ويقول العلامة "تروشى" إن هذه الصفة الفردية للنشاط الاجتماعى فى مختلف صوره وألوانه هى التى أدت الى رقى العالم واطراد حضارته بما أظهرت من سياسيين ومشترعين ومخترعين سخروا مواهبهم وملكاتهم لخدمة الحضارة الانسانية وإذكاء طموحاتها نحو التسامى والاستعلاء .

وحب الذات ، ككل غرائز النفس الانسانية ، قوة جامحة وفطرة ملتهبة لا بد للافادة منها أن يعنى بترويضها وتهذيبها والمطامنة من جماحها . ولقد مضى ذلك الوقت الذى كانت التربية تتجه فيه إلى مجرد حشو العقول وشغل فراغها حيثما اتفق والاتجاه بها وجهة آلية محضة تصلح لمجرد المحاكاة العمياء والترديد الأصم ، وإغفال الملكات العقلية وإهمال القوى الكامنة وعدم التعرض للغرائز الغفل بدرس أو تجريب أو اختبار . فالانسان ككائن اجتماعى أو وحدة سيكولوجية ، هو مجموعة من الغرائز إذا أفلحت رسالة التربية المثلى فى أن تمكن صاحبها من التحكم فيها ، تهيأ للفرد فى ذات الوقت أن يوجهها كما يشاء بدل أن تتحكم هى فيه تحكمها فى الحيوانات الدنيا فتوجهه مسلوب الارادة حائر الهدف مطموس الشخصية حيوانى النزعات . والتربية الصالحة هى التى تفهم سيكولوجيا الغرائز وتهتدى بها فى أى منهج نهجته وتعمل على تخليق الفرد فى حدود غرائزه المهذبة وملكاته المنماة .

فالفرد مثلا ، مدفوعا بغريزة حب الذات ، ميال الى الأثرة نزاع إلى الأنانية . فهاتان خلتان فطريتان من شأنهما أن تشعلا فراغ ذهنه وتملكا عليه مشاعره فى مراحل العمر الأولى . وهما إن لم تجدا المهذب والمثقف يتولاهما بحسن الصقل ودقة التوجيه وصائب التلقين والايحاء ، مستعينا مرة بالعمل الملموس وأخرى بالتجربة المحسوسة ومرات بالدلالة والبرهان ، ظلتا على حالها الأولى وصارتا مصدرا لتقلقل الشخصية وزوالها ، وقد تصبحان مصدرا لمتاعب المجتمع إذا مادفعتا بصاحبهما إلى أحضان الجريمة وأغرتاه على الغواية ومقارفة الآثام .

وتتدرج فى حكم هذا القياس أقوى غرائز الانسان وأشدها تحكما فيه و إملاء عليه، وأعنى بها الغريزة الجنسية ، فهى إن لم تجد الوازع التربيى والضابط التهذيبى دفعت بصاحبها لا محالة إلى الاستهتار والاستباحة، وعندهما تموت كل المعانى الشريفة فى نفسه ، ومن ثم يصبح كأسير مستضعف لهذه الغريزة يؤمن بأنها مجرد أداة للاستمتاع والتفريج ووسيلة لإشباع الميول الشهوية الجامحة . ولقد يثقل عليه أن يفهم أنها وسيلة حفظ النوع وتكوين الأسرة لبناء مجتمع غنى بعائلاته قوى بأفراده ، وهكذا تتخاذل عوامل الابداع والبناء فى شخصيته وتغلب عليها جميعا حيوانية آسرة ترد الفرد أجيالا إلى الوراء ، إلى إنسان الغابات والأدغال .

والشخصية المستقلة التى تنشدها التربية العصرية ، هى مجموعة هذه الغرائز ، بعد ترويضها وتهذيبها وسوقها نحو الابداع والخلق لصالحها وصالح المجموع الذى يحتاطها . هذه الشخصية المعدودة حجر الزاوية فى المناهج الحديثة ، هى فى حقيقة أمرها شخصية فردية وليست بالطبع شخصية اجتماعية . ونعنى بهذا أنها — بصرف النظر عن العوامل الاجتماعية المتعددة التى خلقتها ونمتها — تحس أو قل يجب أن تحس فى كل مرحلة من مراحل العمر التعليمية بذاتيتها واستقلالها وأنها مهيأة دوما لأن تتعامل مع مجموعة كبيرة متحفزة من الأفراد فيما يشبه الكفاح والعراك ، فهى تعلم أو يجب أن تعلم أن باب التنافس الشريف لا يزال مفتوحا أمامها على مصراعيه وأن الغنية فيه للأقوى إرادة والأرجح عقلا والأصقل غرائز والأنضج ملكات . والحق أن هذا التصادم المتصل بين الشخصيات جميعا هو الذى يبرز قويها على ضعيفها وهو الذى يهيئ لأولئك الذين استكملوا خصائص الشخصية المستقلة الطامحة أسباب التفوق والنجاح والتبريز فى دنيا الكفاح والعراك . وهنا تتجلى الخصيصة الفردية فى أجلى مظاهرها ، وهنا يجب أن ننظر إلى الانسان من وجهته الفردية كعامل ذاتى مستقل له أهميته القصوى فى دائرته الفردية المستقلة ، وعندئذ يستقيم لنا القول بأن الأصل فى نشاط الانسان الاجتماعى فى مختلف أشكاله فردى محض ، ولهذا كان فرضا واجبا على مناهج التربية الحديثة إذكاء هذه الفردية فى الانسان و إنماؤها فيه حتى تجعله يستشعر ذاته مميزة مستقلة عن ذوات أقرانه .

ولكن هذا النشاط الانسانى الفردى فى مصدره له فى ذات الوقت مظهر اجتماعى واضح وهذا المظهر يتجلى فى الغاية المقصودة من هذا النشاط . والغايات الفردية جميعا تهدف نحو هدف كبير واحد هو المجتمع ، فكأن المجتمع هو الوسط المادى الذى لا يتهيأ بدونه لمجموعة الأفراد أن تكدح وتنتج لأنفسها ولمجموعة عائلاتها . فان حق للأفراد أن تتنافس فى كافة مناحى النشاط الاجتماعى للقيام بواجب معايشها ولإشباع حاجات الأسرة ،

فانه باق عليها أيضا أن تعلم أو أن تلقن أن هذا التنافس الضرورى لإنضاج الملكات وحفز قوى الخلق والإنتاج فى شخصية الفرد ليس مقصودا لذاته ، وإلا فهمنا منه معنى الصراع المادى المخرب الذى يستحل و يبرر كل ما يؤدى إلى أغراضه وغاياته من وسائط وأسباب. ولكنما المقصود فى مجال النشاط الاجتماعى القائم على الأفراد هو المجتمع ، أى ترقيته والمحافظة على وحدته وتحقيق التضامن بين أفراده . وعلى هذا الوجه يمكننا أن نفهم مدلول اصطلاح " التربية الاجتماعية " التى تهدف نحوها المناهج البداجوجية المثلى .

وهذه المناهج تحرص على تقوية تلك الحاسة فى نفوس الناشئة وتحفزهم على التصرف والسلوك فى هدى من هذا التضامن ينشأ فى مبدئه بين هيئات المعهد الدراسى وفرقه المختلفة ثم بين هيئات المجتمع الفسيح وجمعياته الكثيرة المتعددة .

فالفردية والتضامن الاجتماعى إن ظهرا أول وهلة على طرفى نقيض ، فهما فى الواقع بمثابة حلقتين متصلتين لا انفصام بينهما يمثلان شطرى التربية العصرية . وليس يكمل أى منهج تربيى لا يأخذ بهما و يؤلف التجاوب والانسجام بينهما .

ولقد أفاض البداجوجيون فى أوربا وأميركا فى دراساتهم المنتجة الدائرة حول هذين القطبين الرئيسين واستخلصوا من مجموعة تجاربهم وخبرتهم وأصول فن التربية الحديثة مبادئ عامة على جانب كبير من الأهمية . فافتتنوا يوصون وزارات التعليم ومجالسه باتباعها والسير على هديها . ولعل أهم هذه المبادئ العامة هى الصلة بين المناهج والتلميذ وكون التعليم جزءا هاما من عملية تربوية تقوى جانب الاستقلال والاعتماد على النفس وتفتيق الملكات واعتبار المدرسة جزءا من المجتمع الكبير ثم الاعتراف للتلميذ بقسط وافر من الحرية الفردية ، وأخيرا الاتجاه بالتعليم وجهة التجربة أى أن ما يتضح فساده أو عدم ملاءمته من المناهج يجب تركه إلى غيره بشرط تحرى الأناة والدقة فى وضع سياسة التعليم مع الاستفادة من أخطاء الماضى وعثرات التجارب السابقة والاستنارة بجهود الأمم التى سبقتنا فى هذا المجال .

فمعنى دوران محور السياسة التعليمية حول التلميذ أننا يجب أن ننظر إلى التلميذ كغاية وهذه الغاية هى التى يجب أن تخضع فى سبيل تحقيقها على الوجه الأكمل سياسة التعليم بكاملها ، بمعنى ألا نغتر بأن لنا مناهج تقرر وكتبا تؤلف وأساتيذ تعين وهكذا ، بل يجب أن ننظر إلى مدى تأثير هذا كله فى التلميذ وحل أفاده حقا أم أتمه ، وهل كل هذا النظام يتطور لصالحه و بالتالى لصالح مجتمع مثالى أم أنه يجرى آليا إلى غير غرض سوى إخراج

نسخ مكررة من تلاميذ مرضى العقول ضعاف النفوس قلق الشخصية يثقلون على كاهل المجتمع ولا يمثلون الا الأعضاء المشلولة فيه .

ومعنى أن التعليم هو سبيل إلى تقوية ملكات التلميذ وتفتيح قوى عقله ، أن تجعل من الطالب عاملا منتجا فعالا ليتهيأ لحياة اجتماعية منتجة فعالة يخدم بها نفسه ووطنه وأسرته .

والمدرسة أو المعهد العلمي أيا كانت درجته فى سلم المراحل التعليمية ، هو فى حقيقته مجتمع صغير أو يجب أن يكون صورة مصغرة للمجتمع الكبير فتتجه عملية التثقيف فيه وجهة تجريبية عملية منشطة . فيجب أن يتمتع التلميذ بحرية الرأى ويدرب على سعة البحث ودقة الحكم وأن يتعود المنافسة الشريفة التى تثير فيه كوامن ملكاته وروافد مواهبه ، وأن يحتصر من المناهج ما يتخم عقله ولا يفهم ميوله ولا نصله بالحياة صلة .

ولعلنا نلاحظ أن هذه القوى الأساسية وغيرها ، مما أغفلناه خشية الإملال ، خليط من المبادئ التى يخو بعضها منحى فرديا محضا ويتجه الآخر وجهة اجتماعية صريحة مما يدلنا أقطع الدلالة على أن الفردية والروح الاجتماعية صفتان أصليتان أو قانونان أساسيان فى كل دستور تعليمى محترم .

ونحن إذا طبقنا هذه القواعد أو بالحرى وازنا بين حال الذين يعملون بها وحالنا — ونحن نفهمها ولا نعمل بها — وجدنا أن التلميذ الغربى غنى بشخصيته قوى بأخلاقه ووجدنا أنا مازلنا مفتقرين إلى الشخصية القوية نزود بها الطالب المصرى فى مراحل تعليمه جميعا لتنفعه فى حاضره ومستقبله عند ما يريد أن يشق له طريقا فى الحياة ، وأن الخلق يجب أن نوجه إليه عناية عملية أقوى من العناية التى نتولاه بها الآن .

و بعد فالذى ينبغى أن نعرفه كما قال أحد المشتغلين بالتربية عندنا هو أن شخصية التلميذ وعقليته أهم بكثير من معلوماته وأن خلق الفرد أهم من ذكائه وأن المدرسة جزء من المجتمع لا وحدة إدارية وأن العبرة فى الانتاج المدرسى بالنوع لا بالكم .

صلاح الدين الشريف

المحامى

صحة النسل

أهم منابع الثروة القومية

بقلم الأستاذ س . ق

حين ننظر إلى مسألة الصحة العامة من الوجهة الاقتصادية ، نرى أنها منبع أصيل من منابع الثروة القومية بل أهم منابعها على الإطلاق ؛ وهى فى هذا الوضع جديرة بالعناية الجدية التى بذلتها أمم كثيرة فى أوربا وأمريكا فطنت إلى أهميتها البالغة فى حياة الشعوب .

والمعروف أن الطفل المريض يتطلب من النفقات أكثر من الطفل السليم ، فإذا قدر له أن يعيش كان إنتاجه أقل من إنتاج الصحيح ، وبهذا تتضاعف الخسارة القومية على الأمة التى تنتظر من كل فرد فيها أن يرد إليها حين يكبر وينتج ما أنفقته عليه وهو طفل عاجز عن الكسب ، ثم يزيد على هذه النفقات شيئا ما ، وإلا صارت الأمة إلى الفقر نتيجة لزيادة الإنفاق على الإنتاج .

أما اذا مات الطفل المريض قبل أن يبلغ سن الانتاج ، فإن الخسارة تكون أفدح لأن جميع ما أنفق عليه يضيع هباء ؛ وفى مصر إذا قدرنا عدد الأطفال الذين يموتون سنويا قبل سن الانتاج بعشرة آلاف طفل وهو أقل رقم ممكن وقدرنا قيمة ما يكون أنفق على الطفل الواحد بخمسين جنيها فقط بلغ مقدار الخسار السنوية من هذا الباب وحده خمسمائة ألف جنيه ؛ وهو تقدير تمثيلى فقط إذ أن نسبة الوفيات ونسبة النفقات أعلى من هذا بكثير . وقد تصل الخسارة سنويا إلى مليونين من الجنيهات .

وللمسألة جوانب أخرى غير الجانب الاقتصادى البحت — وإن تكن ذات علاقة به — فانتشار الأمراض السرية والعقلية والعصبية فى الأمة يكون سببا فى تدهور أخلاقها ومضاعفة عدد المرضى عن طريق النسل ، وفى نقص الكفايات العقلية والجسمية فيها مما يعرضها للاضمحلال والهزيمة فى المعترك العالمى كله لا فى الحروب وحدها . وتلك خسارة فادحة فى الأخلاق والعقول ، وفى المال والعتاد تبعا لهذا ، وهذا كله فضلا على الآلام والشقاء والتعاسة التى يرزح تحتها نسل هؤلاء المصابين طول حياتهم البائسة بلا ذنب ولا جريمة .

ويجب أن نعرف أن معظم الجرائم تنشأ من شذوذ عقلى أو عصبى يكون وراثيا فى كثير من الأحوال ، والبقاء ثمرة قريبة من الثمار المرة لهذا الشذوذ .

ذكر " الدكتور أوجست فوريل " الطبيب الألمانى وأستاذ الأمراض العقلية ومدير مستشفى المجاذيب بزوريخ سابقا فى كتابه " المسألة الجنسية " تعريب " الدكتور صبرى جرجس " أمثلة كثيرة عن عواقب التناسل بين المصابين ببعض هذه الأمراض نذكر منها المثلين الآتيين :

أولا — " قام الدكتور "بيان" فى "بون" بمساعدة السلطات المحلية بعمل أبحاث عن الخلف الذى أعقبته امرأة اسمها " إداجورك " ولدت عام ١٧٤٠ وماتت فى أوائل القرن التاسع عشر. كانت مدمنة على الشراب ومصابة بلوثات وراثية فاسدة. وقد بلغ عدد خلفها حتى الزمن الحاضر ٨٣٤ شخصا قيدت حياة ٧٠٩ منهم رسميا بما يأتى :

١٠٦ من أبناء السفاح و١٤٢ من المتسولين و ٦٤ عجزوا عن القيام بأى عمل يكفل لهم الرزق فعاشوا عيالا على المجتمع و ١٨١ امرأة من البغايا و ٧ أدينوا فى جرائم قتل و ٦٩ سجنوا لارتكابهم جرائم أخرى . وقد حدث كل ذلك فى فترة لا تتجاوز ٧٥ عاما وكلف الدولة مليونا ومائتين وخمسين ألفا من الجنيهات بين إعانات مالية ونفقات قضائية وتعويضات عن أضرار مختلفة ".

ثانيا — " تزوج رجل مصاب بالنوراستنيا من امرأة مصابة بالهيستيريا ذات طباع حادة فانجب هذا الزواج ابنا كثيرا ما كانت تعتريه نوبات من الثورة والهياج والعنف يأسف لها كثيرا حين يهدأ . وقد عمل ذات يوم وجاءته النوبة فأطلق مسدسه على جمع من الناس وأصاب بعضهم بجراح مختلفة. وأهانه طالب نشوان فى يوم آخر فأطلق عليه الرصاص على الأثر مع أنه كان فى حالته الطبيعية . وفى مناسبة أخرى أطلق الرصاص على صدره ولكنه شفى، وأخيرا وقع فى غرام عنيف مع امرأة مصابة بالهيستيريا وتزوج منها . وكانت حماته امرأة شاذة شريرة ، فأوقدت خصاما مرا بين الأسرتين فأهمه ذلك وطلب إلى زوجته أن توقف العراك فى الحال ولكنها تردت فأطلق عليها الرصاص وقتلها لساعتها . وقد ضبط طبعا وأودع السجن فى حالة من اليأس والألم الشديد " .

هذان مثلان يبين أولهما الفساد الاجتماعى والخسران الاقتصادى اللذين يثمرهما النسل من شخص مصاب بأمراض وراثية ، ويبين الثانى مقدار الآلام والشقاء الذى يحتمله هذا النسل المظلوم هو ومن يحتك به من السكان لآمنين .

ولو كانت لدينا احصاءات دقيقة فى مصر عن هذه الحالات لتبينت لنا الكوارث التى تهدد الحياة الفردية والحياة الاجتماعية من وراء التناسل بين المصابين بأمراض معينة، وبخاصة الأمراض الزهرية والأمراض العصبية وأمراض السل الكثيرة الانتشار فى الوسط المصرى .

ولقد تقدم حضرة الدكتور عبد الرحمن عوض بمشروع قانون فى ١٧ مارس سنة ١٩٢٨ وكان نائبا فى البرلمان بجعل الكشف الطبى على طالبى الزواج أمرا إلزاميا كانت مواده الأساسية كما يأتى :

المادة الأولى — يجب على كل مصرى يرغب فى الزواج أن يقدم لمن يتولى عقد الزواج شهادة من طبيب يختاره أو من طبيب الحكومة فى الجهة المقيم بها بأنه سليم من الأمراض السرية .

المادة الثانية — طبيب الحكومة ملزم بالكشف وإعطاء الشهادة مجانا إذا طلب منه ذلك .

المادة الثالثة — يكون الفحص حسب الطرق العلمية الدقيقة المتبعة ، ولا تعطى شهادة إلى من ثبت مرضه إلا بعد العلاج وإعادة الفحص وثبوت الشفاء .

المادة الرابعة — لا تفيد هذه الشهادة إلا إذا كانت صادرة على الأكثر فى الثلاثين يوما السابقة على تاريخ عقد الزواج .

المادة الخامسة — كل عقد لا تقدم فيه هذه الشهادة لا تسمع بمقتضاه دعوى الزوجية .

المادة السادسة — كل طبيب يعطى شهادة غير صحيحة ، وكذا طالب الزواج الذى يقدم لمن يتولى عقد الزواج شهادة مزورة يعاقب بالعقوبة المنصوص عنها فى قانون العقوبات خاصة بالتزوير فى أوراق عرفية ، ومعاقبة الشخص الذى يعقد زواجا بدون تسلم الشهادة المنوه عنها فى هذا القانون بالعزل وبغرامة من ١٠ إلى ٥٠ جنيها مصريا .

المادة السابعة — للزوجة التى حصل عقد الزواج عليها مخالفا لما جاء فى هذا القانون أن تطلب من القاضى الشرعى أو من الهيئة الدينية التابعة لها تطليقها وفسخ الزواج ، وفى هذه الحال يحل مؤخر صداقها فضلا عن حقها فى مطالبة الزوج بالتعويضات .

وقد كتب حضرته فى المذكرة الإيضاحية التى قدمها مع مشروع القانون الأسباب الوحيه التى تحتم هذا الإجراء ومما جاء فى هذه المذكرة من الأمثلة على فتك مرض الزهرى بالنسل وأثره فى حياتهم إذا عاشوا قوله :

"جاء فى تقرير أكبر ثقة فى فرنسا وهو العالم البحاثة الدكتور "فرنيه" أن ٤٢ فى المائة من الأطفال المصابين بالزهرى الوراثى من آبائهم يموتون فى الأرحام . هذا إذا كانت إصابة الآباء من زمن بعيد . أما إذا كانت العدوى من زمن قريب فإن النسبة تزيد إلى ٨٠ فى المائة ويولد ٣٥ فى المائة مشوهى الخلقة ولا يعيشون أكثر من بضع سنين ، ويعيش نحو ١٢ فى المائة

والداء كامن فى أجسامهم لايلبث أن يظهر يوما ما . ويقول أيضا : إن فى كل ١٠٠ حالة زهرية مكتسبة عند الكبار لم تعالج علاجا تاما يصاب ٩٥ بالجنون . أما إذا عولجت علاجا تاما فتصاب خمس منها بالجنون . وفى كل ١٠٠ حالة تعالج علاجا غير تام يصاب منها (بالضنى الظهرى) (تابس دورسالس) ٩٥,٦ بالجنون ، وإذا عولجت علاجا تاما يصاب منها ٤ و ٤ بالجنون .

ويقرر علماء الألمان الأطباء أن ٥٥ ٪ يموتون فى الأرحام و ٣٤ ٪ يولدون مصابين بعاهات وتشوهات مختلفة .

وكذا كل التقارير الصادرة فى أمريكا خصوصا تقارير الدكتور " جانس " تقول : إنه لا يعيش أكثر من ١٠ ٪ مصابين من الأطفال الوارثين لهذا الداء .

أما هنا فى مصر فانى أذكر ما كتبه اختصاصى مصرى قال : "أما نسبة المصابين بالزهرى من الأطفال فى مصر فقد أحصينا من الألف حالة الأولى التى تقدمت إلينا بالمستشفى ٧٤٤ عندهم علامات وتشوهات زهرية فتكون النسبة ٧٤,٤ ٪ . وما ذلك إلا لجهل المرضى بحقيقة المرض وعدم تقديرهم لعواقبه فيهملون العلاج". ولاحظ أحد أطباء القاهرة المشتغلين بعلاج هذا المرض أن سكان خمس قرى لاتبعد كثيرا عن العاصمة تفشى بينهم هذا الداء على وجه التقريب ، ومن هنا أرى شبح هذا الداء يهدد البلاد تهديدا مخيفا".

أما هؤلاء الأطفال المصابون وهم ١٠ ٪ الذين ينجون من الموت فيعتبرون من الوجهة العلمية مرضى بهذا الداء ويجب علينا علاجهم قبل أن تظهر عليهم علامات المرض بغتة يوما ما .

وقد قال العلامة الموفق الدكتور " بينار " فى مؤتمر الطفل المنعقد بمدينة جنيف سنة ١٩٢٥ " إن أردتم حماية الأطفال فانقذوهم من الزهرى " .

قدم هذا المشروع فى عام ١٩٢٨ فانقضت حتى اليوم ثلاث عشرة سنة ولم يصبح بعد قانونا مع أنه كان مشروعا متواضعا جدا بالقياس إلى القوانين التى صدرت فى البلاد الأخرى وتجاوزت حدود الإلزام بالكشف الطبى إلى الأخذ بوسائل " التعقيم "[1] فقد أصدرت ألمانيا فى سنة ١٩٣٢ قانونا بتعقيم المصابين بالأمراض الآتية ومنعهم من التناسل : البله الخلقى . الأمراض العقلية . الجنون . الصرع الوراثى . العمى الوراثى الخلقى . الصمم الوراثى التشوهات الجسمية الوراثية .

---

(١) عن مقال للدكتور عبد العزيز نظمى تحت عنوان « فى سبيل حماية النسل » بالعدد الأول من مجلة الشئون الاجتماعية .

ويبرر هتلر فى كتابه " كفاحى" هذا القانون بقوله :

"إنه لمن الضعف أن ندع المرضى الذين لا يرجى شفاؤهم ينقلون أمراضهم إلى أشخاص لا يزالون متمتعين بالصحة، فهى دليل على عاطفة لا تتورع عن قتل مائة شخص بدلا عن إيذاء شخص واحد، ولست أعتقد أن فى منع الشواذ من إنتاج شواء آخرين ما يخالف المنطق السليم . بل إن ذلك عمل إنسانى شريف هو أفضل ما يمكن عمله لمصلحة الجنس البشرى مادام يتم تنفيذه بطريقة علمية لا غبار فيها . لأن هذا العمل يوفر على ملايين من الناس آلاما ومتاعب لا يستحقونها فيجب إذن اعتباره من خير سبل الشفاء وتحسين النسل" .

وقد حذت السويد حذو ألمانيا فى هذا القانون ، ونفذت بعض مقاطعات سويسرا مثل هذا النظام وكذلك ١٩ ولاية من الولايات المتحدة بأمريكا. واكتفت حكومة الدانمارك بإباحة التعقيم وجعله اختياريا .

ومن هذا نرى أن مشروع القانون الذى قدمه حضرة عضو البرلمان المصرى المحترم كان قانونا متواضعا ، وقد كانت الحجة التى أبديت يومذاك ضد تنفيذه أن قلة المعامل فى الأقاليم لا تسمح بإجراء عمليات التحليل التى تقدم اليها .

وما كان يصح أن تكون هذه عقبة فى سبيل قانون تلجئنا الحاجة الملحة إليه، فقد جدنا بالمال فى سبيل " تحسين نسل الجاموس " فلم يكن أقل من أن نجود بمثله فى سبيل "تحسين نسل الانسان" فتحل مسألة المعامل من تلقاء نفسها. على أن الزمن لحسن الحظ قد حلها فانتشرت الآن بالأقاليم وأصبحت كافية لما يطلب منها . وقد أعادت وزارة الصحة فى هذا العام تقديم مشروع قانون كالذى قدمه حضرة الدكتور عبد الرحمن عوض للبرلمان فوجو النظر فى الملاحظات الآتية بخصوصه :

أولا — نلاحظ أن المشروع نص على " الأمراض السرية " وخص " الزهرى" منها بعناية كبيرة . فى حين أن هناك أمراضا أخرى وراثية لا تقل فداحة على الاسرة وعلى الأبناء من هذه الأمراض، فالسل مثلا شديد الوطأة فى عدواه للزوجة وللأبناء الذين يولدون ضعافا ثم تصيبهم العدوى بعد ذلك بالاختلاط مع أبويهم المصابين ، وتختم الكارثة بموت عائل الأسرة حيث يتركهم جميعا عرضة للمرض والإهمال ، وهؤلاء يبدءون بدورهم إذا قدرت لهم الحياة فى تمثيل المأساة من جديد .

والأمراض العصبية واللوثات العقلية لا تقل نتائجها خطرا عن نتائج الزهرى. وفى المثل الذى ضربه " الدكتور أوغست فوريل الألمانى " ما يكفى للدلالة على خطرها الطويل الأمد المتعدد الحلقات .

على أن الطبيعة قد تساعدنا فى التخلص من الدسل المصاب بالزهرى ، لأن نسبة الوفيات بينهم عالية كما يظهر من الأمثلة المتقدمة وتلك رحمة من السماء ، ولكنها لا تبذل لنا هذه المساعدة فى اللوثات العقلية والأمراض العصبية التى قد يكون المصابون بها من المعمرين والمخلفين . وهى فى الوقت ذاته غير قابلة للشفاء فيما يعرفه الطب حتى الآن . بينما الأمراض السرية والنسل قابلة للشفاء فى بعض الحالات ، وللوقاية من عواقب الوراثة فى حالات أخرى .

لهذا كله يجب أن ندخل هذه الأمراض جميعا فى القائمة التى لا يتم الزواج إلا بانتفائها أو شفائها .

ثانيا — يلاحظ على مشروع القانون أنه يحتم الكشف على الخطيبين قبل شهر من الزواج وهذا الشهر فترة طويلة جدا يجوز أن يصاب أحدهما فى خلالها ، فإن أحد الأمراض السرية يمكن ظهور علاماته بعد ثمان وأربعين ساعة ، والآخر يمكن ظهورها فيه بعد أسبوعين اثنين . فيجب تقصير هذه الفترة بحيث لا تزيد على أسبوع قبل العقد .

ثالثا — يجيز المشروع لكل من الخطيبين أن يقدم شهادة من طبيب يختاره أو من طبيب الحكومة فى الجهة المقيم بها . ومع ما فى هذا من التيسير على الناس ، إلا أن الاحتياط الواجب لهذه المهمة الخطيرة يقتضينا كثيرا من الحذر وقليلا من سوء الظن وبخاصة حين نحسب حساب الأوساط الريفية عندنا ونظرها إلى مثل هذا المشروع والمجهودات التى ستبذلها للتخلص من قيوده .

وهذا الاحتياط يجعلنا نحتم الحصول على هذه الشهادة من هيئة طبية منعقدة فى صورة " قومسيون " محلى يضم طبيبة للكشف على السيدات والأوانس ، حتى نأمن بهذا كل تلاعب فى الحصول عليها . ويجب أن نتذكر قضايا الأطباء والصيادلة مع مرضى المخدرات وأن نعتقد أن محاولة الانفلات من هذا القانون ستكون أشد من محاولة الانفلات من قانون المخدرات .

ولن يعدم اعتراضات أخرى على مثل هذا المشروع غير الاعتراض بقلة المعاقل وسيكون من بين هذه الاعتراضات النفقات التى يستدعيها تأليف هذه الهيئات الطبية وكذلك صعوبة تنفيذه فى الأوساط الريفية وما قد يقال عن مخالفته للتقليد . . . الخ .

ولكن ينبغى ألا نقيم وزنا لمثل هذه الاعتراضات ، متى وضعنا أمام أنظارنا صورة للعواقب الوخيمة التى يثمرها ترك المرضى والمشوهين والله والمجانين ينسلون ويتكاثرون ويحطون بهذا النسل والتكاثر مستقبل الأمة فوق ما يحملون أبناءهم من آلام وتضحيات .

س . ق

الطفل في السجون

للأستاذ فتح الله محمد المرصفي
مفتش التعليم بمصلحة السجون

إن من المسائل الاجتماعية الخطيرة في مصر بل وفي غيرها من أمم العالم المتمدين مشكلة الأحداث اهمل وصغار المجرمين ولم أفتأ أعرض لبحثها وعلاجها كلما سنحت لي الفرصة في أي ناحية من نواحي الحياة المصرية يكون لها أثرها وصوتها المسموع عند رجالات مصر المفكرين والعاملين على الاصلاح وقادة الرأي العام وفضليات النساء اللواتي كلفن بالخدمة العامة وشؤون مصر الاجتماعية و إنه ليزيد في غبطتي و يضاعف رجائي أن تفسح لنا اليوم " مجلة الشؤون الاجتماعية" مكانا بين صفحاتها لنسمع صوت الطفل السجين ناحية من نواحي مؤاساة الطفولة المعذبة .

وفي يقيني أن في مقدمة العلل والأدواء الاجتماعية في المجتمع المصري الأسرة المصرية فإن إغفالها اليوم دون تشريع أمر سيكون له نتائجه السيئة وعامل قوي في انتشار الجريمة ومضاعفاتها وما ذلك إلا من فوضى الحرية التي ملكت مشاعر أفراد الأسرة كبيرها وصغيرها غنيها وفقيرها .

ومن القول المأثور أن ليست الهيئة الاجتماعية إلا اتساع دائرة الأسرة فاذا اخرج الانسان من أسرته فاسد الأخلاق دخل المدينة فاسد الأخلاق .

وليس بعزيز على المرأة المصرية بعدما أصبحت فيه من مكانة في المجتمع المصري و بفضل ما قامت به زعيمة الحركة النسوية ورئيسة الاتحاد النسوي صاحبة العصمة السيدة هدى هانم شعراوي وجاهدت في سبيله لخير المرأة المصرية أن تعمل لإسعاد الأسرة ورفع مستوى الحياة الاجتماعية ومن أولى باصلاح حياة الأسرة وشؤونها الاجتماعية وأبرع من المرأة، تلك التي قيل عنها بحق إن هزت المهد بيمينها فقد هزت العالم بيسارها .

و إني أهاب فيما ألمعت اليه من كلمات وجيزة ألا تتسع سطورها فالمح لما سجله التاريخ القديم والحديث واعترف به علماء الاجتماع وأقره القادة والمصلحون وما نصت عليه الشرائع والأديان المختلفة عامة من مكانة المرأة في جميع نواحي الحياة، التي إن صلحت صلح كل شيء وان أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق .

وائن جاز لنا أن نسجل ما توج به هذا العصر المجيد من احساس فياض غمر أفراد الشعب قاطبة و بخاصة الفقراء في شخص الجمعيات الخيرية والمنشآت الانسانية من تبرعات ملكية ومبرات

يقصر دونها الاحصاء فان مليكنا البار الصالح المحبوب "فاروق الأول" حفظه الله قد ضرب لنا المثل العليا فى كل مناسبة مما يكنه من عطف سام لخير الانسانية وفى مختلف نواحى الحياة الاجتماعية المصرية.

وقد سارع القوم والعاملون على الاصلاح لخير الانسانية وفى مقدمتهم المرأة المصرية فى شخص الاتحاد النسائى وما عداه من الجمعيات النسوية إلى إقامة المنشآت ومآوى الأطفال وتخفيف ويلات الفقراء مما سوف يكون له أبلغ الأثر فى حياة أفراد الشعب من المعوزين اليائسين وطبقات الأمة على السواء ومما قد يصيبها من شر عاجل أو آجل .

فها قد لقى اليوم الطفل الشريد وأخوه اليتيم وغيرهما من أطفال الشوارع والقطاء ومن اليهم من الأطفال الشواذ من الحماية والرعاية فى زمن اتجهت فيه أعمال البر وفى عصر توجهت اليه عاطفة الخير وفعل الانسانية الى الطفل الفقير وما أحوجه إلى إقامة المشروعات الخيرية والمؤسسات الانسانية .

إلا أنه جدير بنا أن نخص بالذكر فى هـذا المقام مئات الأطفال بل وعشرات الألوف ومن هم فى أعمارهم الغضة من نزلاء السجون أو من يزجون فيها سنويا بين عتاة المجرمين لالذنب جنوه سوى افتقارهم إلى عطف الافراد والهيئات العاملة من أبناء قومهم والمصلحين من قادة الرأى العام فتشملهم الرعاية ويحميهم القانون مما اقترفوه من إثم كان سببا فى الحكم عليهم وترديهم فى هوة الاجرام، فأطفالنا فى محاكمتهم ليسوا إلا كالبالغين من المجرمين وهم أشدما يكونون حاجة إلى إصلاح وتهذيب يسيء بهم إلى الحياة الشريفة وسوف يأتى اليوم القريب الذى ينال فيه هؤلاء الأطفال ما انيه أمثالهم من عطف وحنان أسوى بين جدران الاصلاحيات اليوم بما أدخل عليها من نظم رشيدة واتجاهات حديثة كان لها أثرها فى حياتهم مدة إقامتهم بتلك الدور التى أصبحت تسمى بحق معاهد الاصلاح والتهذيب .

إن ما أريد أن ألفت النظر إليه أن يقدر ذوو الرأى والعاملين على الاصلاح ما أصبحت عليه حالة الجريمة من الأحداث وخطرها علينا وتزايدها بيننا فى العشر السنوات الماضية كما ولست أريد أن آتى مفصلا على ما تدور حوله الأرقام والاحصاءات عن مختلف الجرائم وحصرها فاحصاءات الدولة السنوية خير مرجع لمن يريد التدقيق وما أصبحت تصدره مصلحة السجون من تقارير سنوية تشتمل على الكثير من الأبحاث بخاصة ما يحيط بالحدث من نواحى الحياة الاجتماعية مؤيدا بالأرقام الدقيقة والآراء السديدة فاذا ما علمت أيها القارئ الكريم أن مجموع الأحداث المحكوم عليهم فيما بين سنة ١٩٢١ إلى سنة ١٩٢٥ قدروا ١٠٠٥٧ منهم ٢٢٣ بنات زج من هؤلاء بين جدران السجون ما لايقل عن ٤٠٠٠ طفل أو يزيد و ٥٠٠٠ نفذ عليهم الجلد بالعصا هـذا غير من قد حكم عليهم فى هذه

المدة بالوضع باصلاحيات الأحداث . وفى غضون المدة ما بين سنة ١٩٢٨ الى سنة ١٩٣٢ زاد مجموع المحكوم عليهم من الأحداث الى ما قدر ٤٥٦٧٥ من هؤلاء ٦٤٨ بنتا منهم ٢٦٩٦١ أمضوا مدة العقوبة بالسجون العمومية والمركزية من بينهم ٤٥٠ بنتا كما ألحق ٢٣١٨ غلاما منهم ٤ بنات فى اصلاحيات الأحداث ونفذت عقوبة الجلد على ٨٣٩٦ غلاما من بينهم ٤ بنات فقط .

وفى سنة ١٩٣٥ كان عدد المحكوم عليهم بالتأديب الجسمانى والحبس بالسجون والوضع باصلاحيات الأحداث ٩٠٩٠ منهم ١٦٥ بنتا ألحق من هؤلاء باصلاحيات الأحداث ٣٢٨ منهم ٧٣ بنتا والباقون زجوا بالسجون ومنهم من نفذ عليهم عقوبة التأديب الجسمانى بالسجون وفى سنة ١٩٣٦ حكم على ١٩٥٥٠ غلاما ألحق من هؤلاء ٤٥٢ غلاما بالاصلاحيات منهم ٤٨ بنتا والباقون قضوا مدة العقوبة بالسجون العمومية والمركزية ومنهم من نفذ فيهم عقوبة الجلد بالعصا ما بين عصا واحدة الى ٢٤ داخل السجون .

وقد أشار تقرير السجون السنوى الأخير الى أن من بين الاحداث المفرج عنهم بعد تنفيذ التأديب الجسمانى فى السنة القضائية ١٩٣٥ — ١٩٣٦ ما قدر بـ ١٢٤٠٥ غلاما كما عنى بحصر الغلمان الذين كانوا بالسجون فى هذه السنة القضائية وعددهم ١٩٠٢ غلاما تتراوح أسنانهم ما بين سبع وخمس عشرة سنة .

وليس بغريب أن يكون للاحداث الاصلاحيات حظ وفير من التقرير السنوى للسجون إذ أن الرعاية التى يلقاها الاحداث اليوم والعناية التى شهدتها دور الاصلاحيات ما سجله تاريخ لاصلاح لرجل أفاض على هؤلاء بعطفه وأولاهم عنايته وتقديره ولم يفتأ بذكر الطفل السجين نألمع اليه "فى أداء الحكم بالسجن على هذه الناشئة ويحال بينهم و بين مستقبلهم بحكم القضاء الذى هو الفصل بين الماضى و بين المستقبل فأمر فرغ المشرعون من بحثه وأجمعوا على هفواته" نعم أننا نخلق من أطفالنا المهمل مجرمين عتاه إذ أننا لم نفكر بعد فيما دفعهم من أسباب الى ارتكاب الجرائم ولا فى الوقوف على حقيقة العوامل التى كانت ولا تزال تعمل على ارتكابهم الجرائم حيث الجماهير الهادئة .

حقا ان أطفالنا المهمل وصغار المجرمين ومن يسعدهم الحظ فيساق بهم الى الاصلاحيات دون أن نقف منهم على الأسباب الجوهرية والعوامل النفسية والعقلية والصحية وما عداها مما أحاط الأسرة من ضعف شامل لنواحى حياتها الاجتماعية والحق يقال إنها أحوج الى تشريع شامل لنواحى الحياة الاجتماعية ونظم كفيلة برعاية الاحداث وحمايتهم أثناء المحاكمة هذا إلا أننا نغتبط اليوم لحركة الفكرية للاصلاح والتهذيب وما يتجه اليه من تقدير لحرية الطفل ، ويلوح لى أنهم يحاكمون فى جميع قضاياهم بنظام محاكمة المجرم البالغ بعيدا عن نظم

محاكمة الاحداث اليوم فى البلدان الأخرى والتى أصبحت أشبه بهيئة عائلة هذا الطفل المسجين ورفاقه كما قرر عنهم صاحب السعادة مدير السجون فى تقريره السنوى صفحة ٢٣ "فقدو مصادر الحب وموارد المال إما لفقد الأهل والأقربين أو لأنهم أصبحوا مهجورين فصاروا من العوز لدرجة لا يجدون معها حتى ما يسد الرمق أو يستر السوءات هؤلاء هم المعرضون للانزلاق والوقوع فى الجرائم التى من أجلها تفتح أبواب السجون" وقد استرسل سعادته قائلا "لكن اصلاحياتنا اصلاحيات زراعية فى كل حاضرة مديرية وحدة منها تتقبل أبناء المديرية المهمل و المهجورين مما لا محالة سائرون اليه من التعاسة وسوء المصير".

وإلى أولى الأمر فينا وقدة الرأى العام منا تسمع صوت هذا الطفل السجين عاليا إذ ملك عليه السجن مشاعره وانساه طفولته وأفقده حريته وانتزع من بين أضلاعه ذلك الحب الفطرى فأودعه انتقاما وشرا مستطيرا نحو نفسه و بنى عشيرته وانه بما يوضع من نظم تكفل له ولأمثاله حق الرعاية والحماية سواء أكان ذلك أثناء المحاكمة أم القضاء لمدة حكم قد يستعاض عنها بالوضع تحت المراقبة فتصونهم من الانزلاق فى بيئات الجريمة والمجرمين. فمنذ مائة سنة أو يزيد كان الكثيرون من الأطفال فى بلاد الانجليز كغيرها من أمم العالم يزجون فى السجون بين طغمة الاجرام وفوق هذ كان يحكم على الطفل بالاعدام إذ ارتكب بعض الجرائم نعدها فى عصر المدنية اليوم تافهة بحيث يكتفى بوضع مثل هذا الطفل تحت المراقبة Probation System كعلاج له أثره فى حياة "الاصلاح والتهذيب ومقاومة الجريمة بوجه عام ولقد بدا للقوم تدريجا أنهم باغفالهم اصلاح شأن الأطفال لمهمل وصغار المجرمين يخلقونهم مجرمين عتاه فالطفل المشرد اليوم إلا المجرم العتيد ابن الغد وان الشعب الانجليزى ليفخر اليوم بما وصل اليه من وسائل لاصلاح شأن الأحداث لمهمل وصغار المجرمين والوقاية من الجريمة والأطفال يحاكمون فى حجرات خاصة وتتشكل محاكم الاحداث من قاض تعاونه سيدة تجاس معه أثناء المحاكمة كما يتبع هيئة المحكمة سيدة أخرى تؤدى وظيفة ضابط قضائى ومن المقرر أيضا أن رجل البوليس الذى يحضر ليؤدى شهادته على الطفل يحضر بملابس عادية غير رسمية كما يتعين أن يتبع ضباط المراقبة Probation Officers لكل محكمة من محاكم لاحداث فى أنحاء المملكة وفى مقدمة و جباتهم الاشراف على الحدث الصغير فى منزله والسهر على حالته الصحية والخلقية وعطائه الفرصة لاستعادة احترام نفسه كى يندمج عضوا عاملا فى الجماعة.

فتح الله محمد المرصفى

تربية الأطفال

وأثر الاختلاف بين الأبوين فيها

بقلم الأستاذ س . م .

تحنو الأم على طفلها و يتغلب قلبها على عقلها كلما أخطأ . فهى توسع له من رحمتها وتأبى أن تتقاضاه بالعقوبة التى يستحق . وهو لذلك يركن اليها و يفر إلى حضنها كلما وجد من أبيه صرامة أو خشونة . وعادة الأب أن ينظر إلى المستقبل أكثر مما ينظر الى الحاضر فى كل ما يتعلق بأبنائه وأن يسلط عقله على قلبه حتى ولو آلمه هذا . فقد يعاقب الأب ابنه وهو يتألم لهذه العقوبة ولكنه يؤديها واجبا أبويا يعتقد أن مصلحة ابنه تقتضيه لأنه ينشد فى ابنه رجلا للمستقبل و يحب لذلك أن يعوده عادات الرجولة فى الجد والشجاعة والأمانة والاقتصاد .

ولا بأس فى أن يختلف الأبوان بعض الشىء فى المعاملة لابنهما أحدهما يعامله بقلبه ورحمته ، والآخر يعامله بعقله وحكمته . ولكن إذا أسرف كلاهما فى اتباع خطته فان الفرق بينهما يتجسم أمام الطفل و يعود وكأنه مظلوم من أبيه لا يجد حقه إلا عند أمه . وعندئذ نرى الطفل المدلل . أى ذلك الطفل الذى يطلب من أبيه قرشا زائدا فيجد الرفض . ولكنه لا يبالى هذا الرفض لأنه — بعد أن يخرج أبوه من البيت — سيلجأ الى أمه و يلح فى طلب هذا القرش حتى تدفعه اليه . ونجد ذلك الطفل الذى يرتكب جرما صغيرا يعاقبه أبوه عليه بالتوبيخ والنهر أو بما هو أقسى منهما ، فاذا بكى أمته وربتت عليه ورشته بالحلوى أو القروش كأنها تؤدى له تعويضا عما أنزله أبوه به من قسوة زائدة . ومنطق هذا الطفل ينتهى به إلى أن جرمه الصغير لم يكن يستحق العقوبة وأن أباه لم يكن له الحق فى هذه القسوة والبرهان قائم فى ذهنه على ذلك بما رأى من اختلاف بين أبويه فى معاملته .

وخيبة الأبناء تبدأ من هذه البدايات الصغيرة . فان الطفل فى سنيه الأولى من عمره يتخذ أسلوبا من السلوك وقانونا من الأخلاق كلاهما قد رتب على ما لقى من معاملة أبويه فى هذه السنين . وهو عندئذ يكره أباه و يعده عدوا بكل معنى العداوة . يستثقل ظله و يستخشن صوته و يكره لقاءه و يتعمد ايذاءه و يستغش نصيحته . وكثيرا ما نلقى أطفالا يهزأون بآبائهم و يضحكون من حولهم بحاكاتهم لهم فى حركاتهم وايماءاتهم . ولا سبب لهذه الحال إلا أن هؤلاء الأطفال قد كرهوا آباءهم . ولعل كثيرا من هذه الكراهة يرجع الى أن الأم كانت

تصالح ابنها وترشوه وتدلله كلما أوذى بالعقوبة من والده حتى استقر فى عقل الصغير أن هذا الوالد عدو . ومتى استقرت هذه العاطفة فان من الصعوبة بمكان أن تزول فى المستقبل حتى حين يشب الصبى و يعرف مكانة أبيه ويحكم عقله فى علاقته ...

والعادة أن الطفل يعجب بأبويه — وخاصة بأبيه — إذ لم يجد ما يعوق هذا الاعجاب وهو يحب أن ينشأ على غراره له مثل مقامه وصناعته وهيئته . وقد قيل " كل فتاة بأبيها معجبة " والحقيقة أن كل فتى أيضا كذلك . ولكن اذا كانت الأم قد أفسدت العلاقة بين الأب والابن بالاسراف فى التدليل والمبالغة فى الرحمة فان الطفل ينشأ وهو يكره كل شىء يلابس أباه أى يكره عاداته وأخلاقه وحرفته ويحاول — بعقله الباطن — أن يتجنب و يتحامى كل هذه الأشياء لأنها فى ميزانه النفسى خصال مكروهة من شخصية غير محببة .

وقد يكون الضرر من هـذا الاختلاف بين الأبوين فى تربية الأبناء صغيرا عند الأمم الأوربية لأن تربية الأم هناك لا تقل عن تربية الأب . وكلاهما يعرف قيمة الحبس للعاطفة والاستماع لنداء العقل وضرورة الصرامة فى بعض المواقف وضرر التدليل . وكلاهما يعرف أنهما حتى حين يختلفان يجب أن يكون هذا الاختلاف بعيدا عن رؤية الابن . ولكن الحال ليست كذلك فى مصر حيث التقصير واضح فى تربية الأمهات . فان مستوى الرحمة يزيد على مستوى المرأة . وليس هذا فى التحصيل المدرسى أو الثقافة العامة فقط بل أيضا فى الاختبارات الدنيوية والقدرة على الحكم على المستقبل وتمييز النافع من الضار فى كل ما يتعلق بأخلاق الطفل . ولهذا تعد رحمة الأم التى تبلغ حد التدليل للطفل ضررا أكيدا به لأنها تجعله يحس أنه على حق فى كل خلاف ينشأ بينه و بين أبيه . وهذا الشعور يفضى به الى كراهة المدرسة والواجبات المدرسية وموقف الجد والاقتصاد والوقار الذى يطلبه أبوه منه . ومن هنا تكون حقيقة الرحمة التى تعامل بها الأم ابنها ضربا فظيعا من القسوة لأنها تؤدى الى خيبة بنيها .

ولذلك يجب على الأبوين أن يقف من أبنائهما موقف سليمان بن قتل كل شىء على توفق الوفاق بينهما وتوحد الرأى فى معاملتهما للأطفال . وليس المعنى هنا ألا يختلف بيتانا . وإنما نقصد الى أن الاختلاف حين يحدث يجب أن يكون بعيدا عن الأطفال . وخير ما يعامل به الآباء أبناءهم أن يفرضوا أنهم غرباء عنهم وأنهم قضاة عدول . فلا تدليل ولا تقتير ولا قسوة ولا إسراف ولا محاباة بل يعامل الطفل بنزاهة تامة كأنه أجنبى . فاذا أخطأ قيل إنه أخطأ وأوضح له الضرر الماشىء من هذا الخطأ فى غير تخفيف أو مبالغة . ويجب أن يشعر الطفل أن أبويه على رأى واحد فى هذا النظر حتى لا يتشكك ولا يظن أنه مظلوم من ناحية أحدهما أو محابى من ناحية الآخر .

ولما كان لقدوة الأبوين أثر عظيم جدا فى نشأة الطفل فانه يجب على الأبوين أن يسلكا على الدوام السلوك الحسن أمام أبنائهما وألا يرتكب أحدهما أى خطأ يجعل الأطفال يستصغرونه. وأخطر أنواع هذا الخطأ هو الخلاف بين الزوجين أمام أبنائهما وخاصة اذا كان هذا الخلاف بشأن الطفل نفسه أحدهما يقسو والآخر يدلل . وفى مصر ينبز المدلل بأنه " ابن أمه " وفى هذا أسوأ المغزى للأمهات اللائى يغلبن قلوبهن على عقولهن فى تربية الأبناء . فيجب على الأم أن تذكر أنها ان تعيش الى الأبد لابنها وأنها لا بد تاركته لكى يواجه هذه الدنيا التى لن تحابيه أو ترحمه . وعليها لذلك أن تترك للأب فرصة تربيته وغرس روح الجد واليقظة فى نفسه .

واذا كان هذا هو أثر الاختلاف بين الأبوين فى توجيه الطفل وأسلوب معاملته فاننا يجب أن نجد مثل هذا الأثر مضروبا فى مائة عندما يؤدى الاختلاف بينهما الى شقاق فشاجرة فانفصال فطلاق. فان الطفل هنا يحس أن جذوره العائلية قد نزعت من تربتها وانه يواجه عالما من الفوضى ليس له استقرار . وهو يكد ذهنه الصغير لكى يعرف الحق من الباطل فى هذا الشجار ويجد قلبه موزعا وعقله مظلما مضطربا . و بعيد أن ينجح مثل هذا الطفل فى الحياة بعد هذه الصدمة الأولى. بل أحيانا تتكرر الصدمات وتضطرب حياة هذا الصغير اضطرابا يبدأ ظهوره فى المدرسة ثم فى المجتمع . و يمكن أن يقال بوجه الاجمال أن الصبيان الذين انتهوا الى الإصلاحيات بعد ارتكاب جرائم صغيرة أو كبيرة أو بعد شذوذ أو نشوز قد سبق أن اضطربت حياتهم العائلية بشقاق الآباء بعض الاضطراب أو كل الاضطراب .

فالحياة السعيدة فى البيت حياة الزوجين المثقفين الذين يهتديان بالحب ويستنيران فى تربية الأولاد بالأصول السديدة فى التربية ، هذه الحياة لا تسعد الزوجين فقط بل هى أيضا تسعد الأبناء وتنشئهم النشأة الاجتماعية الصحيحة وتوجههم التوجيه الحسن للنجاح .

س . م .

دعائم الزواج

يختص الأستاذ بو بينو بدراسة العائلة فى الولايات المتحدة الأمريكية وهو يبحث العوامل المختلفة التى تؤثر فى حياتها سعادة أو شقاء ووفاقا أو خلافا . ويعتمد الأستاذ بو بينو فى ذلك على الإحصاءات التى يستخرجها من محاكم الطلاق ومن استفتاءات بين الأزواج .

ومن الأبحاث التى قام بها أخيرا بحث العوامل التى تثبت الزواج وتحول دون الشقاق أو الانفصال أو الطلاق بين الزوجين . وقد جمعها فى ستة ووضعها بالترتيب التالى :

(١) الأولاد — فانهم يربطون الزوجين على الرغم من كثير من عوامل التفرقة والشقاق. والطلاق يفشو أعظم فشوه بين الأزواج الذين لا ولد لهم. والمغزى هنا أن الأزواج يضحون بكثير من راحتهم الزوجية من أجل أولادهم . فاذا لم يكن هناك أولاد فان المجازفة بالطلاق تسهل .

(٢) العقار أو الممتلكات على وجه عام — فان أحد الزوجين قد يتعلق بالزواج ويستبقى الرابطة الزوجية على الرغم من كل خلاف عندما يجد أنه تربطه بزوجه رابطة اقتصادية فى عقار ثابت أو حتى ممتلكات منقولة . ويجب ألا نعتقد أن الطمع المادى فى الممتلكات هو ما يربط الزوج أو الزوجة بالرباط الزوجى بل يجب أن ننظر إلى أعلى من هذا الاعتبار لأن الاشتراك فى الممتلكات يوحد بين الجهود والمطامع ويربط الزوجين فى مصلحة واحدة فينظر كل منهما إلى الآخر كأن لا غنى له عنه . أى أن الاشتراك المادى فى بعض الممتلكات يؤدى الى اشتراك نفسى .

(٣) الصحة — ذلك أن المرض فى أحد الزوجين مهما يكن خفيفا يربك النظام البيتى ويثقل الزوج الآخر بهموم وتكاليف. زد على هذا ما يحدثه كل مرض جسمى من آثار نفسية. لأن المريض لا يتحمل الصعوبات الصغيرة التى يتحملها السليم . وهو كثير التذمر والشكوى من الطعام أو الضوضاء أو غير ذلك مما يكثر حدوثه فى البيوت . ولذلك تعد الصحة عند الزوجين من عوامل التثبيت للزواج .

(٤) احترام التقاليد — وذلك أن لكل أمة تقاليدها فى صيانة السلام العائلى والنفور من الشقاق و إيثار الصلح على الخصومة . فاذا كان الزوجان يحترمان التقاليد ويخشيان قولة الناس فانهما يبادران فى كل فرصة إلى تسوية ما بينهما من نزاع فى حين أن غيرهما ممن

نشأوا فى بيئة لا تبالى العادات أوالتقاليد ولا تخشى القيل والقال يجرؤ على الانفصال والطلاق. ويلاحظ هنا أن الزواج حين يدعمه رباط دينى يكون أثبت من الزواج الذى لا يرتبط فيه الزوجان إلا بالرباط المدنى . والاحصاءات تثبت وفرة الطلاق بين المتزوجين طبق النصوص المدنية فقط وقلته بين أولئك الذين يتزوجون زواجا دينيا .

(٥) الأنانية — وهى هنا تعنى حب الرياسة والسيطرة والتسلط وقلة المبالاة لرأى الزوج . فان الزواج الثابت يحتاج إلى مشاركة فى العيش بالمشاورة فى الرأى واحترام كل من الزوجين للآخر . فاذا أحست الزوجة أن وجودها هى وأولادها وخدمها لا شأن لهم جميعا إلا خدمة الزوج وأن البيت معبأ لانتظار أوامره فانها تكرهه وتفكر فى الراحة بالانفصال منه. وكذلك الزوجة التى لا تبالى غير استمتاعها بالتبرج والتزين تتفق معظم الدخل على زينتها أو تصر على تنفيذ آرائها دون أن تعنى برأى الزوج تجعل هذا الزوج يحس كأنه أجنبى فى البيت يجد التسلية أو التعزية خارجه . وهنا يتزعزع الزواج .

(٦) وأخيرا يذكر الأستاذ بوبينو أن من العوامل التى تهدم الزواج أو لا تساعد على تثبيته أن يكون الحب بين الزوجين بدائيا أى مقصورا على شهوة الجسم وليس حب الروح ذلك الحب الانسانى المثقف الذى يشبع ويستحيل تعاونا ويخرج بين الزوجين فيرعى كل منهما مصالح الآخر الصحية والاجتماعية والروحية كأنها مصالحه . والعلاقة واضحة بين هذا العامل وبين الأنانية التى ذكرت . فان الزوج الذى يشد من الزواج لذته وسعادته ولا يعنى بسعادة شريكه تنشأ فيه جميع الرذائل التى تعمل لتفكيك الرابطة الزوجية ثم تبرز هذه الرذائل فى الرياسة والتسلط وتنتهى بقطع هذه الرابطة .

* * *

ويدير الأستاذ بوبينو معهدا لدراسة العلاقات العائلية فى احدى الجامعات الأمريكية وهو يبنى استنتاجاته على الاحصاءات الدقيقة التى يستخرجها من خريجى الجامعات وغيرهم ممن يستطيع أن يعود الى تواريخ حياتهم مدى عشرين أو ثلاثين عاما لكى يقف على العوامل المختلفة التى أثرت فى حياة الزوجين سعادة أو شقاء . وقد استطاع بهذه الطريقة أن يهتدى الى حقائق عجيبة . بعضها يتفق وما يمكن أن ننتظره فى مصر ولكن بعضها الآخر يخالف كل الاختلاف لما بين مصر والولايات المتحدة من اختلافات اجتماعية كثيرة . ولكن يمكننا مع ذلك أن نستضىء بأبحاثه واستنتاجاته .

مكافحة البغاء

بحث الوسائل والعقبات

منذ سنوات والحكومة المصرية مهتمة بمسألة البغاء تكلف موظفيها بحث أحوال البغايا وطرق علاجهن، كما أن كثيرا من المديرين قد اهتم بهذه المسألة واتخذ قرارات بشأن الإلغاء. ويبدو أن النية فى الوقت الحاضر متجهة إلى الالغاء فى القطر المصرى وأن ما يؤخر اتخاذ هذا الاجراء هو إيجاد الوسائل التى تكفل للبغايا أن يعشن سائر حياتهن دون أن يحتجن إلى الرجوع الى ممارسة هذه الرذيلة.

والبغاء من أقدم الحرف الانسانية، وكان له اتصال بالعبادات الوثنية القديمة كما لا يزال هذا الاتصال قائما فى بعض الاقطار الوثنية. ولكنه الآن ثمرة الحضارة المدنية. أى أنه لا ينشأ فى بيئة زراعية حيث القرى الصغيرة والزواج المبكر والعمل المتوافر للجميع. ولكنه ينشأ فى المدينة الكبيرة التى تتأخر فيها سن الزواج ويفشو التعطل. فيعود البغاء نوعا من الكسب السئ للعيش.

والضمير الانسانى السليم يشمئز من هذه الحرفة. ولذلك عمدت جميع الأمم التى تحس الكرامة القومية الى مكافحة البغاء. كما أن الجمعيات النسائية فى جميع العالم قد جحدته واستنكرته وطالبت الحكومات بإلغائه. ولم تقصر الجمعيات النسائية فى مصر من هذه الناحية.

وفى ١٩٣٨ م عنيت عصبة الأمم بهذا الموضوع وأرسلت الى جميع الدول المشتركة فيها تسألهن عن أحوال البغاء وما يفعلنه لمكافحته. وقد أخرجت عام ١٩٣٩ تقريرا (رقم ٤٣ سنة ١٩٣٩) بعنوان "وسائل رد الاعتبار للبغايا" وهو جدير بالدرس فى الظرف الحاضر الذى تتهيأ فيه مصر لاتخاذ الاجراءات لإلغاء البغاء. ونحن نعتمد فيما يلى على بعض ما ورد فى هذا التقرير.

فإن العالم الصناعى الجديد قد أوجد تجارة جديدة فى النساء والصبيان لها تجارها وسماسرتها وشركاتها بما تزود به المدن من نساء وصبيان يعيشون فى المواخير التى لا تكاد تطأها أقدامهم حتى يلزموها سائر حياتهم يعيشون فيها أو حولها عيش الرذيلة والخزى والمرض. وليس للضرر بالطبع مقصورا على البغايا. لأن كل بغى هى فى الواقع بؤرة تتفشى منها الرذيلة بما تجذب اليها من الشبان الذين يغشون المواخير ويستهترون فتضعف أخلاقهم وتخور رجولتهم.

كما أن الأمراض الزهرية لاتجد تربة الخصبة الا فى البغايا ومنهن تتفشى العدوى الى أفراد الأمة : الى الشاب الساذج والزوجة البريئة والأطفال المساكين . وبعض الحكومات قد جعل البغاء حرفة تعترف بها وتمنح لها الرخصة التى تخول البغى ممارسة رذيلتها . وهى لقاء ذلك تكشف عن البغى مرة كل أسبوع لكى تمنعها من ممارسة حرفتها اذا وجدتها مريضة بأحد الأمراض الزهرية . ولكن تفشى الأمراض الزهرية يثبت أن هذا الكشف لاقيمة له ، وأن الأمم التى ألغت البغاء ليست أكثر من غيرها فى تفشى الأمراض الزهرية . ولعل السبب لذلك أن الكشف يبعث اطمئنانا كاذبا ويجرئ على الزنا دون التفكير فى الاحتياطات . أما حين لايكون هناك بغاء "رسمى" فإن الاطمئنان يقل والمقارف يتخذ الاحتياطات الصحية الضرورية .

والبغاء ليس "رسميا" أى أن البغى لا تسجل اسمها ولا تطالب بالكشف الصحى فى كثير من الأقطار المتمدنة ودون المتمدنة التالية :

دنمركا ، ألمانيا ، فنلندا ، يوغوسلافيا ، فنزويلا ، أوراجواى ، الاتحاد السوفيتى ، سويسرا ، اسوج ، نروج ، هولندا ، زيلندا الجديدة ، ليبريا ، ارلندا ، ايران ، الهند ، كندا ، كوبا ، بريطانيا العظمى ومستعمراتها ، استراليا ، ارجنتينا ، افغانستان ، اتحاد أفريقيا الجنوبية .

وفى الأقطار التالية نجد أن التسجيل أى الحصول على رخصة لكى تمارس البغى رذيلتها إجبارى . ولكن لا يسمح بايجاد منازل خاصة أو مواخير معدة للبغاء :

وهى رومانيا ، بولونيا ، لاتفيا ، هنغاريا ، استونيا ، دانتسيج ، بلغاريا ، النمسا .

وفى الأقطار التالية تمنح الرخصة للبغى وتعين أماكن لممارسة الرذيلة :

تشيكا ، بوليفيا ، شيلى ، كولومبيا ، اكوادور ، مصر ، فرنسا ، اليونان ، جواتيمالا ، العراق ، ايطاليا ، اليابان ، مكسيكا ، بيرو ، برتغال ، سيام ، تركيا .

وأعظم مايؤخر الاصلاح ويمنع البغاء هو احجام الحكومات عن تقييد الحرية . فإن الحكومة لاتستطيع أن تقف موقف الوصية إلا على القاصرين أو المعتوهين . ما دام الفرد راشدا فانها لاتستطيع أن تمنعه من أن يتصرف بجسمه وعرضه وشرفه كما يشاء . ثم إن البغى بعد أن تكون قد قضت سنين فى هذه الحرفة كثيرا ما ترفض تغييرها لمحض العادة — عدة هذه العيشة — التى تملكتها والتى لا تعرف غيرها . وهى حين تؤخذ الى سجن وتعمل فيه عملا غير شاق وتجد الطعام والمأوى تسأم هذه العيشة وتعود فتستأنف حياتها المخاصية فى المواخير . وقد بحث كاتب هذه السطور هذا الموضوع وسأل إحدى المديرات لملجأ معين فكان من رأيها أن البغى التى مارست البغاء مدة طويلة يكاد يكون من المستحيل أن تسترد للحياة السليمة . ولهذا السبب اتجه البحث فى موضوع البغاء الى الوقاية أكثر مما اتجه الى العلاج .

وأعظم ما يلفت التقرير اليه نظر القارئ أن البغاء مثل الاجرام كلاهما يعود الى سبب واحد . وهو الارهاق الاقتصادى والبيئة الاجتماعية السيئة . ولذلك يجب أن يعالج البغاء — من ناحية الوقاية — كما تعالج سائر الجرائم بتحسين الأحوال الاقتصادية وايجاد البيئة الحسنة أيام الطفولة ، وتوفير العيش .

والبغى لا تصلح عادة للعمل والكسب فى الشئون المدنية إلا إذا كانت فى سنيها الأولى من احتراف البغاء . لأنها إذا كانت قد عاشت فى هذه الحرفة مدة طويلة فإن سهر الليالى والانغماس فى الشراب والوقوع فى الأمراض الزهرية يجعل صحتها العامة فى غاية الانحطاط بحيث لا تقوى على عمل فى ملجأ أو غيره . وأعظم ما يجعل البغى تترك الملجأ هو عجزها عن العمل . وهذا العمل هو فى أغلب الأحيان غسل الملابس ، ولكنها لسوء صحتها ولأنها لم تتعود العمل تتعب وتسأم هذه الحياة وتعود الى البغاء .

ويستنتج التقرير هذه النتائج الأربع التالية :

(١) يجب الفحص عن الشذوذ العقلى فى البغى حتى تعامل معاملة خاصة .

(٢) النجاح فى كف البغى عن ممارسة حرفتها يرجع عندما تكون فى بداية ممارستها لهذه الرذيلة لم تقض فيها مدة طويلة .

(٣) يجب نقل البغى الى مكان آخر غير المكان الذى كانت تمارس فيه البغاء حتى تزول عنها جميع الإغراءات .

(٤) يجب تدريب البغايا فى الملاجىء على أعمال يستطعن العيش منها ، ولكن مع ملاحظة أن هذا العمل يجب أن يختلف عن العمل الذى كن يمارسنه قبل أن يقعن فى البغاء .

ويقول التقرير إن بعض البغايا يمكن أن يزوجن ، وكان الزواج موفقا ، وهو يعزو هذا التوفيق الى أن الاطمئنان الذى وجدنه فى الزواج قد أزاح عبء القلق والتشرد والعوز الذى كن يجدنه فى البغاء السابق . ولكن واضح أن هذا العلاج لا يتفق وعاداتنا الاجتماعية فلا يمكن التفكير فيه ، لأن البغى توصم بوصمة لا يمكن محوها عن جبينها مدى حياتها .

فيجب لهذا السبب أن تؤسس الملاجئ الخاصة لإيوائهن وتكلفهن أعمالا غير شاقة ولا تحتاج الى تدريب طويل حتى لا يجتحن الى الفرار :

وصايا وارشادات صحية

تقدمها وزارة الصحة الى الجمهور

١ ــ ارشادات للنساء الحوامل :

(١) كلى الخضروات والفواكه واللبن ، وقللى اللحم والقهوة والشاى ، ولا تأكلى التوابل (المحللات والحوامض) ولا تشربى الدخان والخمور أبدا .

(٢) يجب أن تكون ملابسك واسعة خفيفة كافية لتدفئتك ، ولا تستعملى أربطة ضيقة على بطنك ولا لحوارك ولا تلبسى حذاء ذا كعب عال .

(٣) اسكنى فى بيت صحى تدخله الشمس والهواء ولا تضعى فى غرفة النوم حيوانات أو موقد ، ولا تطبخى فيه ، فهذه الأشياء تفسد الهواء .

(٤) استحمى مرتين فى الأسبوع على الأقل ، لا تستحمى بماء ساخن جدا أو بارد.

(٥) أخرجى كل يوم الى الخلاء والحدائق للنزهة ، وتنزهى مع المحافظة على عدم ارهاق نفسك فالنزهة ضرورية لك ولطفلك .

(٦) لا تعملى عملا من الأعمال المرهقة ، لا تحملى شيئا ثقيلا ولا تركبى حمارا أو عربة نقل ، ولا تسافرى طويلا ، لا تمشى على رجليك عدة ساعات طويلة ولا تمشى كثيرا ، قللى نومك مع زوجك ، وامتنعى عن ذلك فى شهورك الأخيرة ، وامتنعى عن ذلك بالمرة ان كان قد سبق لك أن أجهضت .

(٧) افحصى بولك بواسطة طبيبك الخاص أو فى مركز رعاية الطفل مرة فى كل شهر فى الخمسة الشهور الأولى من الحمل ومرة كل أسبوعين فى الثلاثة الأشهر التالية ، ثم مرة كل أسبوع فى الشهر الأخير ، والفحص دمك أيضا حتى يمكنك بواسطة العلاج وقاية نفسك وطفلك من بعض الأمراض .

(٨) عند ما يقرب ميعاد ولادتك جهزى الغرفة للولادة ، اختارى أحسن وأوسع وأنور غرفة فى البيت وأخرجى منها كل المفروشات ونظفيها نظافة تامة واتركى فيها سريرا (ملة) خشب ومرتبة لها غطاء نظيف ووسادة نظيفة وبجانب السرير منضدة واتركى كذلك بالغرفة كرسيين ودولابا صغيرا ، واذا كانت حالتك لا تسمح لك باعداد غرفة مثل هذه فادخلى مستشفى الولادة لتلدى فيه .

(٩) يلزمك لولادتك بعض أشياء أحضريها فى الشهر التاسع ، وهذه الأشياء اللازمة هى : وابور غاز ، طشتان كبيران من الصاج ، أبريقان كبيران من صاج ، جردل ، حلة كبيرة ، (مبيصة) ، ملاءتان للسرير ، حزام للبطن ، بشكير للطفل ، ملابس للطفل ، قطع قماش نظيفة ، ثلاث قطع صابون نقى ، دبابيس انجليزية ، سرير أو قفص من الجريد لنوم الطفل كالموجود فى مركز رعاية الطفل ، حقنة شرجية ، وان كانت حالتك لا تسمح بتحضير هذه اللوازم فاسألى مركز رعاية الطفل عن الأشياء المهمة الممكن تحضيرها بمعرفتك والباقى تحضره المولدة معها .

(١٠) عند أول شعورك بالولادة أرسلى الخبر حالا لمركز رعاية لطفل فتحضر المولدة لتوليدك ، وابتعدى عن الدايات الجاهلات القذرات ولا تسلمى نفسك لأيديهن الخطرة . لا تظنى أن الولادة مسألة بسيطة ليست لها أهمية ، فلا تعرضى حياتك وحياة الطفل للخطر ، لا تتأخرى فى ارسال الخبر لمركز رعاية الطفل لأن ولادتك بدون مساعدة فيها خطر .

تعليمات للنفساء :

(١) لا تتركى فراش النفاس قبل مرور عشرة أيام على الولادة ، ولا تتركى الغرفة قبل انتهاء خمسة عشر يوما .

(٢) استريحى راحة تامة ، كلفى حارتك أو قريبتك بعمل شغل البيت نيابة عنك .

(٣) لا تأكلى غير اللبن والحساء (الشوربة) فى الثلاثة الأيام الأولى بعد الولادة ، ويمكنك بعد ذلك أن تأكلى قطعة من اندجاج أو السمك المسلوق ، وبعد مرور ستة أيام يمكنك أن تأكلى كل ما تشتهيه نفسك اذا كنت فى صحة جيدة .

(٤) اجتهدى أن تنامى نوما كافيا ، وان لم تتمكنى من النوم فاخبرى الزائرة الصحية التى تأتى لزيارتك وهى تستدعى لك الطبيب .

(٥) تمر عليك الزائرة الصحية كل يوم لمدة أسبوع ثم تزورك فى اليوم العاشر واليوم الرابع عشر فاستعدى لاستقبالها واشكى لها كل ما ينعبك واستمعى لنصائحها ولا تخالفيها حتى تتم صحتك .

ب ــ عملية الحلب كما يجب أن تكون :

لما كان اللبن من الأغذية الهامة التى لا يمكن الاستغناء عنها وخاصة فى تغذية الأطفال والمرضى والناقهين ، كان من الضرورى أن يتناول الانسان اللبن نظيفا سائغا . وقد رأت وزارة الزراعة لفت نظر منتجى الألبان إلى الارشادات الآتية عند حلب مواشيهم :

(١) يستحسن اتخاذ مكان مخصوص لإجراء عملية الحلب بعيدا عن المكان الذى تبيت فيه الماشية وذلك منعا من تلوث اللبن بالميكروبات التى تأتى اليه فى أثناء الحلب .

(٢) يجب أن تكون الماشية الحلوب فى صحة جيدة .

(٣) يجب أن يكون المكان الذى تحلب فيه وما يجاوره نظيفا جيد الاضاءة والتهوية تدخله الشمس والهواء بكمية كافية .

(٤) يجب عدم القيام بأى عمل يحدث منه الغبار أثناء الحلب مثل الكنس والرش أو وضع الملبقة .

(٥) يجب أن يكون الحيوان نظيفا وضرعه مغسولا جيدا بالماء ومجففا هو والحلمات بمنشفة جافة نظيفة قبل الحلب .

(٦) يجب على الحلاب قبل أن يبتدئ فى الحلب أن يلبس ملابس نظيفة و يغسل يديه جيدا .

(٧) هناك "جرادل" خاصة للحلابة مغطاة السطح ذات فتحة ضيقة يستحسن استخدامها لهذا الغرض ومن لا يتيسر له استعمالها فعليه باستعمال أوان يسهل تنظيفها بخلاف الأوانى الفخارية .

(٨) يجب رفع اللبن بعد الحلب مباشرة وترشيحه بمرشح خاص للبن ، واذا لم يتيسر ذلك فيمكن الترشيح بقصعة نظيفة من القماش .

(٩) يجب حفظ اللبن فى مكان نظيف جيد التهوية والاضاءة بعيدا عن الروائح الكريهة لأن اللبن يمتص الروائح بسرعة .

(١٠) اذا أمكن تبريد اللبن فيبرد الى درجة ١٠ سنتيجراد .

(١١) يحفظ اللبن فى أوان مغلقة ومبردة أثناء عرضه للبيع .

(١٢) آنية اللبن والمبرد (أى جهاز تبريد اللبن) والمرشح وكل ما يستعمل فى الحلابة وفى جمع اللبن ونقله ، يجب غسلها بالماء البارد بعد الاستعمال مباشرة .

(١٣) بعد ذلك يجب غسل هـذه الأوانى وحكها بالفرشة والمـاء الساخن المضاف اليه الصودا .

(١٤) تشطف الانية بالمـاء وتعقم بالبخار واذا لم يتيسر البخار فتغسل مرة أخرى بالمـاء المغلى .

(١٥) بعد تنظيف الآنيـة السالفة الذكر يجب حفظها فى مكان نظيف لحين استعمالها مرة أخرى .

(١٦) أقمشة الترشيح والفوط المستعملة فى تجفيف الضرع يجب غسلها جيدا وتعقيمها وذلك بالغلى بعد استعمالها كل مرة .

نصائح للمحافظة على العيون

حـ — العناية بالعيون :

(١) اغسل يديك وعينيك دفعتين كل يوم بمـاء نظيف ويستحسن أن يكون بالمـاء والصابون .

(٢) بمـا أن أمراض العيون سريعة العدوى فيجب عليك أن لا تستعمل فوط أو مناديل أحد مصاب بمرض فى عينيه .

(٣) لا تنم على فراش أحد فى عينيه عماص .

(٤) اذا كان عندك عماص فلا تربط عينيك بل اغسلهما على الدوام بمـاء نظيف حتى تعرض نفسك على أحد الأطباء .

(٥) لا تسمح لأحد مطلقا سـواء كان مزينا أو غيره أن يعمل لك عمليـة فى عينيك خلاف الطبيب واعلم أن الكى أو الخزام لا يفيدانك مطلقا .

(٦) اذا كان عندك ألم فى الرأس "صداع" ونظرك يقل فهذا مما يدل على أن عندك مرضا فى العينين ويجب عليك أن تذهب للطبيب فى الحال .

(٧) لا توجد قطرة تشفى كل أمراض العين إلا فى أحوال نادرة جدا وغاية ما فى الأمر أنهـا تلطف المرض أحيانا ، والقطرة الزرقاء هى قطرة طبية وتصرف من المستشفى

مجانا للمرضى حسب إشارة حضرة الطبيب داخل زجاجات يحضرها المرضى أنفسهم ومن أراد الحصول على قطـرة داخل زجاجة فيمكنه ذلك مقابل دفع عشرة مليمات ثمنا للزجاجة الواحدة .

(٨) يجب طرد الذباب كلما قرب من عينيك أو وجهك ويحسن حمل (منشة) من الخوص لهذا الغرض .

د — طريقة العناية بأعين الأطفال :

(١) يجب على الأم أن تعالج نظرها قبل الوضع (الولادة) حتى لا ينقل المرض الى عينى طفلها .

(٢) قبل الوضع (الولادة) يجب شراء قطعة من القطن النظيف و بمجرد الولادة يجب غسل وجه الطفل وأجفانه بهذا القطن بعد غمسه بمـاء نظيف .

(٣) يجب مداومة عمل هذا الغسيل فى صباح كل يوم لمدة أسبوع .

(٤) يجب طرد الذباب كلما قرب من عينى الطفل أو وجهه ويحسن عمل منشة من الخوص لهذا الغرض .

(٥) وجود الذباب فى عينى الطفل ممـا يدل على أنه قذر أو أن عنده مرض فى عينيه وعليك فى هذه الحالة أن تسرع بغسل وجهه وان لم يفد ذلك فاعرضه على طبيب العيون .

(٦) لا تسمح لأولادك أن يلعبوا بشىء قذر .

الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية

تقرير مجلس الإدارة عن أعمال الجمعية فى عام ١٩٤٠

عقدت الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية فى الشهر الماضى جمعيتها العمومية وقد أصدرت الجمعية تقريرا عن أعمالها ونشاطها خلال العام المنصرم وهو التقرير المقدم من مجلس إدارتها إلى الجمعية العمومية ويظهر من هذا التقرير مدى الخدمات التى تقوم بها الجمعية وأهمية الميدان الذى تعمل فيه وسنأتى فيما يلى على خلاصة لأهم ماتضمنه هذا التقرير خاصا بالمشروعات التى تقوم بها الجمعية .

فأول مشروعات الجمعية إنشاء مدرسة الخدمة الاجتماعية بالقاهرة لإعداد وتدريب الاخصائيات والاخصائيين الاجتماعيين وإثارة اهتمام الجمهور بالمسائل الاجتماعية وإيقافه على أغراض ووسائل الخدمة الاجتماعية وقد تميز عام المدرسة المنصرم بزيادة فى عدد طلابها وطالباتها كما اشتملت الدراسة بالمدرسة على محاضرات فى اثنى عشر موضوعا وشفعت بعض هذه الموضوعات بمناقشات وتقاريروزيارات الى المؤسسات الاجتماعية المختلفة .

كما اتسع نطاق التدريب العملى بالمدرسة وتعددت نواحيه وشمل ميادين جديدة وتتجه سياسة المدرسة نحو إيجاد تخصص فى نواحى العمل الاجتماعى وقد بدأت فعلا فى إيجاد هذ التخصص فى بحث الحالات الفردية وأعمال الأندية . كما يقوم طلاب السنة الثالثة باعداد رسائل فى شتى المشاكل الاجتماعية .

وقد تم فى العام الماضى أول امتحان عام لطلاب الخدمة الاجتماعية تحت اشراف وزارة المعارف العمومية وحصل على دبلوم الخدمة الاجتماعية ثلاثون طالبا وقد احتفلت الجمعية بتسليم الشهادات لخريجى المدرسة فى ديسمبر الماضى فى حفل كبير ألقى فيه حضرات صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس الجمعية ومعالى محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف العمومية ومعالى محمد عبد الجليل أبو سمرة باشا وزير الشؤون الاجتماعية خطبا ضافية .

كما أعدت المدرسة دراسات خاصة للراشحين للعمل بالمراكز الاجتماعية فى الريف تجابة لرغبة وزارة الشؤون الاجتماعية .

كذلك من نواحى نشاط المدرسة التى تمت نموا كبيرا هذا العام القسم النهارى للتطوعات الذى أنشأته المدرسة فى العام الماضى لاعداد وتدريب المتطوعات وقد أعد لهذا القسم برنامج يزود الطالبات بثقافة عملية وعلمية تؤهلهن للعمل فى ميدان الخدمة الاجتماعية .

هذا وقد أمكن لكثيرين من خريجى المدرسة وطلابها أن يتولوا أعمالا ذات مسئولية فى ميدان الخدمة الاجتماعية فى مصر كادارات الخدمة الاجتماعية والفلاح ومصلحة العمل فى وزارة الشؤون الاجتماعية ومكتب الخدمة الاجتماعية لمحكمة أحداث القاهرة وتجربة إصلاح القرية وعملة الرواد ومؤسسة الزفاف الملكى وملجأ الحرية وغيرها .

وثانى مشروعات الجمعية مشروع دراسة أسباب الفاقة فى مصر ويقوم الاخصائيون فى الوقت الحاضر بتحليل ودراسة جميع المعلومات التى جمعت من نواح مختلفة لمستوى معيشة ما يزيد على ثلاثة آلاف عائلة وكذلك بيانات أخرى عن أفراد كل عائلة وسنهم وصناعاتهم ودخلهم وعند إصدار التقرير النهائى ستكون الجمعية قد أصدرت أتم دراسة إحصائية فى هذا الموضوع هى الأولى من نوعها فى مصر .

وثالث مشروعات الجمعية تجربة إصلاح القرية وهى التجربة التى بدئ فيها عام ١٩٣٩ فى قريتى المنايل وشطانوف وهذه التجربة ترمى عن طريق الملاحظة الدقيقة والتجربة العملية للوصول إلى أنجع الوسائل لإصلاح القرى المصرية وتتناول إصلاح القرية وأهلها من كافة النواحى الصحية والاقتصادية والاجتماعية على أساس اقناع الأهالى أنفسهم بمزايا الاصلاح واقبالهم عليه ومساهمتهم فيه .

ويتركز العمل فى كل من القريتين فى مركز اجتماعى يتولى العمل فيه إخصائى اجتماعى من خريجى مدرسة الخدمة الاجتماعية بالقاهرة وبكلتا القريتين دار لرعاية الأم والطفل تتولى العمل فيه زائرة صحية ووحدة متنقلة للأمراض المتوطنة تابعة لوزارة الصحة .

وقد أصبح كل من المركزين مقرا لاجتماع رجال القرية للتحدث والتسامر أو لحضور بعض المحاضرات أو لسماع المذياع كما تقدم دار رعاية الطفل والأم أجل الخدمات للحوامل والامهات والأطفال وتقوم بجميع حالات الوضع فى كل من القريتين، كذلك تم إنشاء حمام بسيط بكل مستوصف يستعمل ثلاث مرات فى الأسبوع للامهات والأطفال والبنات ، كما أقيم حمام للرجال وزودت القرى بطلمبات مياه الشرب ونجحت جهود الاخصائيين فى حث الأهالى على استعمال المياه النقية .

ومن الناحية الاقتصادية عنى بايجاد موارد إضافية للفلاحين عن طريق تهذيب بعض منتجاتهم وعن طريق تعليم بعض الصناعات المنزلية ليتيسر لهم استغلال أوقات فراغهم بشكل مفيد .

ومن الناحية التعليمية فقد أقام مجلس مديرية القليوبية مدرسة قروية فى المنايل وتكونت لجنة من الفنيين من أعضاء لجنة اصلاح القرية وأعضاء رابطة التربية الحديثة لوضع منهج خاص لتلك المدرسة وتعلق الجمعية آمالا كبارا على نتائج هذه التجربة وترجو أن تكون لها أثرها فى معاونة المعنيين بتنفيذ نظم التعليم الالزامى فى مصر .

وقد نجح الاخصائيون فى تكوين هيئات مختلفة من الأهالى تقوم بخدمات متنوعة للقرية فانشئ فى شطانوف مجلس للقرية ولجنة للصالحات وجمعية للاحسان كما أنشئت فى المنايل جمعية للاحسان تجمع التبرعات وتوزع فى المواسم الكسى والحبوب على المعوزين .

ورابع مشروعات الجمعية هو مشروع الخدمة الاجتماعية بمحاكم الأحداث . وقد أنشئ لذلك مكتبا مهمته القيام بالأبحاث والاختبارات الاجتماعية والنفسانية والطبية اللازمة التى تنير السبيل أمام المحكمة للوقوف على الأسباب الحقيقية التى أدت الى القبض على الطفل، كما أن من أعماله أيضا اتخاذ أحسن الوسائل الممكنة لمعالجته — ويعمل بهذا المكتب باحثون اجتماعيون من طلبة مدرسة الخدمة الاجتماعية بالقاهرة يقومون بالبحث الاجتماعى لحالات الأطفال الذى يعتبر فى حد ذاته ناحية واحدة من نواحى عملهم بينما تحضر معظم جهودهم فى علاج الحالات التى يقوم المكتب فى دراستها . كما يقومون بايجاد أعمال للأطفال ويرشدونهم فى اختيار العمل اللائق بهم ويشجعونهم على الجد والمواظبة .

وقد أمكن للمكتب رغم قصر المدة التى مضت على انشائه من مساعدة الكثير من الأطفال على تكييف أنفسهم التكييف الصالح رغم جميع متاعبهم والبيئة السيئة التى يعيشون فيها حتى يكونوا أفرادا صالحين فى المجتمع .

هذه خلاصة لأهم ما جاء بتقرير الجمعية عن مشروعاتها، وقد تقدمت الجمعية فى ختامه بتقديم الشكر لكثير من الوزارات والهيئات لما تلقاه منها من جليل المساعدة المالية والأدبية بفضل ما ظهر من آثارها ونتائج دراستها وأعمالها المنتجة فى ميدان الاصلاح الاجتماعى فى مصر .

البحترى يصف الربيع

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا ... من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النيروز فى غسق الدجى ... أوائل ورد كن بالأمس نوما
يفتحها برد الندى فكأنه ... يبث حديثا كان قبلُ مكتما
ثمن شجر رد الربيع لباسه ... عليه كما نشرت وشيا منمنما
ورق نسيم الريح حتى حسبته ... يجيء بأنفاس الأحبة نعما

متفرقات اجتماعية

معالجة السكير :

يقول الدكتور سيليجرا فى جامعة جونزهو بكيزان السكير الذى يبغى الاقلاع عن عادته يجب عليه اتباع النصائح التالية :

(١) لا تحلم فى اليقظة بلذة الشراب فتتخيل الكأس ومسامرة الاخوان وطرب الخمر أى لا تستسلم وأنت فى صحوك لهذه الخواطر وتعتقد أنها بريئة لا تضر . لأن الواقع أنها ستدفعك فى النهاية الى الشراب .

(٢) لا تعتقد أن تناول كوب من النبيذ يخفف عنك ويغنيك عن تناول الخمور المركزة . أى يجب أن تجعل ابتعادك عن الخمور مقاطعة تامة ليس فيها أى تساهل أو ايثار لخمر مخففة على خمر مركزة .

(٣) ضع فى جيوبك بعض الحلويات مثل البستليا والشكولاته فاذا شعرت بالرغبة فى الخمر فتناول شيئا من هذه الحلويات لأنها تخفف هذه الرغبة وأحيانا تزيلها تماما .

(٤) ثق أنك لن تقلع عن الخمر الا اذا اقتنعت بأنها مضرة . فاثبت لنفسك قبل كل شىء ضررها بل أضرارها الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والحرفية والعائلية واكتبها بالتعيين والتقدير واحدا بعد آخر .

حقائق الطعام :

تنشر ما يلى من الحقائق من اعلان نشرته " وزارة الطعام " فى بريطانيا العظمى فى الصحف لتنبيه الجمهور عن اطعام الأطفال فيما بين السنتين والخمس سنوات من أعمارهم :

يجب تعقيم اللبن وذلك بغليه ثم تبريده بسرعة . واذكر أن الطفل يحتاج الى مقادير كبيرة من اللبن لنمو عظامه وأسنانه ودماغه وحيويته . وهو ربما لا يحب اللبن . فيجب أن تطبخه له عصيدة أو تضيفه الى الحساء . واسأل عن حقك فى اللبن الرخيص الذى يكفله لك " المشروع الوطنى للبن " .

وكل إنسان يحتاج الى الأطعمة الواقية . ولأطفال أحوج الناس اليها . وليك بعضها :

البطاطس المشوية بجلدها . فان الطفل يجب أن يشجع على أكلها بكل ما فيها قشرة وليا . ويجب أن تكون مشوية وليست مسلوقة .

وكذلك الجزر فانه من أثمن الأطعمة الواقية لأنه يحتوى فيتامين يصون الصحة ويقى من البرد ويقى الأسنان والعظام . ومعظم الأطفال يحبون الجزر اذا نظف أو هرئ .

واذا كان الطفل يحب السلطة فهو فى طريق الصحة . فوفرها له فى كل وجبة مع تنظيف الخضراوات التى تصنع منها .

رغيف الخبز :

أعلنت الصحف الانجليزية قبل شهرين أن الحكومة قررت اضافة الفيتامينات الى الخبز وجعلت هذه الإضافة إجبارية .

ولكى نبرز المغزى من هذا الخبر نقول إن سواد الجمهور فى جميع الأمم المتمدنة يحب الخبز الأبيض الذى فصلت رذته عنه . لأنه أجمل منظرا وأمرأ طعما . ولكن الردة المفصولة من هذا الخبز تحتوى ثلاثة فيتامينات كما تحتوى أملاحا يحتاج اليها الجسم لكى يحتفظ بصحته . وعند ما تتعدد ألوان الطعام وتحتوى بعض الفواكه أو الخضروات الطازجة التى لم تطبخ يمكن الاستعاضة عن النقص الحادث فى الخبز الأبيض . ولكن هذه الأطعمة لا تتوفر لكل انسان . ولهذا السبب شاع استعمال الخبز الأسمر - خبز السن - بين المستنيرين وهم الأقلية . أما الأكثرية فبقيت على استعمال الخبز الأبيض .

ولكى تشبع الحكومة البريطانية الجمهور من هذا " بجوع الكيماوى " جعلت إضافة الفيتامينات اجبارية فى جميع المخابز حتى يمكن المستهلك أن يجد فى الرغيف الأبيض جميع الفيتامينات التى فصلت منه بنزع الردة منه . وهذه الفيتامينات تستخرج الآن كيماويا بلورات صغيرة تضاف الى الخبز بمقادير صغيرة جد ضئيلة ولكنها تصون الصحة العامة .

ومن حظنا الحسن فى مصر أن خبزنا لا يزال يحتوى على مقدار من الردة فى ظهر الرغيف ولذلك لا نشكو هذا النقص الفيتامينى .

المواد الخـامة :

تملك الامبراطورية البريطانية من المواد الخامة التى تحتاج اليها الصناعات مقدارا عظيما جدا نذكر بعضه فيما يلى :

الجوت	:	٩٨	فى المـائة	من المحصول العالمى .
النيكل	:	٩١	«	« :
الاسبستوس	:	٧١	«	« .
الكوتشوك	:	٥٢	«	« .
الصوف	:	٤٦	«	« .
دهن النارجيل	:	٤٦	«	« .
كروم	:	٤١	«	« .
قصدير	:	٤٠	«	« .
منغنيز	:	٣٧	«	« .
رصاص	:	٣٥	«	« .
زنك	:	٢٨	«	« .
نحاس	:	٢٥	«	« .

اليوجنية :

تدرس الحكومة مشروعا لمنع المرضى والزمنى والمعيوهين الذين يخشى انتقـال أمراضهم من الزواج صونا لصحة الزوج والأبناء .

ولا تكاد تخلو أمة متمدنة من قوانين تؤدى هـذا الغرض . بل أن بعض الأمم زادت على منع الزواج تعقيم أولئك البله الذين تعزى بلاهتهم الى الوراثة . وهـذا التعقيم يجرى على الجنسين من الرجال والنساء . والهدف الذى تقصد اليه هذه القوانين إيجاد نسل حسن سليم الجسم والعقل .

وهناك علم يدعى علم " اليوجنية " وضعه السر جالتون ابن عم داروين لتحقيق هـذه الغاية . ولهذا العلم مجلات كثيرة وكتب مسهبة تشرح الآفات الوراثية التى يجب تجنبها بمنع الزواج بين المصابين أو بينهم وبين غيرهم من الأصحاء . ولا يتم عقد الزواج عند كثير من الأمم الا بعد الفحص عن صحة المرشحين للزواج وتسليمهما اذنا بالزواج . وفى هذا ضمان لصحة الأبنـاء .

ترميم المنازل :

يعيش فى الولايات المتحدة الأمريكية نحو ١٥ مليون زنجى صريح أو خلاسى. وهم يجدون من البيض فى الأقاليم الجنوبية كراهة تقارب المقاطعة. وليست أحوالهم الاقتصادية حسنة فانهم فقراء يتخذون السكن فى الأحياء الرخيصة النائية التى يتجمعون فيها . وكثيرا ما تؤدى بهم الفاقة الى إهمال منازلهم فلا يرممونها . ولذلك عند ما يمر الانسان فى أحياء الزنوج يجد عشرات المنازل التى نصلت ألواحها وتحطمت نوافذها .

وقد أحس الزنوج هذه الحال فألفوا جمعيات خيرية فى المدن الكبرى غايتها ترميم منازلهم وتزيينها بالألوان اللامعة . فان عضو الجمعية يقصد الى أحد المنازل ثم يدرس حالته من الترميم ويعود مع النجارين والنقاشين فيصلحونه ويعيدون جدته أو على الأقل لمعته حتى يذهب عنه الكمود أو القتامة السابقة فيجد فيه السكان ما يريح أعينهم ويبعث نشاطهم وبهجتهم .

وهذه الجمعيات جديرة بأن تؤلف مثلها فى مدننا حيث نجد البلى والتحطم باديين فى أحيائنا الفقيرة . فان الظلام يخيم على المنازل القائمة فيها . وقلما تجد منزلا ممتازا بنوافذ أو سلالم أو أبواب سليمة. كما أن الطلاء الناصل يوحى الكمود فى النفس . وقليل من النقود تنفق على النجارين والنقاشين تعيد الى هذه المنازل الجدة واللمعة وتحبب السكان الى منازلهم.

الفطير والكعك :

لكل عائلة تقاليد موروثة تمارسها فى غير انتباه لما فيها من منفعة أو ضرر . وتبرز هذه التقاليد فى أسلوب التغذية. ففى بعض العائلات نجد العناية بالطبخ قبل الظهر وبعده لايجاد مائدة مجهزة باللحم فى وجبتى الغداء والعشاء . وفى بعض آخر نجد الفطير والكعك لا ينقطعان من البيت ، وأحيانا تبلغ نفقات الحلوى مبالغ ضخما فى بعض البيوت بحيث تكفى طعاما كاملا لأحدى العائلات الفقيرة .

وفى هذا إسراف عظيم فى المال وضرر كبير بالصحة . وقد تغتر ربة البيت بضخامة أبنائها من وفرة الطعام الدسم الذى يتناولونه . ولكن هذا خطأ فاحش . لأن الصبيان قد يسمنون وهم مع ذلك جائعون ، والجوع هنا هو الجوع الكياوى الذى يعرف بالنقص فى الأملاح أوالفيتامينات التى لاتتوافر إلا فى اللبن والبيض والفواكه والخضراوات ، وتقل فى غير ذلك من الأطعمة . والدقيق الأبيض المصنى — مثل النشا — يخلو من الأملاح ومن الفيتامينات ، ولذلك حين نصنع منه الفطير والكعك ونعود أطفالنا تناولها كل يوم إنما نحرمهم بذلك من الأطعمة النافعة فى الفواكه والبيض واللبن والخضراوات . ووجبة واحدة من اللحم تكفى للصحة الحسنة ، وما زاد على ذلك فإسراف وضرر .

اللبن فى البيت :

كان الرأى العام بين الأطباء قبل نحو عشرين سنة أن اللبن ليس غذاء وأنه يمكن أن يستغنى عنه ، إلا حين يحتاج اليه الطفل تعجز أمه عن إرضاعه . ولكن هذا الرأى قد تغير وانقلب انقلابا تاما . وصحيح أن اللبن ليس غذاء من حيث إنه يحتوى على مقدار كبير من الماء ، ولكنه يحوى جميع الفيتامينات التى لا يمكن أن يعيش الانسان سليما إذا نقصه واحد منها . وليس الفيتامين غذاء ولكنه محرك وواق معا ، فانه يجعلنا قادرين على الانتفاع بالأغذية المختلفة وأيضا يحرك الجسم لمقاومة الأمراض .

ولذلك أصبح الاقبال عظيما على اللبن ، بل إن ربة البيت تبتكر ألوان الطعام التى يمكن أن تضاف اليها اللبن دون أن يؤثر فى ستساغته . وإذا كان اللبن مضمونا من ناحية حلوه فى الجراثيم المعدية فانه يمكن تناوله بلا غلى ، ولكن قلما يتفق هذا لأننا لا نعرف الماشية التى حلب منها ولا الآنية التى وضع فيها ، ولذلك يجب أن يغلى أو بالأحرى يجب أن يوضع على النار إلى أن يوشك على الغليان فينزل ويبرد بسرعة .

ويجب أن تحتال ربة البيت على إضافة اللبن إلى كثير من الأطعمة ليس لأولادها فقط بل لزوجها ولنفسها ، فانه الوقاية الأولى من الأمراض .

النجف من الخشب :

كانت مصر إلى وقت قريب تستورد أدوات الخشب ، حتى الساذجة منها ، من الخارج ، فقد كنا نستورد مثلا مقاعد التلاميذ وأدراجهم لجميع المدارس الحكومية من أوربا وكذلك غير الأثاث الفاخر فى بيوت أغنيائنا . وكان تجارونا يجدون المقاطعة أو ما يقاربها من الجمهور اعتقادا بأنهم لا يدركون الطراز الحديث فى النجارة أو لا يحكمون العمل .

ولكن هذا الاعتقاد قد تغير ، وأصبحنا نرى المعروضات التى يعرضها النجار المصرى لا تختلف أقل الاختلاف من معروضات المصانع الأوربية سواء من حيث الطراز أم من حيث المتانة . ولذلك قلما يفكر ثرى فى استيراد الأثاث من باريس أو لندن لأنه يجد نفسه قانعا بمصنوعات وطنه .

ولما قلت الواردات من المصابيح الكهربائية وثرياتها عمد تجارونا الى الابتكار فصنعوا النجف والشمعدانات من الخشب المزخرف ، فهناك الشمعدان القائم الذى يحمل فى نهايته مصباحا أو مصابيح كهربائية ، وهو من الخشب الفاخر من السنديان أو الموغنة . وهناك

النجفة التى يتأنق النجار فى خرطها وتزيينها وهى لا تقل روعة عن النجفة المعدنية بل ربما تزيد عليها جمالا لأن للخشب المصقول وقارا لا يبلغه المعدن البارق ، وقد رأينا مصباحا على قاعدة متنقلة من الخشب وله مظلة من الخشب أيضا يستعمل على المكتب .

وهذا نشاط نرجو أن يجد من الجمهور التشجيع الذى يستحقه .

اللحوم فى طعامنا :

تعانى الأمم المتحاربة ضيقا فى الأطعمة يبلغ حد الحرمان فى بعضها . وهى لذلك قد عمدت إلى نظام البطاقات فى توزيع الخبز واللحم والزبدة والبيض والشاى وبعض الأطعمة الأخرى كما منعت تناول اللحم فى أيام معينة . ونحن بالطبع بعيدون عن هذه الحال ، لأننا أمة زراعية تنتج طعامنا من مزارعنا ، وإن كانت الأطعمة الأجنبية مثل الجبن والسردين وسائر الأطعمة المحفوظة قد نقصت مقاديرها وزادت أثمانها .

ولكن انخفاض ثمن اللحم عندنا يجعل المتوسطين والأغنياء يسرفون فى تناوله حتى ليتناوله أحدهم مرتين فى اليوم غداء وعشاء بل يفعل ذلك الكهول والشيوخ ممن تجاوزوا الأربعين أو الخمسين ، وهذا خطأ عظيم . فان الانسان بعد الأربعين يجب ألا يتناول اللحم ، غير مرة فى اليوم ، أما فى الشيخوخة فإن الاستغناء عن اللحم يفيد ويصون الصحة . وهناك من الأطعمة النباتية الأخرى ما يقوم مقام اللحم مثل الفول والعدس والفاصوليا والبسلة أى حبوب القطانى التى تنفق فلقتين .

والقناة الهضمية فى الإنسان يبلغ طولها نحو ١٨ أو ١٩ مترا وهى حافلة بالملايين من الأحياء التى تعيش وتغتذى بما فيها من أطعمة ، ومن الحسن أن نغير هذه الأحياء بتغيير غذائها ، وذلك بأن نخص يوما أو يومين كل أسبوع لا نتناول فيه غير الأطعمة النباتية . وليس شك فى أن الذين يشرعون فى ممارسة هذه العادة سيجدون من الارتياح والصحة ما ربما يحملهم على زيادة الأيام التى يخصونها بالطعام النباتى .

تجليد الكتب :

دخلنا احدى المكتبات التجارية فى القاهرة وهى تختص ببيع الكتب الفرنسية فوجدنا أن جميع مجلداتها بالقماش أو الأدم . ولما كانت العادة أن الكتب الفرنسية تأتى الينا من فرنسا مغلفة بالورق فقط سألنا عن السبب لمخالفة هذه العادة ، وما كان أشد استغرابنا حين عرفنا أن جميع هذه الكتب المعروضة للبيع قد جلدت فى القاهرة على أيدى لعمال المصريين ، واخذنا نقلب المجلدات فوجدنا أن التجليد حسن متين قد اختيرت له ألوان هادئة من القماش ، وبعض من الكتب قد جلد بورق الكرتون مع حروف وزوايا من القماش .

ولما سألنا عن السبب لعناية المكتبة بالتجليد قيل لنا إن الزبون يقبل على شراء الكتاب اذا كان حسن التجليد أكثر مما يقبل على شرائه وهو مغلف بالورق . وهذا حق . لأن الكتاب المجلد يعد تحفة جميلة لو وضع فى الصالون لزانه وهو تسلية وقت الانتظار .

وتكاليف التجليد الحسن تتراوح للمجلد الواحد بين ٢٥ و ٥٠ مليما ، ولكن هذا التجليد يقى الكتاب من التلف ، حتى كتب الصبيان المدرسية يمكن وقايتها من التلف بالتجليد . وأعظم ما يثبط الشبان عن تكوين رف من الكتب فى البيت هو اهمالها من التجليد و بيعها لهم مغلفة بالورق فقط . ذلك أن ربة البيت ترفض اقتناء الكتب لأنها بعد أن تمزق وتتناثر أوراقها تشوه المكان وتقذى العين . ولذلك ننصح لكل شاب بأن يسارع الى تجليد ما عنده من الكتب بل ننصح لأصحاب المكتبات بتجليد ما عندهم من كتب وعرضها مجلدة . فانهم عندئذ يجدون رواجا لم يحلموا به من قبل .

قلة الاندماج :

الناس فريقان أحدهما منطو منكمش يحب الاعتزال والصمت و يفر من الاختلاط ، والآخر منبسط متكشف يحب الاجتماع والحديث . و يقول أحد السيكلوجيين إن هذين المزاجين يمكن تعرفهما فى الأشخاص بمحض النظر الى الكيان الجسمى ، فان المنطوى المعتزل الصامت الجاد يكون عادة نحيفا مديدا معروق الوجه ، أما الآخر المنبسط المحدث المجتمع المازح فيكون بدينا قصيرا . واذا ذكرنا معارفنا وأصدقاءنا وجدنا شيئا من الصحة فى هذا التقسيم الذى لا نعرف أسبابه الحقيقية ولعلها ترجع الى ميزات فى الغدد الصم . ثم هناك فريق ثالث يجمع بين ميزات أو عيوب الفريقين المذكورين ، وهو أهنأهم جميعا بالعيش لأنه لا ينفر من المجتمع ولا يفر من العزلة . بل يأخذ من كل منهما بمقدار .

و يجب على الرغم من هذه الأمزجة الموروثة أن نجعل أبناءنا اجتماعيين اذا وجدنا أنهم يؤثرون العزلة على الاختلاط . ولا نستطيع ذلك الا بتعويدهم الاجتماع منذ الصغر بأن يجالسوا الغرباء و يتحدثون اليهم و يقومون ببعض الخدمة لهم ، فان الاجتماع يحتاج الى تعويد وتدريب ، ولكن اذا كانت الأم لا تربى أبناءها على استقبال الضيوف ومؤانستهم ، إن هؤلاء ينشأون على حذر وتردد من كل اجتماع ، واذا كان بهم استعداد للانطواء والاعتزال زاد هذا الحذر حتى يصير كأنه مقاطعة للمجتمع .